



أمير شعراء النبط
محمد بن لعبون

١٢٠٥-١٢٤٧ هـ

سيرته ودراسة في شعره

تأليف

د. عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون

يصدر بمناسبة
إقامة ملتقى
ابن لعبون
الكويت
٢٧-١٩٩٧/١٠/٣٠





مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

أمير شعراء النبط محمد بن لعبون

١٢٠٥-١٢٤٧ هـ

سيرته ودراسة في شعره

تأليف

د. عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون

يصدر بمناسبة
إقامة ملتقى
ابن لعبون
الكويت
٢٧-٣٠/١٠/١٩٩٧

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه أمين عام
مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
ومعاونوه

تصميم الغلاف والإخراج الداخلي محمد العلي

هذه الطبعة
خاصة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري - الكويت
بعدد محدود من النسخ للإهداء فقط وذلك بترخيص من

دار ابن العبون
للنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٤٨٢٠٢١٤ ص.ب ٦٣٢٨٠ الرياض ١١٥١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى كل الباحثين والدارسين والمهتمين والمتذوقين
للشعر النبطي بشكل عام وشعر ابن لعبون بشكل خاص
أهدي هذا العمل المتواضع عن سيرة ابن لعبون وشعره .

المـؤلـــف

تصدير

أسعدني كثيرًا أن يتصدى الأخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون للكتابة عن واحد من عباقرة أسلافه ـ الشاعر المبدع محمد بن حمد بن لعبون ـ بكل هذا الحب والحرص والجهد. وقد سررت كثيرًا للنتائج الباهرة التي توصل إليها وللإنجاز الكبير الذي حققه بهذا الكتاب وصنوه ديوان الشاعر الذي أظنه سيكون من أكمل المضان لحفظ تراث الشاعر وإبداعاته المتنوعة ، حيث حفل بكل ما وصلنا ـ حتى الآن ـ من تراث هذا الشاعر المبدع.. ونأمل كثيرًا أن نشهد في القريب من يضيف إضافة أخرى تثري مكتبة الشعر النبطي التي هي بحاجة فعلاً للكثير من الجهود الخلاقة لتسليط الضوء على هذا الأدب الراقي والمعبر بشفافية بالغة عن شؤون وشجون منطقتنا في الخليج والجزيرة العربية في فترة راكدة ومظلمة من تاريخها الحديث..

إن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وهي تحتفي بابن لعبون ـ الذي تضعه المصادر ومحبو هذا اللون من الشعر العربي على رأس شعراء النبط وتصفه أكثرها بأمير شعراء النبط ـ ، ترى أن هذا لم يأت اعتباطًا بل جاء نتيجة لقناعة تولدت من استقراء آراء كثيرة حول ضرورة ذلك وأهميته.

وعندما عرض الأمر على مجلس الأمناء في المؤسسة التي اعتادت الاهتمام بالشعر الفصيح فقط، بوصفها مؤسسة قومية الوجه والأهداف، لم يجد هذا الأمر معارضة، بل كان محل ترحيب باعتبار أن هذا الشعر يمثل رافدًا للشعر العربي يثري الأبحاث والدراسات المعمقة حوله لمعرفة خفايا ذلك التراث الأخاذ باعتبار أن

هذه البيئة (الجزيرة العربية) هي التي أعطت أعظم نماذج الشعر العربي على الإطلاق ـ الجاهليات ـ وقد وجد الكثير من الدارسين تشابهًا كبيرًا بين هذا الإبداع (الشعر النبطي) وأصوله.

أشكر للأخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون هذا العمل الكبير، كما أشكر الأمين العام للمؤسسة الأخ عبدالعزيز السريع ومعاونيه على الجهد الكبير الذي بذلوه من أجل إخراج هذا الكتاب بهذا المظهر .. والحمد لله...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ١٩٩٨/٨/٢٠

****

تقديـــم

أحسن بي الأخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون الظَّنّ، فقدم لي مؤلفه عن الشاعر محمد بن حَمَد بن لَعْبُون راغباً مني أن أكتب كلمة حول عمله في ما كتب عن حياة هذا الشاعر، ودراسة شعره وجمعه، والواقع أنني كنت من مُتَذَوِّقِي هذا النوع من شعرنا الشعبي. وحينما طلب الشيخ عبدالله بن سليمان من الأستاذ خالد بن محمد الفرج سنة ١٣٧١هـ جمع طائفة من هذا الشعر العامي لمشاهير شعراء نجد، للقيام بنشرها، كانت لي صلة قوية بالأستاذ خالد، وكثيراً ما كنا نتباحث ونتحاور في موضوعات تتعلق به، وحين صدر الجزء الأول من تلك المجموعة التي تحمل اسم «ديوان النبط» وفيها أشعار حُميدان الشويعر، ومحمد بن لعبون، وعبدالله بن رَبيعة، وعبدالله بن سُبَيِّل سنة ١٣٧١هـ، رتبها وفسر بعض ألفاظها الأستاذ خالد – نَشَرت لي جريدة «البلاد» السعودية (ع ١٢٠١ تاريخ ٢١ شوال ١٣٧١هـ) مقالاً في الموضوع اطلع عليه الشيخ عبدالله السليمان فَكَلَّف الصديق الكريم الشيخ سعد بن رويشد قائلاً له: أبلغ فلاناً (يعنيني) إن كان في الرياض، أو كان غائباً فاكتب إليه، وأبلغه سلامي، وأخبره أنني وقفت على ما نشر في الجريدة، وأنني أشكره على اهتمامه وعنايته بهذه الأشعار، ويرغب مني أن أواصل جهدي في جمع ما لهؤلاء الشعراء الثمانية المذكورين في الجريدة، ولغيرهم من الشعراء، مع القيام بشرح غوامض ما يرد فيها من كلمات أو عبارات، وأنه مستعد لدفع جميع ما ينفق في هذا السبيل.

كما كتب إلي الشيخ محمد العلي العُبَيِّد من أعيان مدينة عُنيزة وهو من المعنيين بجمع هذا النوع من الشعر، والملمين بأطراف من الثقافة العامة، كتب إليّ بتاريخ ٢٥ شوال ١٣٧١هـ كتاباً قال فيه: إنه تصفح جريدة «البلاد» المؤرخة في ٢١ شوال ١٣٧١هـ، فَسُرَّ بما كتبته في الموضوع، وقال إنكم لتحيون كنوزاً دارسة،

أخنى عليها طول الزمن، وقلةُ اعتناء الناس بجمعها، وتدوينها في أوقاتها، حتى كادتْ تتوارى بطيِّ الإهمال وهي والله تراث ثمين، هذه الأشعار النبطية، فشكر الله لكم، ثم نبهني إلى خطأ وقعت فيه ومنه: أنني نسبت إلى عبدالله بن سُبَيِّل قصيدة هي لعبدالله بن ربيعة كان قالها وهو عند بندر السعدون، وكان أولاد الشاعر في إحدى قرى سُدَيْر، قالها يتشوق لاجتماعه بأسرته، وذكر أنه رأى نفسها عند الشيخ عبدالمحسن أبابُطَيْن في بلدة (الزُّبَيْر) ونبهني إلى ضرورة الاهتمام بأشعار أربعة من شيوخ البادية ذوي شجاعة وفصاحة وكرم، تركي بن حُمَيد، ومحمد بن هادي، وراكان بن حِثْلين، وشُلَيويح بن ماعز الروقي.

ولما صدر ذلك الجزء كتب الدكتور منير العجلاني بحثاً في مجلة (المجمع العلمي العربي) الصادرة بدمشق - الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين - يحمل على تلك الأشعار بشدة وعنف، وبأنها تتنافى مع الحفاظ على اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، ولهذا فهي جديرة بأن تُوْأَدَ ولا تنشر، فما كان من الأستاذ خالد الفرج - رحمه الله - إلا أن علق على هذا في مقدمة الجزء الثاني من «ديوان النبط» بقوله: كان الأولى بإدارة (المجمع العلمي) أن تحيل الديوان إلى عضوها النجدي الشيخ حمد الجاسر، ولو فعلت لنشرتْ بحثاً ضدّ موضوع الدكتور العجلاني، يرتكز على الفهم، والبحث العلميّ الذي هو رائد المجلة، لا حكم الدكتور الذي لا يرتكز إلا على عدم الفهم، ومع احترامنا للدكتور لابُدَّ لنا من الاستشهاد بقول شاعر العرب العظيم:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

ثم ذكر أنني نشرت نقداً مفيداً في جريدة « البلاد» السعودية صحح به أغلاطاً عديدة.

لقد كان اهتمامي بهذا الشعر لما لمست في أشعار متقدميه من حرارة العاطفة وعمق الإحساس والشعور، وصدق التصور، يضاف إلى هذا ما تحتويه من أمور

تعد متممة لثقافتنا، ففيها ذكر بعض الحوادث التي لا يجدها الباحث مدوَّنَةً في ما بين يديه من المؤلفات، وفيها كثير من التعبيرات واللهجات العربية الفصيحة، التي تساعد دارسي أصول اللغة العربية، ومعرفة لهجات القبائل، وغير ذلك من أمور تحدثت عنها بتوسع في مقدمة كتبتها للجزء الأول من «شاعرات من البادية» الذي جمعه الابن الأستاذ عبدالله بن محمد بن رَدَّاس، بناء على اقتراحي، مما لا داعي لإيضاحه هنا، ولقد كان من بين أولئك الشعراء الذين أُعجبت بشعرهم صاحب هذا الديوان محمد بن حمد بن لعبون، فقد كنت أحفظ منه نماذج، منها قصيدته التي مطلعها:

ياركب ما سرتم بيوسف ليعقوب

قبل الفجر ينْجاب والليل غربيب

ومنها:

في صَحْصَحٍ كنَّهْ قفا التُّرْسْ مقلوب

يفرحْ به الجني على فقده الذيب

وأستلذ لسماع قصائد أخرى له، ويعجبني فيها سعة الخيال، مع اقتباس الشاعر بعض معانيه من أشعار قديمة، مما يدل على سعة ثقافته واطلاعه على الشعر الفصيح القديم.

وعندما قرأت في تاريخ أبي الشاعر حمد بن لعبون بأن لابْنه محمد أشعاراً في عمر بن عبدالعزيز بن سعود، تمنيت أن تكون تلك الأشعار مما يحويه هذا المجموع، إلا أن الأخ الدكتور الجامع له، ذكر أنه لم يدَّخر وسعاً في البحث عنها، ولكنه لم يستطع العثور عليها، وقد كانت من أوائل شعره، قبل انتقاله من نجد.

لا أُرَانِي بحاجة إلى الاسترسال في الحديث عَمَّا لشعر فحول العامي في نجد،كابن لعبون وابن سُبَيِّل وابن حُمَيْد وابن حِثْلَيْن، وغيرهم من المتقدمين من ميزات، وأخشى ما أخشاه على هذا الشعر أن تتدَاوَلَهُ أفواه الرواة، فتؤثر فيه تأثيراً

يبعده عما كان عليه، إمَّا بتغيير بعض ألفاظه، وإمَّا بإدخال ما ليس منه، كما حدث في الشعر العربي القديم، وهذا مما أحسست به في الآونة الأخيرة منذ منتصف القرن الماضي عند البدء في إذاعة برنامج «من شعر البادية» فقد كان بعض الإخوة الأحبة، المشرفين على هذا البرنامج، ليس على درجة من الحرص على صيانة ذلك الشعر، مع التساهل في تقبل ما يقدم لهم منه من أناس أغلبهم عوام، فقد سمعت من بعضهم تحريفاً في لهجة أحد الشعراء، وزيادة في شعره، مع حذف وتغيير، مما ضعضع ثقتي بكثير من هذا الشعر العامي، منذ منتصف القرن الماضي، وتمنيت اتخاذ الوسائل لحفظه وصيانته من عبث العابثين.

من هنا كنت مسروراً أن يتولى جمع هذا الشعر من المثقفين من أدرك جانباً من الثقافة في تمكنه من إبرازه على وجهه الصحيح، وأنه من التراث الذي يجب الحفاظ عليه، دون المساس به، أو التصرف فيه بزيادة أو نقص.

وإنني لآمل من الأخ الدكتور عبد العزيز أن يكون عمله بالنسبة لشعر هذا الشاعر الفحل ابن لعبون - عند حسن الظن به - سائراً على النهج السويِّ، كما عرفت منه حرصه على المحافظة التامة على الأصل، مع جمع كل ما هو من آثار الشاعر، وتقديمها في هذه المجموعة التي تحوي دراسة وافية عن نشأة الشاعر، وأصله وتاريخ حياته، غير متأثر في جميع ذلك بأي مؤثر يحول دون الوصول إلى الحقيقة.

والله سبحانه يتولاه بالعون والتوفيق،

حمد الجاسر

الرياض - ١٣ ذو القعدة ١٤١٧هـ

****

لا بد من كلمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد:
قال العماد الأصفهاني:

«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن ولو زِيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

«معجم الأدباء – ياقوت الحموي»

لقد دفعني حسن الاستقبال الذي لقيه كتابي: «أمير شعراء النبط محمد بن لعبون مدخل لدراسة سيرته وشعره» ونفاد طبعته، إلى تأليف وإعداد وتحقيق كتابين عن ابن لعبون، الأول سيرته ودراسة في شعره، والثاني ديوان شعره.

إن ما أثاره هذا الكتاب عن ابن لعبون من اهتمام على مختلف المستويات العلمية والإعلامية من خلال ما تلقيته من مكالمات هاتفية ورسائل ومنسوخات (فاكسات) وعبر ما نشر خلال أجهزة الإعلام إذاعية ومرئية ومكتوبة في صحف ومجلات منطقة الخليج والجزيرة العربية، قد جعلني آخذ في الاعتبار جميع ما وصلني من نقد واقتراحات ومعلومات جديدة.

وإنني إذ أكرر ترحيبي بأي نقد بناء وهادف لكل ما كتبته عن ابن لعبون، فإنه ليسعدني تلقي أي اقتراح يساعد على إخراج الطبعات القادمة لأعمالي بحلة أبهى، ومعلومة أدق، وأشمل وأكمل، خدمة لشاعرنا الكبير محمد بن لعبون بشكل خاص، وللأدب الشعبي في جزيرة العرب بشكل عام.

أما منهج البحث عن حياة الشاعر محمد بن لعبون وسيرته فقد اعتمدت خطة بحث اجتهدت في تطبيقها وتتمثل في الآتي:

١- التزام الحياد في جميع مراحل إعداد الكتاب وعند مناقشة جميع مواضيعه، ومن ذلك الانتباه إلى مبالغة معظم الرواة عند سرد الأخبار والطرائف لدرجة تخلط فيها الحقيقة بالخيال، ومع قناعتي بأن ابن لعبون لم يكن بمنأى عن تلك المبالغات التي ربما بلغت حد الأساطير، سواء كانت إعجابًا به أو غيرة منه، إلا أنني ومن باب الأمانة العلمية قد ثبّتّ بعض تلك الروايات عن ابن لعبون كما نقلتها مكتوبة أو مرويّة ولا يُعَد ذلك تصديقًا مني بها أو توثيقًا لها، وإنما العهدة بذلك على من رواها.

٢- الاعتماد في ما يتعلق بسيرة ابن لعبون على مراجع تاريخية موثقة مخطوطة ومطبوعة ورواة ثقات من رجال العائلة والقبيلة.

٣- الاجتهاد عند إبداء وجهة نظري الخاصة حول ما ذكر عن ابن لعبون وسيرته أن أبين تلك الوجهة مستنداً إما إلى منقول أو استنباط معزز بدليل من شعره أو حادثة تاريخية.

٤- بجانب ذكر مرجع كل معلومة أو بيت شعر في الهامش فقد تم في آخر الكتاب ذكر جميع المراجع التي استند اليها واستعين بها في هذا البحث.

رحم الله الشيخ حمد بن محمد بن لعبون - والد الشاعر- فقد وفر علينا الكثير من الجهد وحفظ لنا الكثير من أخبار قبيلتنا ووطد أواشج القربى بين أفرادها بما قام به من أعمال جليلة في هذا الميدان، وامتدت جهوده لتوثيق كثير من أخبار نجد في فترة مهمة من تاريخها. وما مؤلفه الذي أسماه (تاريخ نجد) وعرف لاحقاً بـ (تاريخ حمد بن لعبون) إلا مرجع من مراجع تاريخ المنطقة وسجل لأهم أحداثها وتوثيق لأنساب عوائلها.

لقد دون الشيخ حمد في مؤلفه معلومات قيمة، حول سيرة ابنه الشاعر محمد بن لعبون، وبذا يعد ما كتبه الشيخ القول الفصل في هذا المجال، ويسد باب الاجتهادات والاختلافات التي تفشت بين معظم من كتب عن سيرة الشاعر. رحم الله الشيخ حمد وجزاه الله عنا خير الجزاء.

وجزى الله خيراً جميع شيوخ عائلة الشاعر لما تناقلوه وحفظوه ونقلوه لنا من أخبار الشاعر وعلومه وخاصة من سمعت عنهم ونقلت منهم وبالذات العم ناصر بن حمد بن لعبون والعمة هيا بنت عبدالله بن حمد بن لعبون رحمهم الله.

لا أملك كمطّلع ومهتم بسيرة الشاعر محمد بن حمد بن لعبون ودارس لشعره إلاّ أن أسدي تقديري لعامة الناس وخاصتهم الذين حفظوا لنا الكثير من سيرة الشاعر وتناقلوا قصصه وأخباره فجزاهم الله خيراً إن صح ما نقلوه وعفا الله عنهم إن لم يصح وعفا الله عنا وعنه.

إن أعمال أولئك الأوائل الذين حفظوا لنا شعر ابن لعبون وتناقلوه جيلاً بعد جيل مروياً كان أو مخطوطًا ومنهم فهد الصويغ وحمد بودي وعبدالرحمن الربيعي ومحمد اليحيى وكذلك جهود الذين تجشموا عناء جمع ذلك الشعر وطبعه ومنهم خالد الفرج وعبدالله الحاتم لجديرة بالتقدير والامتنان مع الدعاء لهم من المولى عز وجل بالرحمة والمغفرة.

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى كل المعاصرين المهتمين بشعر ابن لعبون، والذين حافظوا عليه وتناقلوه ودرسوه ليبقى أثرًا شاهدًا على تراث هذه المنطقة الأدبي في فترة حرجة من تاريخها. وأخص منهم عبداللطيف بن سعود البابطين وعبدالله بن محمد الفاخري وعبدالله بن محمد بن خميس ومحمد بن سعد بن حسين ويحيى بن عبدالله المعلمي ومحمد بن عقيل الظاهري ويحيى الربيعان وأختص بالشكر عبدالعزيز بن سعود البابطين لجهوده لذكر الشاعر ابن لعبون على مختلف الأصعدة وآخرها تتويجه لها بإقامة ملتقى ابن لعبون.

كما ولا يسعني إلا أن أشكر أستاذنا الفاضل علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر لتفضله بالاطلاع على أصل هذا العمل والتقديم له، أنعم الله عليه بموفور الصحة والعافية وجزاه الله عنا خير الجزاء.

والشكر موصول إلى كل الذين اطلعوا على كتابي الأول واطلعوا على مسوّدة هذا الكتاب، وأبدوا نقدهم وملاحظاتهم وآراءهم عليه، وأخص منهم إبراهيم بن ناصر المدلج، ومحمد بن علي الزير وعبدالرحمن بن عبدالله اللعبون وفواز بن عبد العزيز اللعبون وعبدالرحمن العقيلي الغربللي.

وشكر خاص مقروناً بالتقدير إلى سليمان الحديثي ومبارك بن عمرو العماري لما قدماه لي من معلومات قيّمة وآراء مفيدة،.

وختاماً لعبدالعزيز السريع ومعاونيه في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين الشكر لما بذلوه من جهد لإخراج هذا العمل وإنجازه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون

الخبر - غرة ربيع الثاني ١٤١٨هـ

****

الباب الأول
سيرة الشاعر
محمد بن لعبون

الفصل الأول

حياة ابن لعبون وسيرته

اختلاف المراجع في سيرة ابن لعبون:

عندما أصدرت كتابي «أمير شعراء النبط محمد بن لعبون: مدخل لدراسة سيرته وشعره» نبهت إلى ما وقع به من سبقني بالكتابة عن ابن لعبون من أخطاء حول سيرته وقدمت معلومات موثقة لا يرقى إليها شك في تحديد نسب الشاعر ومكان مسقط رأسه وسنة ولادته وسنة وفاته ومكانها، ولكن ما زال الالتباس في سيرة ابن لعبون متوارثاً وما زلنا نرى الكثيرين ومن كبار الكتاب يكررون أخطاء السابقين.

اختلفت المراجع الرئيسة التي كتبت عن «ابن لعبون» في تحديد سنة ولادته ومكانها وأيضًا سنة وفاته وهذا ملخص لما ذكرته هذه المراجع:

ذكر خالد بن محمد الفرج صاحب «ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد» عند ترجمته حياة ابن لعبون ما نصه :«ولد شاعرنا في حَرْمَة (ولا نعرف سنة ميلاده)»[١] . وحدد سنة وفاته بعام ١٢٤٧هـ، وذكر أن ابن لعبون «بلغ ستاً وأربعين سنة»[٢] وبذلك تكون سنة ميلاده حسب هذه المعلومات هي سنة ١٢٠١هـ.

أما عبدالله بن خالد الحاتم صاحب «أخبار ما يلتقط من شعر النبط» فقد أشار إلى أن «الشاعر الكبير النابغة محمد بن لعبون المدلج الوائلي المولود سنة ١٢٠٠هـ في تويم من نجد والمتوفى سنة ١٢٤٦هـ بالطاعون في الكويت»[٣] .

وعندما قام محمد سعيد كمال بإفراد شعر ابن لعبون في ديوان واحد ضمن سلسلة «الأزهار النادية من أشعار البادية»[٤] ونشر يحيى الربيعان كتاب «ابن لعبون حياته وشعره»[٥] كررا ما ذكره الفرج في ما يتعلق بسنة ميلاد ابن لعبون ومسقط رأسه.

وأشار عبدالمحسن بن عثمان أبابطين في «المجموعة البهية من الأشعار النبطية» المطبوع عام ١٣٩٨هـ(١٩٧٨م)، إلى أن ابن لعبون «ولد في إقليم سدير ونشأ فيه وتعلم القرآن وكان مولده سنة ١٢٠٠هـ وتوفي في الكويت في سنة ١٢٤٦هـ»[٦].

وأشار عبداللطيف بن سعود البابطين صاحب «طرائف الكلام في شعر العوام» أن ابن لعبون «ولد في بلدة (حرمة) من مقاطعة سدير»[٧] ولم يأت على ذكر سنة ميلاده، إلاّ أنه ذكر وفاته بالكويت سنة ١٢٤٧هـ.

ولا يذكر عبدالله بن محمد بن خميس سنة ميلاد ابن لعبون، ويكتفي بذكر أنه من مواليد حرمة من مقاطعة سدير[٨ و٩].

وقال طلال بن عثمان السعيد في «الموسوعة النبطية الكاملة» ولد شاعرنا في قرية حرمة وقيل في بلدة تويم حوالي سنة ١٢٠٠هـ وتوفي بالكويت سنة ١٢٤٧هـ[١٠]، وذكر حمد محمد السعيدان «صاحب الموسوعة الكويتية المختصرة» أن ابن لعبون ولد في بلدة سدير[١١] وتبعه في هذه المعلومة غنام الديكان[١٢].

ومؤخراً أشار عبدالرزاق محمد العدساني إلى أن ابن لعبون ولد في حرمة سنة ١٢٠٤هـ [١٣] وذكر «أن جميع الكتب والمؤلفات التي تخص الشاعر محمد بن حمد بن لعبون اتفقت على أن مولده مدينة حرمه بمنطقة نجد»، وعن وفاته أنه «مضى عليها ما يقارب ١٦٣سنة» [١٤]. ولما كانت سنة ميلاده هي سنة ١٢٠٥هـ ووفاته سنة ١٢٤٧هـ، فعليه يكون قد مضى على وفاته ١٧١ سنة.

لقد أخفقت المصادر الرئيسة المذكورة آنفًا – في معظم أو كل ما ذكرته حول سيرة ابن لعبون – في تحديد سنة ومكان مولده وعام وفاته. فليست حرمة ولا

التويم مسقط رأس الشاعر وليس هنالك بلدة اسمها سدير وإنما مقاطعة أو إقليم سدير وما سنة ميلاده بسر ولا أي من السنوات ١٢٠٠ هـ أو ١٢٠١هـ أو ١٢٠٤ هـ بسنة ميلاده ولا سنة ١٢٤٦هـ بسنة وفاته رحمه الله.

مولده:

يرجع القول الفصل في تحديد مكان وسنة ميلاد الشاعر وسنة وفاته ومكانها إلى والده نسابة نجد ومؤرخها الشيخ حمد بن محمد بن لعبون حيث يقول عن ابنه: «محمد الشاعر المشهور، المولود في بلد ثادق سنة ١٢٠٥هـ»[١٥] (الصورة ١ و ٢).

أما الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام صاحب «علماء نجد خلال ستة قرون» فيحدد سنة ميلاد ابن لعبون في ربيع الثاني لسنة ١٢٠٥هـ [١٦].

إذن فالشاعر محمد بن لعبون ولد في ثادق سنة ١٢٠٥هـ أثناء إقامة عائلته فيها بعد انتقالها من حرمة بسبب أحداث سنة ١١٩٣هـ.

وفاته:

وحول سنة وفاة الشاعر ومكانها يحدد ذلك والده الشيخ حمد بن لعبون بقوله: «توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧هـ في الطاعون العظيم الذي عمَّ العراق والزبير والكويت»[١٧]. وعن عمر الشاعر يقول أبوه «فيكون عمره ٤٢ سنة» [١٨].

سبب اختلاف الرواة في سنة ومكان ميلاده:

السبب في تكرار ذكر التويم أو حرمة كمكان لمسقط رأس الشاعر ابن لعبون هو كونه من المعروف أن آل مدلج ومنهم آل لعبون هم أهل التويم وحَرْمَة، وهذا ما جعل من كتب عن الشاعر ابن لعبون ينسبه إلى إحدى البلدتين، فكلتا البلدتين أسسهما جدود الشاعر ابن لعبون وسكنوا فيهما، فالتويم عمرها الجد مدلج بن حسين الوائلي وبنوه سنة ٧٠٠هـ، وحرمة عمرها الجد إبراهيم بن حسين بن مدلج سنة ٧٧٠هـ وبقيت الإمارة والشرف فيهما لعائلة الشاعر، فقد كانت الإمارة لآل مدلج في التويم إلى عهد قريب ومازالت في حَرْمَة حتى وقتنا الحاضر.

ربما كانت هذه الحقيقة وراء خطأ من كتبوا عن الشاعر ابن لعبون فذكروا أن مسقط رأسه في إحدى هاتين البلدتين التويم أو حرمة، كما وأن عدم إحاطة معظم من كتب عن ابن لعبون بتاريخ عائلته وعدم اطلاعهم على ما كتبه والده العلامة النسابة المؤرخ الشيخ حمد بن لعبون وغيره من كبار المؤرخين في نجد عن الشاعر، ما جعلهم يختلفون في تحديد سنة ميلاد الشاعر ومكان مسقط رأسه وحتى سنة وفاته.

إنها من إفرازات التاريخ فقد اضطرت عائلة الشاعر ابن لعبون لترك حرمة بعد أحداث سنة ١١٩٣هـ، ونزح والده الشيخ حمد إلى القصب ومنها إلى ثادق حيث ولد الشاعر في ربيع الثاني سنة ١٢٠٥هـ، ومنها انتقلت عائلته إلى حوطة سدير وانتهى المطاف بهم في التويم بلد الأجداد، فاستقر بها الشيخ حمد وجعلها مسكنًا له ونسب نفسه إليها.

نسبه:

ذكر النسابة المؤرخ الشيخ حمد بن محمد بن لعبون نسب قبيلته فقال: «أول من سمّي لنا من أجدادنا حسين أبو علي، وهو من بني وائل، ثم من بني وهب من الحسنة، وكان لوهب ولدان وهما منبه وعلي، .. ولمنبه ولدان وهما حسن جد الحسنة، وصاعد جد المصاليخ » (١٩).

أما نسب الشاعر ابن لعبون فهو محمد بن حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان (الملقب لعبون) بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي البكري العنزي.

سبب تسمية لعبون:

أما سبب تسمية الجد لعبون فقد وجدت في ما نقلته عن شيوخ عائلتنا أن الجد عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج ثارت عليه بندقية ابن عمه حمد الملقب بالحربي أثناء ملاقاة بين أهل حرمة وأهل المجمعة، فنظمت شدقيه ثم برئ منها وصار ريقه يسيل، وبسبب ذلك لقب بلعبون، فحمل هذا اللقب وحملته ذريته من بعده.

نشأته:

ولد ابن لعبون في بلدة ثادق وبها ترعرع ودرس، وتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ونشأ في بيت علم وأدب، وقد تهيأت للشاعر محمد الفرصة للاطلاع على أمهات الكتب في التاريخ والأدب التي تزخر بها مكتبة والده.

البيئة السياسية:

ولد ابن لعبون وترعرع في بيئة سياسية مستقرة بعد أن توطدت أركان الدولة وعم الأمن والاستقرار بعد فترات مظلمة من الفتن والاقتتال والبدع. عايش ابن لعبون مجتمع السياسة والحكم منذ صغره، فقد كان أبوه يصطحبه معه إلى مجالس الأمراء من آل سعود ومدحهم بقصائد. ولابد أنه وعى شيئًا من الصراع السياسي وما يترتب على ذلك من عز للمنتصر وذل للمنهزم.

البيئة الدينية والعلمية:

ترعرع ابن لعبون في ظل الدعوة السلفية التي حمل لواءها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونهل الطفل والشاب ابن لعبون العلوم الشرعية ومبادئ التوحيد والعقيدة والعبادات من مناهلها الصحيحة السليمة. وعاش ابن لعبون في بيت من بيوتات العلم والأدب، ولابد أنه اطلع على أمهات الكتب في التاريخ والأدب، فوالده عالم باحث ومؤرخ ونسابة. تعلم ابن لعبون القراءة والكتابة وبرع في الخط وحفظ القرآن الكريم في صغره.

الغربة:

ولد محمد بن لعبون في السنة التي جلت فيها عائلته من بلدة القصب إلى ثادق من بلدان المحمل بنجد، ومما لاشك فيه أن ابن لعبون عندما أدرك الحياة أحس بمعاناة ومكابدة أهله من جراء أحداث حرمة، وعرف أن عائلته في وضع لا تحسد عليه بعد أن طردت من بلدتها وصودرت دورها وأموالها، وأنها تعيش في ثادق معيشة اللجوء، ولا تدري متى ترحل وإلى أين ترحل. ولابد أنه عرف بأن أبناء قبيلته

وجماعتهم من أهل حرمة قد تفرقوا في بلدان نجد والزبير والهند وغيرها. ولابد للشاب ابن لعبون وأنه قد أحس بوطأة الظروف التي تكابدها عائلته كلاجئين في ثادق، ولابد أنه شارك تطلع أسرته للعودة إلى بلدهم في حرمة، فهاجس النزوح عنها كان يتراءى له كما يتراءى لعائلته كل حين.

الشعر:

إن دراسة سيرة ابن لعبون تثبت لنا أن الشاب ابن لعبون تلبّسه شيطان الشعر وهو ابن الخامسة، ولابد للشاعر أن ينطلق، ولكن من هم حول ابن لعبون طفلاً أو شاباً، عائلته ومجتمعه لا يسمحون له أن ينطلق.

العشق:

إن القراءة في شعر ابن لعبون تشير إلى أنه وقع في الغرام وهو لم يبلغ السابعة عشرة. لقد أحب مي المطيرية وهام بها.

لم يكن بإمكان هذا الشاب الذي غلبه شيطانا الشعر والهوى أن يغلبهما أو يكبتهما. عرف الشاب ابن لعبون وهو خير من يعرف موقف عائلته ومجتمعه حيال عشقه وشعره، ولابد أنه قاسى بسبب ذلك، وأن والده وأسرته قد أحسوا بمعاناه الشاب الشاعر العاشق. وكأنني أحس بمعاناة الوالد التي لا تقل عن معاناة الابن، فقد وقع الوالد أمام ثلاث قوى لا يستطيع السيطرة حتى على واحدة منها: فورة شباب وانطلاقة شاعر وهوس هوى. وكأنني بالشاب قد أيقن – ومقدماً – بخسارة قضيته بين أمور عدة: عشق لم تتوافر له إمكانات إنجاحه، وبلدة تتلمس منه الخطأ. فهو وإن كان قد ولد فيها، إلا أنه غريب عنها، ومجتمع محافظ، وشعر تمكن منه.

لقد أدرك الشاب ابن لعبون أن معظم أفراد قبيلته وجماعتهم قد تفرقوا بعد هدم حرمة، في بلدان نجد والزبير والهند وغيرها. وكأنني وابن لعبون يعد الأيام يوماً بعد يوم ويسابق الزمن ليحصل على شهادة البلوغ ليقدمها إلى والده ليحصل

منه على تأشيرة السفر والانفلات كبقية جماعته، وليسبق عائلته في رحيلها عن ثادق. أدرك الشاب ابن لعبون أنه لابد له من الهروب من بيئته التي ربما لم تكن موائمة لشاب سكنه سلطان الهوى وتلبسه شيطان الشعر منذ نعومة أظافره.

ولابد له والحالة هذه من تضحية كبيرة، لقد انفلت بشبابه وساقه شيطان شعره، ولكنه ضحى بأهله ومحبوبته. محبوبته التي ظل يردد اسمها طيلة حياته. ورب سائل يسأل ماذا كسب ابن لعبون؟. الإجابة عن مثل هذا السؤال تجدها عند عشاق ابن لعبون والمعجبين بشخصيته وشعره.

انعكاسات بيئته على حياته:

بدأت تأثيرات وانعكاسات بيئة ابن لعبون حال تفكيره في النزوح من نجد، فما هذا التفكير إلا امتداد لمعاناة أسرته في الترحال، وتجلت آثار جميع البيئات التي ذكرنا: سياسية ودينية وعلمية وعائلية على حياة ابن لعبون، وتركت بصماتها واضحة عليه وعلى حياته الشعرية. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال دراسة سيرته وقراءة أشعاره.

لقد اتخذ ابن لعبون وحال وصوله إلى الزبير موقفاً سياسياً بوقوفه بجانب أبناء عمومته من آل مدلج وجماعته من أهل حرمة ومن ناصرهم. لقد ثبت ابن لعبون على مواقفه السياسية منذ وصوله إلى الزبير وحتى بعد خروجه منها ودفع بسبب ذلك ثمناً غالياً كالثمن الذي دفعته أسرته من قبل.

وانعكست تربيته الدينية في شعره، فقد بقيت الصلة وثيقة بين ابن لعبون وعقيدته التي نحسبها إن شاء الله سليمة، فلم يردنا من شعره ما يتنافى والعقيدة أو كمال التوحيد. لقد تجلت الخلفية الدينية عند ابن لعبون بكثرة استشهاداته وتضميناته لكثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وذكره للأنبياء والملائكة وما إلى ذلك.

وانعكست خلفيته العلمية وبوضوح من خلال بلاغته ومتانة شعره وجزالة مفرداته وابتكاراته لبحور جديدة وتطوير أخرى، وابتكارات فنية ولفتات ذهنية واستدراكات على فحول الشعراء واقتباسات منهم وتضمينات لمفرداتهم وشعرهم وإشارات إليهم.

وانعكست حياة الغربة لعائلته وتنقلاتها في غربته الطويلة منذ خروجه من نجد حتى وفاته في الكويت، وفي تنقلاته بين نجد والزبير والكويت، والبحرين والهند وغيرها.

تجلي شاعريته:

تجلت شاعرية ابن لعبون قبل ولادته فقد ذُكر أن والده الشيخ حمد بن لعبون رأى حلمًا رواه لزوجته – وكانت حاملاً – وفسر ذلك الحلم بأن الله سيرزقهم ولدًا وسيكون شاعرًا[٢٠] وجاء ذلك الولد وسمّي محمدًا تيمنًا باسم جده. ومرة ثانية تأكدت شاعرية الطفل محمد عندما رأى في المنام بحرًا يشرب منه وجاء لأبيه يحكي قصة ذلك الحلم، ففسره والده بأنه إما علم غزير أو شعر، وصدقت نبوءة الأب فكان البحر شعرًا ينهل منه الابن[٢١].

ربما لا نغالي إذا قلنا إن الشعر ولد مع ابن لعبون، فقد قرضه تلقائياً ومنذ صغره، ولم يردنا من شعره وهو في نجد شيء يذكر وربما كان ذلك لأسباب منها:

١ – عدم اكتراث الكبار ممن حوله بتدوين شعره.

٢ – مكانة والده الشيخ حمد العلمية والوظيفية جعلته لا يذكر من أشعار ابنه إلا أبياتًا مدح بها علية القوم، أما الأشعار الأخرى كالهجاء والغزل فربما ظن أنها مشينة ولا داعي لتشجيع الابن عليها ونشرها.

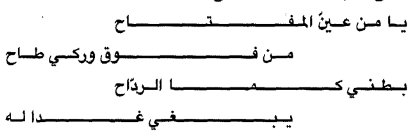
٣ – إدراك الولد الشاعر محمد لمكانة أبيه والبيئة المحافظة من حوله، ما جعله يحجم عن نشر أشعاره والبوح بها.

ومما يرجح ما ذكرنا أنه ليس من المعقول أن تتفتح شاعرية ابن لعبون وبهذه الجزالة والمتانة وسبك المعاني فجأة ولمجرد وصوله إلى الزبير. إن البيئة العلمية للزبير

واحتكاك ابن لعبون بالعلماء والأدباء والشعراء الذين تعج بهم هذه البلدة، صقلت شخصيته وفتحت مواهبه وجعلته ينطلق وبكل قوة، ويقارع فحول الشعراء ويطرق أبواب الشعر ومعانيه ويجدد ويبدع ويبتكر ويكوّن مدرسة جديدة قائمة بذاتها.

انطلاقته:

إن من أوائل ما ذكر عن شعره وهو صغير ربما في الرابعة أو الخامسة من عمره عندما ارتجل أبياتًا من شعر كرد فعل لتمنع أمه أن تعطيه تمرًا، فقد عاد الولد ظهرا من الدرس وكان جائعًا فطلب من أمه تمرًا فتمنعت بحجة أن المفتاح قد ضاع، وربما كان ذلك تعذرًا من الوالدة حتى يأتي والده وتجتمع العائلة كلها للغداء. لم يقتنع محمد بهذا العذر فصعد إلى السطح وركب الجدار وأخذ ينادي بأعلى صوته بحثًا عن المفتاح أو إحراجًا لوالدته لتفتح له مخزن التمر ويقول [٢٢]:



يا من عينّ المفتاح
من فوق وركي طاح
بطني كما الردّاح
يبغي غدا له

وربما كانت هذه أول أبيات قالها، وصادف وصول الأب ورأى ابنه على الجدار يصيح بهذه الأبيات فتحقق للوالد صحة تفسيره بأن ابنه سيكون شاعرًا.

نمت موهبة الشعر عند ابن لعبون ورعاها والده الشيخ حمد الذي كان لا يترك فرصة لصقل مواهب ابنه وتعليمه وزرع الثقة في نفسه إلا وينتهزها، فقد كان يأخذه إلى مجالس الرجال والأمراء من آل سعود وغيرهم ليسلم عليهم وليتعلم كيف يتصرف الكبار ويتحدثون، وخير دليل على ذلك ما ذكره الشيخ حمد أن ابنه محمد قال شعرًا في الأمراء ومنهم عمر بن عبدالعزيز آل سعود ومدحهم بقصائد كثيرة [٢٣]، ولم يصلنا من شعر الصبي ابن لعبون سوى أبيات قليلة منها هذا البيت[٢٤]:

صغيرهم يربى على الشيب بالطيب
لو كان طفل يحمل فوق الاكتاف

و يذكر أن ابن لعبون عند خروجه من ثادق مهاجرًا إلى الزبير وهو في السابعة عشرة من عمره، أشارت إليه امرأة قائلة: «هذا أبو قذيلة اللي يقصد؟» (أي يقول الشعر) فأجابها مرتجلاً بقوله[٢٥]:

أبو قذيله ما وقف عند بابك
ولا فصخ واحد من ثيابك(*)
أنتِ حصاة الدرب كل وطا بك
حتى الأجانب يدلون بابك(**)

وما أن سمعت ذلك الهجاء منه، حتى بادرت لإرضائه بهدية تريد بها العافية.

صفاته:

ورد في بعض المراجع وما يذكر من أحاديث يتناقلها العامة أن ابن لعبون، رحمه الله، كان حسن الطلعة جميل الصوت فطنًا حسن البديهة، وذكر الشيخ حمد بن لعبون في تاريخه أن ابنه الشاعر محمد كان قد «حفظ القرآن، وتعلم الخط، وكان خطه فائقاً، وتكلم بالشعر في صغره»[٢٦].

نوادره وفطنته:

اتصف ابن لعبون بالذكاء وحسن البديهة وارتجال الشعر، ويردد العامة الكثير من الحكايات حول نوادر ابن لعبون وغرامياته حتى اختلطت الحقيقة فيها بالخيال.

إن مما يستشهد به على ذكائه القصة التي تروى عنه حين أراد أصدقاء له دعوته لحضور مجلس أنس وطرب، ولكنهم لا يريدون أن يعرف المكان، فدعوه للحضور شريطة أن يغمضوا عينيه حتى لا يستدل على المجلس. وافق ابن لعبون ومضى معهم معصوب العينين إلى المكان، ولما وصلوا رفعوا الغطاء عن وجهه، سمر الجميع وفي آخر الليل أغمضوا عينيه وعادوا به، وهكذا ظن أصدقاء ابن لعبون أنهم طربوا معه دون أن يعرف مكانهم، وفي الليلة التالية فاجأ ابن لعبون الجميع

(*) قذيلة: تصغير قذلة وهي شعر مقدم الرأس. فصّخ: نزع.

(**) الأجانب: الغرباء عنها.

بحضوره إلى المكان، فعجبوا أشد العجب لمعرفة ابن لعبون للمكان واستدلاله عليه، فأخبر ابن لعبون أصدقاءه أنه كان قد ملأ جيبه حبوبًا وخرق خرقًا صغيرًا في الجيب تتساقط منه الحبوب على طريق سيره إلى المكان، وفي الصباح تتبع الحب فاستدل على المكان.

عشقه وهجاؤه:

إن من أهم استنتاجاتي لما اطلعت عليه من شعر ابن لعبون أنه «أينما حل عشق وحيثما رحل هجا». ولنتلمس هذه المقولة من خلال دراستنا لشعر ابن لعبون وتتبعنا لسيرته. للمزيد حول عشق ابن لعبون انظر الفصل الخامس: ابن لعبون العاشق.

أسفاره وتنقلاته:

لم يستقر بابن لعبون القرار في بلد معين، فما أن بلغ السابعة عشرة حتى ترك «ثادق» مسقط رأسه في المحمل من نجد في تنقل وترحال، إما رغبة منه أو رغمًا عنه (الشكل ٣)، ففي هذه السن المبكرة هاجر إلى الزبير، ومنها نفي أو بالأحرى خرج إلى الكويت، وهنالك قول بأن ابن لعبون خرج من ثادق إلى البحرين وبعدها ذهب إلى الزبير وربما تفسر بعض قصائده بما يعزز هذا القول. وسواء قصد ابن لعبون البحرين بعد خروجه من نجد أم قصد الزبير رأساً، فقد زار البحرين أكثر من مرة. وقد ورد في شعره ذكر للقطيف، مما يشير إلى أنه ذهب إليها وإلى الأحساء. كما ذكر أنه ذهب إلى الهند لزيارة ابن عمه ضاحي بن عون في مدينة بومباي، وكان الشيخ ضاحي رجل العرب في الهند علماً وغنى. ويذكر خالد بن محمد الفرج أن ابن لعبون لم يطب له المقام في الهند لكونه غريب الوجه واليد واللسان، فغادرها معرجاً على البحرين وفيها أمضى وقتاً يسيراً (الشكل ٤). هذا ولم يردنا مما يلقي الضوء على سيرة ابن لعبون وتنقلاته في هذه البلدان إلاّ النزر اليسير.

إن هذه الأسفار والتنقلات وما واكبها وتخللها من ظروف وأحداث، أكسبت ابن لعبون ميزة يكاد ينفرد بها عمن سواه من الشعراء، ولا نقصد بها ميزة السفر والترحال، بل ميزة ما اكتسبه منها من خبرة انعكست متانةً في شعره وصقلاً لشخصيته واعتدادًا

بنفسه. لقد وفر السفر للشاعر ابن لعبون الفرصة ليس للتعرف على بلدان مختلفة فحسب، وإنما للتعايش والتكيف مع بيئات تختلف إلى حدٍّ ما في لهجاتها وعاداتها وثقافاتها ومبادئها مع ما ألفه في مجتمع نجدي شبه مغلق، ولد فيه وترعرع.

انطلق ابن لعبون من مجتمع نجدي في قلب جزيرة العرب إلى مجتمع نجدي آخر في الزبير أكثر انفتاحًا وتأثرًا بالساحل، وسافر إلى مجتمعات أكثر بعدًا عن مجتمعات نجد والزبير، فقد سافر إلى الكويت وبلدان الساحل والبحرين والهند، ووجد في مجتمع الكويت وسطًا بين هذه وتلك، فاستقر بها ليقضي أواخر أيامه.

حنينه إلى نجد:

خرج ابن لعبون من نجد وظل قلبه معلقًا بها وبأحبته فيها ونظم في ذلك شعرًا بثه حنينه وشوقه لهم ولديارهم ودعاءه لبلده ثادق (الصورة ٥) وسكانها بالخير العميم والغيوم المرناة، ومن ذلك قوله:

فَيَا نَادِيِي سِرْ فِي قُرَاهَا وَمَسْنَدِي
إلى حَيْ بَيْنَ اطلاَلْ نَجْدٍ جِثُومَهَا
إلىَ سِرْتَهَا مِنْ دَار مَيٍّ وَغَرِبتْ
ونَابَاكْ مِنْ طُفَّاحْ نَجْدٍ خشُومَهَا
أوَّلْ مَوارِي دَارهُمْ لِكْ جَلاَلَهْ
حَاشَنَا الإلهْ وَبَاقِي الدَّارْ زُومَهَا
علمي بهم قطن على جوْ ثَادِقْ
سِقَاهَا مِرنَّات الْغَوادِي ركُومَهَا
مَرَابيع لَذَّاتِي وَغَايَاتْ مَطْلبِي
وَمَخْصُوصْ رَاحاتِي بهَا في عمُومهَا
ألاَ يا خَبِير بَالمُصادِيرْ حِثْهَا
وَسِرْهَا أمَامَ الدَّارْ تلْقَى علُومهَا

إلىَ جِيتْ فِي وَادِي سدَيرٍ فخَلهَا
تِذِبٌ الْعَفا ماَ فَوقها إلاّ وسُومهَا
إلىَ لاَحْ بَرْقٍ مِنْ حَيا نَجد حَنَّتْ
مِنْ الْوَجدْ حَنَّةْ وَالِدين رحُومهَا

علاقاته:

ساعدت عبقرية ابن لعبون الشعرية وشخصيته المرحة الطربة في توطيد علاقاته مع كثير من وجهاء وأعيان نجد والزبير والكويت والأحساء والبحرين والهند. وورد في شعره ذكر كبار شخصيات عصره، وفي صغره مدح آل سعود ومنهم عمر بن سعود بن عبدالعزيز بقصائد كثيرة، ومدح شيخ الزبير محمد بن إبراهيم بن ثاقب والشيخ ضاحي بن عون وابنه أحمد، والأمير أحمد السديري، والشيخ جابر العبدالله الصباح، وكانت له علاقات ومراسلات مع عدد من وجهاء المنطقة، كالحاج يوسف اليعقوب البدر والشاعر عبدالجليل الطباطبائي وغيرهما.

ثقافته:

إن المتفحص لشعر ابن لعبون يجده ينحو فيه منحى الشعر العربي الفصيح في كل أساليبه ومعاييره ومعانيه وقوافيه وتضميناته واقتباساته، وتجد في شعر ابن لعبون الصور البلاغية وبديعها.

يبدأ ابن لعبون قصائده كما بدأها الأوائل بالنسيب والغزل، ويعرّج على ذكر الركائب والظعائن، ويصف ما تمر به من القفار والفلاة والبلدان، وكأني به يهيئ السامع له، ويحفزه لسماع ما يريد قوله ومتى ما تم له ذلك وضمن التعاطف والاستحسان والثناء، خلص إلى مراده من القصيدة بسلاسة، ثم ختمها في معظم الأحيان بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم.

ويلاحظ القارئ أو السامع لشعر ابن لعبون حسن مطالع قصائده وحسن ختامها، وبين هذه وتلك دقة وصفه، ورقة غزله، وبلاغة مدحه، وعنف هجائه، ومعاناة رثائه.

يتميز شعر ابن لعبون عن شعر معظم شعراء النبط بثرائه اللغوي، فلقد كان للبيئة التي عاش فيها، والظروف الاجتماعية والسياسية التي أحاطت به، أثرٌ كبيرٌ في صقل شخصيته وشاعريته، فقد جمع ابن لعبون بين خلفية عربية نقشت في نفسيته ووجدانه منذ نعومة أظافره وبيئة عامية متباينة من نجد إلى الزبير وبلدان الساحل. عندما كان ابن لعبون في رعاية أبيه العلامة الشيخ حمد بن لعبون، حفظ القرآن وتعلم الخط وبرع فيه وقال الشعر في صغره. إن نشأة ابن لعبون في بيئة علم وأدب مكنته من الاطلاع على أمهات الكتب في لغة العرب وآدابها، مما صقل لغته العربية، وفتح آفاق مداركه الأدبية. وعندما تنقل بين مناطق نجد والساحل ألمَّ بتراثها الشعبي ومفرداتها المحلية. وبهذا الرصيد العلمي وهذه الخلفية الثقافية، اقتحم ميادين الشعر فنبغ فيها، مازجًا فصيحه العربي بعاميّه النبطي، فجاء شعره رصينًا قوياً تجد فيه الكثير من البلاغة اللغوية، واللفتات الذهنية، والمحسنات اللفظية، والاستعارات البديعية، والاقتباسات الأدبية.

انتماؤه السياسي:

بدا انتماء ابن لعبون السياسي واضحا وثابتاً في أكثر من جانب من جوانب حياته وشعره، وكما ذكرنا أن ابن لعبون قدم إلى إمارة الزبير والتنافس على أشده بين حمائل أهلها على السلطة، وما كان لابن لعبون إلا أن يأخذ موقفاً حيال هذه الفئة أو تلك. وعندما حدد ابن لعبون موقفه ثبت عليه حتى النهاية رغم قناعته بما سيدفعه من أجل ذلك من ثمن، لقد وقف ابن لعبون بجانب أبناء عمومته وجماعته ومدح زعماءهم وأطلق العنان لهجاء خصومهم، ووقف موقفاً معادياً لشيخ الزبير علي بن زهير وهجاه هجاء مقذعاً.

لقد دفع ابن لعبون ثمن مواقفه غالياً وتمثل ذلك بخروجه من الزبير التي عشقها وتغنى بها، واضطر لفراق ديار من تعلق بها قلبه وغادر مرابعها.

المؤرخون وابن لعبون:

دخل الشاعر محمد بن لعبون التاريخ من خلال ما كتبه كبار المؤرخين في جزيرة العرب عنه في تواريخهم، فقد أورد معظم هؤلاء المؤرخين نبذة عن حياته

وشعره، ومن أولئك والده الشيخ حمد بن محمد بن لعبون صاحب تاريخ نجد المعروف لاحقا باسم «تاريخ ابن لعبون»، وعثمان بن عبدالله بن بشر صاحب «عنوان المجد في تاريخ نجد»، وعبدالله بن محمد بن بسام صاحب «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق»، ومقبل بن عبدالعزيز الذكير صاحب «العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية»، وعبدالله بن عبدالرحمن البسام صاحب «علماء نجد خلال ستة قرون»، وخير الدين الزركلي صاحب «الأعلام» وغيرهم.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد ما ذكره ابن بشر والذكير، فقد أورد ابن بشر في حوادث سنة ١٢٤٧هـ ما نصه: «وفي هذا الطاعون مات رئيس الزبير علي بن يوسف الزهير، وفيه أيضًا توفي الشاعر المشهور محمد بن حمد بن محمد بن لعبون المدلجي الوائلي، مات بالكويت، وكان شعره جيدًا» [٢٧].

أما مقبل الذكير فلم يذكر من حوادث سنة ١٢٤٧هـ إلا وفاة ابن لعبون وذلك بقوله: «هذه السنة كسابقتها ليس فيها من الحوادث ما يوجب الذكر. وفيها توفي محمد بن حمد بن محمد بن لعبون المدلجي الوائلي الشاعر المشهور توفي في بلد الكويت وكان أشعر شعراء النبط المتأخرين وأكثره من الشعر الجيد المقبول ولا زال يتمتع بقصب السبق إلى الآن»[٢٨] (الشكل ٦).

معاناته:

من خلال قراءة ما توافر لنا من معلومات عن حياة ابن لعبون وتنقلاته، وإن كان مقتضبًا، يتبين لنا كم كانت حياته صعبة، قضاها متنقلاً، إن لم يكن طريدًا، لا يقرّ له قرار وكأنه بذلك يعيد سيرة والده، وتنقل عائلته في قرى نجد بعد هدم حرمة، وبقدر ما اكتسبه ابن لعبون من خلال رحلاته من خبرة وصقل لشخصيته، فقد عانى الكثير من متاعب الحياة وهمومها، وصراعه مع الحكام ومنافسته للشعراء، ومعاناته مع من تعلق بها قلبه، وشظف معيشته، لقد سئم ابن لعبون الحياة ونحا منحى أبي العلاء المعري في لزومياته وتمنى أنه لم يوجد بها، وتكرر منه ذلك في عدد من قصائده ومنها قوله:

لو با تمنى قلت يا ليت من غاب

عما جرى باللوح واللي كتب به

امي وابوي اللي رمـــوني بالاســـبـــاب
يا ليــتــهـا بعـد الحـمـال اسـقطت به

وقوله:

لـو بـا تمـنـى قلت يـا ليت من مـــــات
حـيث الطرب واوصـال الاحـبـاب فـاته

وأخيرًا تداعت قواه أمام المرض العام الذي فشا في المنطقة، واقتنصته يد المنون وهو في عزّ شبابه، فمات بمرض الطاعون في الكويت، رحمه الله وغفر له.

ابن لعبون تزوج ولم يعقب؟:

إن من الشائع لدى الناس أن ابن لعبون لم يتزوج إلاّ أن مما أذكره وأنا في مقتبل العمر أنني سمعت من أحد شيوخ العائلة قوله إن الشاعر قد تزوج بابنة خاله، غير أنني لم أستوثق من هذه المعلومة وقتذاك. ولكنني وجدت في ما ذكره محمد أحمد الثميري والراوية محمد بن عيد الضويحي[٢٩] ما يعزز خبر زواج ابن لعبون من ابنة خاله في معرض ذكره لمناسبة قصيدة توبته، وما ذكره أن ابن لعبون تزوج ابنة خاله في الكويت وأنها أحبته وأحبها.

ومما يعزز صحة خبر زواج ابن لعبون ما ذكره والده المؤرخ النسابة الشيخ حمد بن محمد بن لعبون من معلومات مقتضبة عن ابنه الشاعر محمد بن لعبون بقوله: إن عمره وقت وفاته كان ٤٢ سنة وليس له عقب [٣٠]، وكلمة الشيخ حمد وليس له عقب تعني أنه لم يترك ذرية، ومنها يفهم أن الشاعر ابن لعبون قد تزوج ولكن لم يرزق بذرية تعقبه، وإلا لذكر والده أنه لم يتزوج واكتفى بذلك ولم يأت على ذكر العقب.

وصيته بين الحقيقة والخيال:

مات ابن لعبون في مدينة الكويت ودفن فيها، وهذا لا غبار عليه، ولكن أين يقع قبره رحمه الله؟ لقد أثار هذا الموضوع اهتمام عدد من الناس ونسجت حول قبر ابن لعبون روايات اختلطت فيها الحقيقة بالخيال، ومن ذلك قول بعضهم إن ابن لعبون

أوصى أن يدفن على قارعة الطريق التي تمر بها النساء عند ذهابهن وإيابهن إلى البحر، ومثلها ما يشاع عن أبيات تنسب إلى ابن لعبون في تحديد مواعيد لقائه بالنساء على السِّيف، ربما تكون شيئاً من الأساطير الكثيرة التي حيكت حوله.

وصايا الشعراء:

فقد أوصى عدد من الشعراء وخاصة أولئك الذين أضناهم العشق أن يدفنوا بجانب ما أحبوا أو من أحبوا ومثال ذلك قول الشاعر(*):

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فإنني
أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فهل نفذت وصية هذا الشاعر وهل يعقل أنه كان صادقاً في كلامه؟.

وهل نفذت وصية الشاعر (**) الذي قال:

بلغوها إذا أتيتم حماها
أنني مت في الغرام فداها
واذكروني لها بكل جميل
فعساها أن تبكي عليَّ عساها
واصحبوها لتربتي فعظامي
تشتهي أن تدوسها قدماها

وليست وصية ابن لعبون – إن كان فعلاً قد أوصى بها – عن هذه الأمثلة ببعيد.

قبر ابن لعبون في مقبرة:

سبق وأن أبدينا تحفظاً حول ما ذكر عن وصية نسبت إلى ابن لعبون بدفنه في طريق النساء إلى البحر، فمع عدم وجود ما يثبتها سوى ما يتندر به العوام، نقول

* البيتان من قصيدة للشاعر أبي محجن الثقفي، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، مجلد ١٨، طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩، ص٢٨٩.

** الأبيات من قصيدة للشاعر الأخطل الصغير، شعر الأخطل، ص١٥١-١٥٢

وعلى فرض أن ابن لعبون فعلاً قد أوصى أن يدفن على طريق النساء، وهذا من باب المبالغات التي اعتاد عليها الشعراء في وصف هيامهم وعشقهم، فمن ذا الذي سينفذ وصيته؟. إذ ليس من المعقول أن يسمح أهل الكويت وحكامها وعلماؤها وأصدقاء ابن لعبون ومعارفه ووجهاء الكويت، كالحاج يوسف اليعقوب البدر وعائلته، أن يدفن مسلمٌ خارج مقابر المسلمين حتى ولو أوصى بذلك، لتنافيها ومبادئ الشرع المطهر وعرف المجتمع السليم، وهل كل من أوصى تنفذ وصيته؟. هذا من جهة، ومن جهة أخرى مات ابن لعبون في وباء الطاعون وفي وقت لا يجد الموتى من يدفنهم وأحياناً يدفن الموتى في قبور جماعية. فمن ذا الذي سيلتفت إلى ابن لعبون لينفذ وصيته (إن كان قد أوصى) ويدفنه في طريق النساء؟. إنها من الأساطير التي حيكت حول ابن لعبون.

ومما يعزز ما ذكرنا ما أورده الدكتور يعقوب الغنيم [٣١] بأن ابن لعبون دفن في مقبرة الرشايدة.

إذن ، دفن ابن لعبون في مقابر المسلمين وليس كما يشاع ويصدق تلك الشائعات العوام.

موقع قبره:

هناك الكثيرون ممن اهتم بالبحث والتحقق عن موضع قبر ابن لعبون، فمن قائل إنه دفن في اليسرة ومن قائل في الوطية، ومنهم من قال إنه دفن في «منطقة سحيلة في القبلة بناء على وصيته» [٣٢]. ربما تكون اليسرة والوطية وسحيلة تسميات محلية لمنطقة واحدة أو قريبة من بعضها الآخر. وعموماً فالمنطقة المذكورة تقع قرب مبنى مجلس الأمة الحالي ومتحف الكويت الوطني.

وقد ذكر لي الأديب عبدالعزيز بن سعود البابطين [٣٣] الذي قام ومنذ مدة طويلة بالاتصال بكبار السن والمهتمين بابن لعبون وشعره من أهل الكويت، وخاصة أولئك الذين يظن أن لهم دراية وعلمًا بالمكان الذي دفن فيه، أن أحمد الجارالله أخبره أن سليمان الجراح كان قد دلّه على المكان الذي دفن فيه ابن لعبون. كما أن

عبداللطيف الثويني ومنصور الخرقاوي أيضًا يعرفان موقع قبر ابن لعبون، وأنه يقع في منطقة الجسرة (اليسرة) بالكويت التي كانت تعرف بنقعة البحر على ساحل السيف (الصورة ٧)، وهي اليوم حديقة متحف حمود بن يوسف البدر.

وحول موقع قبر ابن لعبون يذكر الشيخ عبدالله بن محمد الفاخري عن عمه أحمد بن عبدالله الفاخري الذي عاش في الكويت خلال الفترة ما بين ١٣٢٥هـ إلى ١٣٦٩هـ، أن ابن لعبون دفن في براحة ابن بحر جنوبي مسجد ابن بحر [٣٤].

ويذكر الأديب خالد سعود الزيد أن ابن لعبون دفن في مقبرة في تلك المنطقة [٣٥].

ويحدد الدكتور يعقوب بن يوسف الغنيم موقع قبر ابن لعبون «ونقعة الصقر بين اليسرة الواقعة غرباً وبيت البدر، وقبر ابن لعبون يقع في المقبرة المزالة في الزاوية الشمالية الغربية منها ويعادل زاوية مدرسة عمر بن الخطاب الشرقية الجنوبية التي هدمت وأدخلت ضمن موقع مجلس الأمة وكانت هذه المقبرة تسمى مقبرة الرشايدة».[٣٦] (الصورتان ٨ و٩).

هذا وقد قمنا وبصحبة الأخ أحمد الجارالله وأخيه الشاعر سليمان الجارالله والشاعر فواز بن عبدالعزيز اللعبون بزيارة ديوانية البدر التي ذكر عبدالله بن خالد الحاتم أن ابن لعبون سكن فيها عند قدومه للكويت أول مرة، وتجولنا في المنطقة التي ذكر أن ابن لعبون دفن فيها. ديوانية البدر ما زالت قائمة (الصورتان ١٠ و١١) ويجاورها بيوت أعيان الكويت مثل الصقر والغانم والعثمان، قبل إزالتها منذ عقود مع بداية تحديث الكويت.

لقد تحفظت في كتابي الأول «أمير شعراء النبط محمد بن لعبون: مدخل لدراسة سيرته وشعره» حول ما ذكر عن قبر ابن لعبون ووصيته وأكرر تحفظي على هذه المعلومة وأذكر ما يفند مقولة أن قبر ابن لعبون كان متميزاً وعليه قبة وكان مزاراً بالنقاط التالية:

١ - عدم وجود دليل مادي يؤكد وجود القبة.

٢ - عدم وجود إثبات أو ذكر تاريخي موثق لوجود مثل هذه القبة.

٣ - ليس من دين وشيمة أهل الكويت أن يبنوا على القبور قبابًا ويجعلوها مزارات ولن يرضى حكامهم وعلماؤهم بمثل ذلك.

٤ - إن تبني أهل الكويت لمبادئ الدعوة السلفية وقرب عهدهم بها وقتذاك يجعلهم يحاربون البدع وبناء القباب على القبور وجعلها مزارات.

٥ - مات ابن لعبون رحمه الله في فترة كثر فيها الموتى بسبب الطاعون لدرجة أنه في حالات عديدة كان يدفن العشرات في قبور جماعية، وربما لم يجد بعض الموتى من يدفنهم، وليس من المعقول وفي مثل هذه الظروف أن أحدًا يفكر في تمييز ابن لعبون ودفنه بقبر لوحده وعلى قارعة الطريق ويبني عليه قبة.

إيضـــاح:

لقد أساء بعض من اطلع على ما كتبته في كتابي «أمير شعراء النبط محمد بن لعبون: مدخل لدراسة سيرته وشعره» في طبعته الأولى، ص ٤٠-٤١ ، فهم ما ذكرته عن وصية ابن لعبون ودفنه على طريق النساء إلى البحر وما ذكر عن قبة على قبره وأنه كان مزاراً .

لست أنا بالقائل إن ابن لعبون أوصى بأن يدفن في طريق النساء، أو أن هنالك قبة على قبره، أو أن قبره كان مزاراً، أرجو أن يكون ذلك واضحاً للقراء. فأنا أدحض هذه المقولات، وخلاصة القول أن ابن لعبون لم يوص بدفنه في طريق النساء، وإن مثل هذه الوصية لم تنفذ (على فرض أنه أوصى)، وأنه دفن في مقابر المسلمين (وليس بقبر لوحده)، وأنه لم يكن على قبره قبة، وأن قبره لم يكن مزاراً.

وأزيد على ما تقدم بالقول بأنه وفي ظل الظروف التي توفي فيها ابن لعبون يكاد يكون من المستحيل أن يعرف قبر ابن لعبون، بل وفي أية مقبرة دفن. فكثرة المقابر وكثرة الموتى ورهبة الموت وفظاعة الوباء تجعل الناس تذهل عن أعز أقربائها. فمن ذا الذي سيلتفت إلى ابن لعبون ليضع على قبره ولو علامة ليستدل بها عليه؟.

****

الهـوامـش

(١)، (٢) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد)، ج١، ص ٨٠- ٨٢.

(٣) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص٢٥٦.

(٤) محمد سعيد كمال (الأزهار النادية من أشعار البادية)، ج١٠، ص ٣.

(٥) يحيى الربيعان (ابن لعبون حياته وشعره)، ص ٩.

(٦) عبدالمحسن بن عثمان أبابطين (المجموعة البهية من الأشعار النبطية)، ص١١٧.

(٧) عبداللطيف بن سعود البابطين (طرائف الكلام من شعر العوام)، ط١، ص ١١، ط٢، ص ١٣٥.

(٨) عبدالله بن خميس (الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ص ٩٢.

(٩) عبدالله بن خميس (رموز الأدب الشعبي تنبع من أصلها الفصيح)، ص ٣٧.

(١٠) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج٢، ص٤٢٠

(١١) حمد محمد السعيدان (الموسوعة الكويتية المختصرة)، ج ٣، ص١٢٨٩.

(١٢) غنام الديكان (تحليل الإيقاعات الكويتية في الأغنية الشعبية)، ج١، ص٣٨٤.

(١٣) عبدالرزاق العدساني (شاعر الأطلال محمد بن لعبون حياته وشعره)، ص ٣٠.

(١٤) عبدالرزاق العدساني، المصدر السابق، ص ٤٧, ٢٨ .

(١٥) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٧و٨ س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٠٠.

(١٦) عبدالله بن عبدالرحمن البسام (علماء نجد خلال ستة قرون)، جـ ص ٢٣٧.

(١٧, ١٨, ١٩) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٧و٨، س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٩٤.

(٢٠) عبدالعزيز بن سعود البابطين، مقابلة شخصية، الكويت ١٩٩٥م.

(٢١) نقلاً عن العم ناصر بن حمد اللعبون، المتوفى بالرياض عام ١٤١٤هـ، عن عمر ناهز المائة عام، رحمه الله.

(٢٢) نقلاً عن عبدالعزيز بن سعودالبابطين، الكويت، ١٤١٦هـ، عن والدته العمة حصة بنت عبدالعزيز اللعبون.

(٢٣) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب ج ٧و٨ س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٠١.

(٢٤) محمد بن غنام، مقابلة شخصية، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٢٥) عن العم ناصر بن حمد اللعبون.

(٢٦) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب ج ٧و٨ س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٠١.

(٢٧) عثمان بن عبدالله بن بشر(عنوان المجد في تاريخ نجد)، ج٢، ص٨٤.

(٢٨) مقبل الذكير (العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية)، ص ٣٨.

(٢٩) محمد بن أحمد الثميري ومحمد بن عيد الضويحي (الفنون الشعبية في الجزيرة العربية) ص ١٥٥.

(٣٠) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٧و٨، س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص٦٠١.

(٣١) يعقوب يوسف الغنيم، بحث ابن لعبون حياته وشعره، ص ٣.

(٣٢) عبدالله بن عبدالعزيز الدويش، الفن والسامري، ص ١٤.

(٣٣) عبدالعزيز بن سعود البابطين، مقابلة شخصية، الخبر، ١٤١٦هـ.

(٣٤) عبدالله بن محمد الفاخري، مقابلة شخصية في ٢٦ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ.

(٣٥) خالد سعود الزيد، مقابلة شخصية في الكويت في ٢٩ / ٣/ ١٩٩٧م.

(٣٦) يعقوب يوسف الغنيم، بحث ابن لعبون حياته وشعره، ص ٣.

****

الفصل الثاني

الوضع العام في عصر ابن لعبون

نظرًا لما للوضع السائد في عصر ابن لعبون من أثر كبير في حياته الخاصة، وتأثير بالغ في شعره، ونظراً لتنقل قبيلة ابن لعبون وعائلته في أكثر من بلد خلال فترة عصيبة وحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية، لذا كان لابد من إلقاء نظرة على أوضاع البلاد والمجتمعات التي عاش فيها ابن لعبون.

ظهر ابن لعبون في فترة حرجة وهي فترة تخلخل دولة الخلافة العثمانية وتضعضعها، ووصول الأوروبيين وبشكل خاص الإنجليز إلى مياه الخليج العربي وسواحله لمهاجمة الدولة والانقضاض على ثغورها، وبث الدسائس وإذكاء الفتن بين شعوبها، لقد أفرزت هذه الحقبة من الزمن وضعًا سياسيًا ودينيًا واجتماعيًا أقل ما يقال عنه إنه مضطرب، وفي هذا الوضع وجد ابن لعبون نفسه في خضم صراع عنيف للاستحواذ على السلطة.

ترحال عائلة ابن لعبون في نجد:

الخروج من أُشيقر وبناء التويم:

أرّخ الشيخ حمد بن محمد بن لعبون في كتابه تاريخ نجد والمعروف اليوم باسم «تاريخ حمد بن لعبون» لحادثة خروج بني وائل من بلدة أُشيقر (الصورة ١٢) وتفرقهم في بلدان نجد بتفصيل نذكر منه ما نصه[1]: «ثم رحل بنو وائل، رحل مدلج (جد عائلة الشاعر) وبنوه، وجدُّ أهل حريملاء وسليم (جد آل عقيل)، وجدُّ آل هويمل الذين منهم آل عبيد المعروفون بالتويم، والقصارى المعروفون في الشقة من قرى القصيم، وآل نصر الله المعروفون بالزبير. فاستوطنوا بلد التويم.

وكان أول من سكن التويم مدلج وبنوه، ثم اجتمع عليه قرابته ومنهم آل حمد آل أبو رباع. كان تعمير مدلج وبنوه لبلدة التويم عام ٧٠٠ للهجرة تقريباً. وبعد أن اتسعت التويم وضاقت بأهلها بدا لبعض بني وائل الارتحال والتفرد بأوطان لهم (الشكل ١٣).

ارتحل إبراهيم بن حسين بن مدلج إلى موضع بلدة حرمة وعمّرها وكان ذلك في عام ٧٧٠ للهجرة تقريباً (الصورة ١٤). اتسعت حرمة وغدت محط أنظار بني وائل فقصدتها حمائل كثيرة بطلب القرب من إبراهيم بن حسين بن مدلج الذي أشار إلى من طلب النزول عنده أن ينزل عند عبدالله الشمري (جد السيف والدهيش) الذي سبق وأن أعطاه إبراهيم الموضع المعروف اليوم بالمجمعة، والتي كان بناؤها عام ٨٢٠ للهجرة. وكان ممن سكن المجمعة جدُّ التواجر وجدُّ آل بدر وجدُّ آل سحيم وجدُّ الثمارى وغيرهم. أما آل حمد فقد انتقلوا إلى حريملاء عام ١٠٤٥هـ. وارتحل سليم جدُّ آل عقيل إلى العيينة».

كان وسط جزيرة العرب بشكل عام ونجد بشكل خاص قبيل عصر ابن لعبون بمنأى عن دولة الخلافة العثمانية، فلكل إقليم منها بل ولكل مدينة أو قرية أميرها الخاص بها، وكل إمارة في صراع مع من حولها من الإمارات، وبذا شاعت الحروب والغزوات، وتقاتل المسلمون في ما بينهم، وتنافس أبناء البلد الواحد على رئاسته وسفكت الدماء من أجل ذلك.

هذا من الناحية السياسية والأمنية، أما من الناحية الدينية فقد أصاب عقيدة الناس ما أصابها. «وكان الشرك إذ ذاك قد فشى في نجد وغيرها، وكذا الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور، والبناء عليها والتبرك بها والنذور لها، والاستعاذة بالجن والنذر لهم، ووضع الطعام وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم، والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر»[٢].

وبقيت المنطقة في هذه الحالة حتى قيض الله لها - بشكل خاص - ولجزيرة العرب بشكل عام، والعالم الإسلامي بشكل أعم، رجلاً مصلحًا هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله، الذي ظهر في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وأخذ على عاتقه تصحيح ما انحرف من معتقدات هذه الأمة، وسعى لنشر التوحيد بعدما تفشت فيها البدع والضلالات، وقد هيأ الله لهذا المصلح في عام ١١٥٧هـ أمير الدرعية محمد بن سعود ليقف بجانبه، ويسانده في نشرها في الجانب الآخر لها وهو حمايتها وفتح الأبواب الموصدة أمامها.

بلدة حَرْمَة:

وخلال تلك الحقبة من تاريخ نجد جرت أحداث جسام تركت آثارًا لها داخل نجد وخارجها، ومن ذلك ما حصل في بلدة حَرْمَة (الصورة ١٥) من إقليم سدير التي أسسها إبراهيم بن حسين بن مدلج جد شاعرنا ابن لعبون الذي انتقل إليها من التويم التي أسسها جده مدلج الوائلي.

قامت حَرْمَة وأختها الكبرى التويم بدور كبير في تاريخ المنطقة، وتركتا لهما أثرًا في كتب التاريخ، وفي ما يتعلق بموضوعنا حول الوضع العام في سدير فإنني سأستعرض أهم الحوادث في تاريخ حَرْمَة من خلال ما نشر عن تاريخ المنطقة، فقد ذكر ابن بشر عند سرده لحوادث سنة ١١٨٨هـ قوله: «وفيها وفد أهل بلد حرمة على الشيخ (الشيخ محمد بن عبدالوهاب) وعبدالعزيز (عبدالعزيز بن محمد بن سعود)، وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، وطلبوا منه عدم المطالبة بالجهاد حتى تركد بلادهم، فأجابهم إلى ذلك»[٣].

وفي حوادث سنة ١١٩١هـ ذكر ابن بشر أن عثمان بن عبدالله بن مدلج أمير حَرْمَة أبلغ عبدالعزيز بن محمد بن سعود أن أهل حَرْمَة «قد ظهرت منهم أمارات الردة ونقض العهد»، فأرسل عبدالله بن محمد بن سعود [٤] بالجيش إلى حَرْمَة «فوصلوا بلد حرمة بالليل وهم هاجعون، ففرق عبدالله رجالاً في بروج البلد والبروج

التي على السور وعلى الدور وعلى بنيان القلعة والجموع في متارسها، فلما انبلج الصباح ونادى آذان الفجر حي على الصلاة، أمر صاحب كل بندق أن يثوّر ما في بطنها فثوروا البنادق دفعة واحدة، فارتجت البلد بأهلها وأسقط شيء من الحوامل، ففزعوا فإذا بالبلاد قد ضبطت» ولم يترك عبدالله بن محمد البلد إلاّ بعد أن أخذ البيعة من أهلها، واقتاد أربعة رهائن من كبار رجالها.

وفي ذات السنة ١١٩١هـ حصلت حوادث شغب داخل بلدة حَرْمَة - بعد اغتيال أميرها - وأذكى هذه الفتنة من كان خارجها، واضطرب الأمر في حرمة والمجمعة «فجهز إليهم عبدالعزيز ابنه «سعود» وسار إليهم ومعه جميع أهل البلدان من العارض والوشم وسدير ركبانًا ومشاة.... فوقع بينهم وبين أهل البلد قتال، ونازلوهم أيامًا فصالحهم سعود، أنهم يطلقون الأسرى الذين عندهم من أهل المجمعة، ويطلق لهم الرهاين الذي في الدرعية، وبايعوه وشرط عليهم أن جاسر الحسيني(٥)، يرحل عن البلد ففعلوا واستعمل عليهم أميرًا ناصر بن إبراهيم...»(٦).

وتدخل سنة ١١٩٣هـ ومن حوادثها يذكر ابن بشر أن أهل حَرْمَة نقضوا العهد باتفاقهم مع أهل الزلفي وبني خالد على مهاجمة المجمعة، وكان بها مرابطة وضباط من جهة عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وتحركت هذه الجموع وحاصروا أهل المجمعة إلاّ أنهم لم يتمكنوا من دخولها، ولما طال أمد الحصار وعلم بنو خالد أن أهل المجمعة ممتنعون؛ رحلوا منصرفين، وكذلك رحل أهل الزلفي إلى بلدهم، وبقيت الحرب بين أهل حَرْمَة وأهل المجمعة.

وبعد أن تفرقت الجموع من حول المجمعة، جهز عبدالعزيز بن محمد أخاه عبدالله بن محمد بجيش ونازل أهل حَرْمَة في قتال شرس، قتل فيه من أهلها عددًا من الرجال، ولم يحسم الأمر، إذ رحل عنهم عبدالله بالجنود إلى أوطانهم وبقيت الحرب بين أهل حَرْمَة والمجمعة وهم محاصرون. وفي كرة ثانية جهز سعود بن عبدالعزيز بن محمد جيشًا «استنفر أهل البلدان مشاة وركبانًا ونزل على بلد حرمة وحاصرها أشد الحصار وقطع نخل قاضيهم عبدالله المويس وملك أكثر نخلها،

وأقام عليها عدة أيام كل يوم يباكرها بالقتال ويراوحها حتى وصل إلى جدار القلعة وحصرهم فيها»[٧]. استمر القتال حتى طلب أهل حَرْمَة الصلح «فأبى عليهم إلا أن تكون بيت مال أو يزيل ما في البلد من المحذور من الرجال وغيرهم، فصالحه أهلها على ما في بطن الحلة والأموال» ولما استقر الصلح كتب سعود إلى أبيه يخبره بذلك، فكتب إليه والده «إن أهل هذه القرية تكرر منهم نقض العهد وهي محذورة كلها فاهدمها ودمرها»، فهدم سورها وبعضًا من بيوتها وأمر أيضًا على أناس من أهلها أن يرتحلوا عنها[٨].

هكذا انتهى الحال بحَرْمَة وأهلها، نزحوا عنها إلى أرض الله الواسعة فمنهم من بحث له عن موطن في نجد كالشيخ حمد بن لعبون والد الشاعر وعمه فراج وبعض أفراد عائلته، وأكثرهم هاجر إلى الزبير، ومن ضمنهم كثير من آل مدلج أبناء عمومة الشاعر في نزوح جماعي، ترك أبلغ الأثر في تاريخ إمارة الزبير بشكل خاص والمنطقة بشكل عام.

لجوء عائلة ابن لعبون: القصب - ثادق - الحوطة - التويم:

دفعت عائلة ابن لعبون ثمناً غالياً بعد أحداث حَرْمَة في عام ١١٩٣هـ. لقد كابد الشيخ حمد بن محمد بن لعبون وعائلته الكثير من الصعاب والترحال بين بلدان نجد (الشكل ١٦) قبل أن يستقر بهم القرار في بلد الأجداد بلدة التويم.

بعد أن استقر الوضع في نجد، ونعمت بالأمن وسيادة الشرع، تفتحت عيون ابن لعبون وهو في ثادق على معاناة أفراد عائلته وهم يتطلعون لبلد الآباء والأجداد بلدة حَرْمَة (الصورة ١٧) وظلت العائلة تعايش أحداث عام ١١٩٣هـ وما حلّ ببلدتهم، لقد قاست العائلة كثيراً بسبب الهجرة من حَرْمَة إلى محطة السفر القسري الأولى بلدة القصب (الصورة ١٨) ومنها إلى المحطة الثانية بلدة ثادق التي جلت إليها العائلة في عام ١٢٠٥هـ وفي هذا العام ولد الشاعر محمد بن حمد بن لعبون وفي هذه البلدة ترعرع، فظل يشارك أهله حنينهم إلى بلدهم حَرْمَة ويعلم أن ثادق لن تكون المقر الدائم لعائلته، فهاجس الهجرة يؤرقهم، فقرر مواصلة الترحال وترك

ثادق قبل أن يتركها والده وعائلته وشد الترحال في عام ١٢٢٢هـ بعيدًا إلى الشمال الشرقي إلى إمارة الزبير (الصورة ١٩).

ما لبث الشيخ حمد بن لعبون أن انتقل وعائلته إلى حوطة سدير (الصورة ٢٠) في عام ١٢٣٣هـ، وبعد خمسة أعوام أمضتها العائلة في الحوطة قررت العودة في سنة ١٢٣٨هـ إلى مسقط رأس جدودها إلى التويم التي أسسها الجد مدلج بن حسين الوائلي عام ٧٠٠ هـ، وبها استقر الشيخ حمد وجعلها مسكنًا له (الصورة ٢١).

نزوح الشاعر ابن لعبون من نجد:

يعد نزوح الشاعر الشاب ابن لعبون من نجد إلى الزبير منعطفاً ترك أعظم الأثر في حياته الاجتماعية والشعرية، وطالما نحن بصدد دراسة سيرة ابن لعبون، لابد لنا من وقفة لإلقاء الضوء على الدوافع التي ربما كانت وراء نزوحه إلى الزبير. إن دراسة سريعة لوضع عائلة الشاعر في نجد ومكانة والده الشيخ حمد بن لعبون تجعلنا نستنتج وبشكل عام أهم تلك الدوافع والتي تتلخص بالآتي:

١ - إدراك الشيخ أن أشعار ابنه الشاب قد تسبب إحراجاً له وخاصة لما يتمتع به من مكانة في مجتمعه وخشيته أيضاً من أن تتعارض أفكار وأشعار ابنه مع أفكار المجتمع المحافظ الذي لا يميل إلى الشعر النبطي وأغراضه التي أشهرها الغزل.

٢ - إدراك الشيخ حمد بن لعبون بفطنته أنه لن يستطيع أن يكبت موهبة الشعر المتفتحة في ذهن ولده الشاب أو قهر «شيطان شعره»، في الوقت نفسه لن يستطيع أن يترك العنان لابنه أن يعبر عن مشاعره بحرية الشاعر.

٣ - ربما تعاطف الشيخ مع موهبة الشعر لدى ابنه ودعم توجهه وشجعه لقرض الشعر، فالشيخ نفسه شاعر وإن لم ينشر شيئًا من شعره، إلاّ أن أبياتًا ذكرها في مؤلفاته يؤرخ فيها لأحداث جرت في نجد تؤكد معرفته بالشعر وقرضه له.

٤ - ربما وجد الشيخ نفسه أمام معادلة صعبة: إما أن يحتفظ بابنه مقهورًا مكممًا وقد يترتب على ذلك ما لا تُحمد عقباه أو أن يرسله إلى خارج نجد.

٥ - نزوح عوائل نجدية إلى الزبير وخاصة من أقرباء الشاعر وأبناء عمومته وتمتعهم في بحبوحة من العيش جعل من الذهاب إلى الزبير حلماً يراود الكثيرين من أهل نجد وخاصة الشاب الشاعر ابن لعبون.

٦ - علاقة الشيخ حمد بن لعبون الوطيدة بابن عمه الشيخ ضاحي بن عون آل مدلج عندما كانوا في حرمة وبعد سفر الشيخ ضاحي إلى بومباي بالهند وابنه احمد بن ضاحي العون أحد شيوخ ووجهاء الزبير، ربما جعلته يستحسن فكرة إرسال ابنه الشاب إلى الزبير وربما نفذ الفكرة بعد أن رتب ذلك ونسق مع الشيخ أحمد بن ضاحي العون.

٧ - مما يرجح الاحتمال أعلاه أن ابن لعبون الشاعر ظل ملتصقاً وقوي الصلة بابن عون حتى بعد خروجه من الزبير.

وعليه يكون الاحتمال الأقوى أن خروج الشاعر ابن لعبون ذي السبعة عشر ربيعاً إلى الزبير كان بتنسيق بين والده الشيخ حمد والشيخ أحمد بن ضاحي العون.

إمارة الزبير (نجد الصغيرة):

كانت الزبير ملاذًا لمن يقصدها ومأوى لمن يحتمي بها، فعندما تعصف الفتن والصراعات بنجد أو تقسو الظروف على أهلها وتشح المياه وتجدب الأرض وتعم موجات القحط، يتجه أبناء نجد شمالاً بشرق في هجرات جماعية وفردية ناشدين متسعًا من العيش في الزبير (الصورة ٢٢).

انتقلت عوائل من أهل نجد إلى الزبير واتخذوا منها نجداً بديلاً وجعلوا منها إمارة نقلوا إليها كل ما في نجد من عادات وتقاليد حتى الصراع على رئاسة البلد

انتقل معهم إلى الزبير، فتنافس على الإمارة عوائل، ومن العائلة الواحدة تنافس أفراد. حافظ أهل نجد في الزبير على عاداتهم وتقاليدهم وتوارثوها أباً عن جد، حتى أن بعض هذه العادات والتقاليد انقرض في نجد ولكنها بقيت في الزبير.

كما تنفذ أهل نجد في الزبير، تملكوا في البصرة الكثير من البساتين والنخيل، فكانت مصدر ثراء لهم ومتنفسًا ومتنزهًا. ومع ما لبساتين النخيل والفواكه والخضروات والأنهار الجارية في البصرة من أثر يغري النفوس بالاستقرار بها، لا سيما لأولئك القادمين من قلب جزيرة العرب القاحلة، ومع هذا وقفت هذه العوائل النجدية وقفة تصميم وإرادة أمام هذه المغريات، وقررت الاستقرار بالزبير، وجعلت منها إمارة نقلت إليها كل ما حملته هذه العوائل معها من حب وإعزاز لنجد ومن عادات وتقاليد وطرق معيشة، فكانت الزبير «نجد» الصغيرة، يفصلها عما حولها سور يكتنف هذا المجتمع النجدي بكل جزئياته، فعندما نزحت حمائل من نجد متجهة شمالاً إلى العراق حيث الأنهار والخيرات، ظلت متمسكة بعاداتها وتقاليدها النجدية، فأبت الانصهار في المجتمعات الأخرى.

هذه هي الزبير التي تعلق بها قلب ابن لعبون، وهام بأطلالها وبتذكر أحبته فيها، وظل يتغنى بها حتى وفاته. وصل ابن لعبون إلى الزبير عام ١٢٢٢هـ وعاش فيها أحلى سنوات عمره وخرج منها في عام ١٢٤٢هـ.

الملاذ الآمن:

عندما يفر أفرادٌ بل وعوائل من بلدانهم خوفًا من ثأر أو خشية انتقام أو هربًا بكرامة وعزة، يجدون في الزبير ملاذًا وبلدًا بديلاً. لقد احتضنت الزبير وطبان بن ربيعة بن مرخان في سنة ١٠٦٥هـ عندما لاذ بها هاربًا بعد أن قتل في الدرعية ابن عم له يدعى مرخان بن مقرن بن مرخان بسبب الصراع على الحكم[٩و١٠]. وقد كان لآل ثاقب، وهم من ذرية وطبان، شأن كبير في التنافس على إمارة الزبير والاستئثار بها.

وفد إلى الزبير في عام ١١٦٠هـ يحيى بن سليمان بن محمد بن زهير مع ولديه يوسف وسليمان[١١]، وكان ليحيى هو الآخر وذريته شأن في صياغة تاريخ الزبير.

واستقبلت الزبير أفواجًا من النازحين من نجد عقب كل موجة جفاف وما أكثرها من موجات تعصف بنجد، وقد أطلق الناس على أهم سنين الجفاف والقحط أسماء تميزها عن بعضها الآخر، ومنها عام بلادان وهبدان وصلهام وسحدان وسحي وشيتة وسوقة ودولاب وغيرها.

كما استقبلت الزبير نوعًا آخر من النازحين؛ وهم المرّحلون أو اللاجئون سياسياً، إن صح التعبير، فنتيجة للأحداث السياسية والصراعات الداخلية في نجد نزحت عوائل برضاها أو رغمًا عنها. انتقلت عوائل لتستقر في الزبير، وعملت مع من سبقها في بناء مجتمع نجدي خاص بها. لقد وجدت العوائل التي خرجت أو أخرجت من حَرْمَة في سنة ١١٩٣هـ، بعد طردهم منها وقطع نخيلهم وهدم بيوتهم ومصادرة أملاكهم، في الزبير بلداً بديلاً ومستقراً بنوا لهم فيه نجداً آخر. ومن هذه العوائل العون والعودة واللعبون من آل مدلج والعبدالكريم (المعمر) والسميط والعقيل والعنيزي والفداغ والقرطاس وغيرهم[١٢].

نبذة عن إمارة الزبير:

إن موضوع كتابنا هذا لا يتعلق بتاريخ الزبير، إلاّ أنه لابد من سطور قليلة تسلط الضوء على طبيعة هذا البلد، وأوضاعه السياسية قبيل وبعد وصول ابن لعبون إليه، لما في ذلك من أهمية لمعرفة العوامل التي أثرت في حياة ابن لعبون وشعره، وتوضيحًا لأحداث وأسماء ذكرها في شعره.

إن المتتبع للتاريخ السياسي في الزبير لابد أن تستوقفه أكثر من ملاحظة وميزة يتمتع بها هذا البلد وسكانه المهاجرون إليه من نجد.

١- الموقع الجغرافي :

إن موقع الزبير الجغرافي (الشكل ٢٣) له أكبر الأثر في رسم تاريخ هذا البلد السياسي ووضعه المتميز. يقع بلد الزبير على أطراف البادية، وتؤثر فيه طباعها وأعرافها، وهو ليس بمنأى عن البصرة حيث سلطة الدولة العثمانية ونظمها

وتشريعاتها، لذا نرى الزبيريين يلجؤون مرة للبادية وعشائرها، ومرة يستندون إلى الدولة وسلطتها، والزبير عند طرف الخليج وعلى صلة ببلدان الساحل عن طريق ميناء الخوير. وكما أن للزبير دورًا في تاريخ الكويت فإن للكويت أيضًا دورًا في تاريخ الزبير.

٢- الوضع الديني:

ينتشر عدد كبير من أضرحة الصحابة والتابعين، رضي الله عنهم، في بلدة الزبير وحولها (الشكل ٢٤). فالزبير سميت بهذا الاسم نسبة إلى الصحابي الجليل الزبير بن العوام المدفون في وسط المدينة، وبالقرب من قبر الزبير يقع قبر عتبة بن غزوان، وعلى مشارف الزبير قبر طلحة بن عبيد الله وقبر أنس بن مالك، ويقع قبر الحسن البصري في المقبرة المسماة باسمه، وفيها أيضاً دفن محمد بن سيرين وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً وعموم المسلمين. إن وجود قبور هؤلاء الصحابة والتابعين في مدينة الزبير وحولها جعل العثمانيين يضفون على هذا البلد صبغة دينية، ويخصون أهلها بميزات واستثناءات مثل إعفاء أهلها من الضرائب والخدمة العسكرية.

٣- الوضع السياسي:

الموقع الجغرافي للزبير عند طرف الخليج العربي وعلى أطراف البادية وبين إمارات ومشيخات المنطقة التي هي محور الصراع الدولي وقتذاك، وطبيعة سكان الزبير الذين تغلي في عروقهم نزعة السيادة، كل ذلك جعل من الحس السياسي الأكثر تفاعلاً لدى سكان الزبير مع مجريات الأحداث المحيطة بهم. كما كان للوضع السياسي العام أكبر الأثر في تشكيلة وصياغة الحياة السياسية في هذا البلد. لقد كان الصراع الخفي يدور بين حملة الأفكار الموالية لدولة الخلافة العثمانية – من جهة – والمتأثرين بالانجليز والموالين لهم – من جهة أخرى.

لقد كان لمعظم النازحين إلى الزبير من قوة الشخصية والمنزلة الاجتماعية والخلفية السياسية ما جعلهم يطمحون لتبوؤ المكانة اللائقة بهم، وانتزاع السلطة

وتولي الإمارة، ولا سيّما أولئك المنحدرون من عوائل ذات عزة وسيادة ومنعة في نجد. ومثال ذلك ذرية ثاقب بن وطبان الذين يرتبطون مع آل سعود بالجد مقرن، فقد كان لهم دور كبير في التاريخ السياسي للزبير، وصراعهم مع العوائل الأخرى من أجل اعتلاء سدة الحكم، وآل زهير الذين تنفذوا في الزبير وحكموا، وكذلك أهل حَرْمَة وحريملاء من آل مدلج وآل بو رباع من أبناء بكر بن وائل بن عنزة، وغيرهم من كبار أسر هاتين البلدتين والبلدان الأخرى من نجد. ومجمل القول إن هؤلاء الرجال نقلوا إلى الزبير كل ما حملوه معهم من نجد وحافظوا عليه، ومن ذلك تنافسهم على الرئاسة والشرف.

إمارة الزبير ودولة الخلافة:

ارتبطت إمارة الزبير رسميًا بدولة الخلافة العثمانية، وتميزت علاقتها بالدولة بميزات خاصة. لقد كان للموقع الجغرافي والطابع الديني لبلد الزبير أكبر الأثر في تميّز علاقة الزبير بدولة الخلافة العثمانية وتحديد معالمها.

رسمت أول اتفاقية أبرمها الشيخ يحيى بن محمد بن زهير والقاضي إبراهيم بن محمد بن جديد في سنة ١٢١١هـ (١٧٩٧م) نيابة عن أهل الزبير مع الوالي العثماني على العراق ملامح تلك العلاقة المتميزة [١٣]. إن من أهم شروط تلك الاتفاقية هو تمتع إمارة الزبير باستقلال ذاتي ضمن سلطة الدولة العثمانية، وألا تتدخل حكومة البصرة العثمانية في سياسة الزبير الداخلية، وأن يعفى أهل الزبير من الضرائب ومن الخدمة العسكرية، وأن تقوم الدولة بتزويد إمارة الزبير بوسائل الدفاع عن نفسها خارجياً، وإخماد الفتن داخليًا. وبموجب هذه الاتفاقية تمتعت إمارة الزبير بنوع من الاستقلالية في اتخاذ القرار ضمن دولة الخلافة.

تأسست الزبير – ولها هذا الحضور الديني وموقعها الفريد على أطراف الصحراء العربية جنوبي العراق وعلى رأس الخليج العربي قريبة من الكويت ومن البصرة – قبل أربعة قرون وتتالى على حكمها.. يحيى بن محمد بن زهير ١٢١١هـ – ١٢١٣هـ ، ثم

إبراهيم بن ثاقب بن وطبان ١٢١٣-١٢٣٧هـ، ثم محمد بن إبراهيم بن ثاقب ١٢٣٧هـ لمدة ستة شهور، ثم يوسف بن يحيى بن زهير ١٢٣٨هـ، لشهور قليلة، ثم محمد بن إبراهيم بن ثاقب ١٢٣٨-١٢٤١هـ، ثم ناصر بن ناصر بن راشد ١٢٤١ - ١٢٤٣هـ، ثم جاسر بن فوزان بن سميط ١٢٤٣هـ لمدة قصيرة، ثم تولى الشيخ علي باشا الزهير بدعم من متسلم البصرة العثماني عزيز آغا.. عام ١٢٤٣هـ، واستقرت الأحوال بالزبير حتى عام ١٢٤٧ هـ (١٨٢١م) حيث مات الشيخ علي بوباء الطاعون الذي عم المنطقة.

٤ - الوضع الأدبي والثقافي:

أما من الناحية الأدبية فقد كانت الزبير منارة علم وأدب وثقافة، حيث كانت تعج بالعلماء والأدباء والشعراء، وقديماً أطلق عليها لقب الشام الصغيرة لكثرة ما بها من علماء وأدباء وشعراء ومثقفين. إن من أبرز الشعراء الذين عاصروا ابن لعبون في الزبير واضطلعوا بدور كبير في حياته الشعرية الشاعر الكبير عبدالله بن ربيعة الذي كان صديقاً ونديماً لابن لعبون تبادل معه الإخوانيات حيناً والهجاء حيناً آخر وهذا ما جعل بعض الأدباء يقول عنهما إنهما في تنافس ، وربما أعاد تاريخ الأدب فيهما ما كان بين جرير والفرزدق، فقد أثر كل منهما في شعر الآخر.

وصول ابن لعبون إلى الزبير:

وصل ابن لعبون إلى الزبير في عام ١٢٢٢هـ حيث أبناء عمه من آل مدلج من بني وائل وجماعتهم الذين سبقوه بالهجره من حَرْمَة مع مئات ممن هاجر إليها من أسر سدير خاصة ونجد عامة. وكان لآل مدلج عامة وبالذات آل عون ومنهم أحمد بن ضاحي الرئاسة والشرف والغنى في الزبير، كما كانت لهم في التويم وحَرْمَة من قبل.

وصل ابن لعبون وهو ابن السبعة عشر ربيعًا وفي زهرة شبابه، إلى الزبير فوجد فيها ما لنجد في قلبه، فجو الزبير الصحراوي أشبه ما يكون بجو نجد وهوائها، ومبانيها كمباني نجد مادة، وتخطيطًا، وسكانها جميعهم من نجد وأهل سدير خاصة، ومعظمهم من قبيلته من بني وائل من عنزة.

استقر ابن لعبون في الزبير واتخذها بلداً له، لقد أحب ابن لعبون بلدة ابن عوام (الزبير) وتمنى أن لا يموت إلا بها لقوله:

يالله عسى يا ملا ما موت

إلا بهاك المفاريقِ

ولحبه للزبير وتعلقه بها قوله بعد خروجه منها:

من ولف دار لابن عوام

شبت بنار الحشا ناره

ومعظم شعر ابن لعبون وخاصة بعد خروجه من الزبير شوق ولوعة وتذكر للزبير وأحيائها ومواضعها وأحبته فيها. هذا ولم يأت شاعر قبل ابن لعبون أو في عصره وحتى وقتنا الحاضر من تغنى بالزبير وذكر معالمها مثلما ذكرها ابن لعبون.

البصرة:

في إطار اتفاقية أهل الزبير مع الدولة العثمانية انصرف أهل الزبير لإدارة شؤونهم السياسية والإدارية والاقتصادية، دونما تدخل من متسلمية البصرة إلاّ في حالات تستدعي التدخل، عندما يستنجد بها حكام أو جماعات لإخماد فتن أو دعم حاكم أو مساعدته لاستعادة سلطته. وقد تصرف ضمن هذا الإطار متسلما البصرة محمد كاظم آغا وعزيز آغا خلال الأحداث التي جرت إبان الصراع على السلطة بين آل ثاقب وآل زهير، وما حصل من فتن بين أهل حرمة وحريملاء، مما استدعى التدخل المباشر للمتسلمية.

وقد تعرض كاظم آغا لهجاء ابن لعبون في معرض قصيدته التي هجا فيها ابن ربيعة، ومنها قوله:

وخلوه يبدي حالة غير حاله

يا راجي كاظم وهو قبل حمّال

وأيضًا:

واســتــدرجـــه كـــاظم وكـــاظم زمـــالــه
من ركـــبـــهـــا يـازي لـهـــا دوم زمّـــال

قبائل جنوبي العراق:

كما ازدهر الوضع الاقتصادي لبلدة الزبير بسبب موقعها الجغرافي عند أطراف بادية جنوبي العراق، فقد تأثر وضعها السياسي بهذا الموقع أيضًا. فقد قامت العلاقة بين حكام الزبير وآل سعدون أمراء قبائل المنتفق بدور فاعل في تشكيل الوضع السياسي والأمني في الزبير. تدخل أمراء آل سعدون وخصوصًا الشيخ حمود بن ثامر السعدون تدخلاً مباشرًا في شؤون الزبير الداخلية والسياسية خاصة، فقد كان تأثيرهم في ذلك يوازي تأثير السلطة العثمانية. ففي الوقت الذي حظي فيه آل زهير بدعم متسلمية البصرة، وقف آل سعدون – وبقوة – بجانب آل ثاقب في صراعهم مع آل زهير على إمارة الزبير. لقد دعم آل سعدون، إبراهيم بن ثاقب لتسلم زمام الأمور في الزبير، ودعموا ابنه محمداً من بعده عسكرياً وسياسيًا حتى هروبه إلى الكويت. وتعرضت بلدة الزبير للهجوم والحصار من قبل عيسى بن محمد بن ثامر السعدون وأتباعه، وبدعم من شيخ الكويت جابر العبدالله الصباح تمكن عيسى في سنة ١٢٤٩هـ من اقتحام الزبير واعتقال شيخها عبدالرزاق بن زهير وإخوته الأربعة، وإعدامهم، وإعادة تنصيب محمد بن ثاقب شيخًا في الزبير.

وقد ذكر ابن لعبون الشيخ حمود السعدون وكذلك الوالي العثماني على العراق داود باشا بقوله:

ولـولا حـــمـــود هـو وداود شـــالـه
مـا اســتـملك البـصـره وبذلـه للأمــوال

الكـويت:

تربط إمارة الكويت وإمارة الزبير روابط ووشائج قوية، والوضع في إحدى الإمارتين يؤثر على الأخرى. كما تربط أهل الزبير وأهل الكويت صلات قربى

ونسب، وكثيراً ما استقبلت إحدى الإمارتين جموعاً من إخوتهم في الإمارة الأخرى عندما تتعرض إحداهما لظروف طارئة سياسية أو معيشية. وكثيراً ما استنجد حاكم بآخر، وما دعم الشيخ جابر الصباح لمحمد بن ثاقب لتولي أمور الحكم في الزبير إلا دليل على ذلك. وكما فتحت الزبير، بواباتها لأهل الكويت وحكامها كذا فعل أهل الكويت لأهل الزبير فعندما دفع ابن لعبون ثمن مواقفه السياسية وجرأة لسانه، وخرج من الزبير، لجأ إلى الكويت.

عندما خرج ابن لعبون من الزبير توجه إلى الكويت عن طريق ميناء الخوير الذي يقع في طرف خور عبدالله (خور الزبير) القريب من الزبير، والمعروف لدى العامة هناك بالمجدم. وصل إلى الكويت فوجد أن شهرته قد سبقته إليها، فحظي باستقبال وحفاوة أهلها عامتهم وخاصتهم، فقد كان ابن لعبون على صلة ببعض أعيان الكويت وأدبائها، ومنهم الحاج يوسف اليعقوب البدر[١٤] .

مكث ابن لعبون بالكويت وقلبه معلق بالزبير وذكرياته فيها، وظل يتغنى بها (وبمحبوبته وأطلالها). وبعد أشهر قليلة سئم ابن لعبون الحياة في الكويت فسافر إلى البحرين ولكنه عاد إلى الكويت واستقر بها ليمضي بقية حياته.

البحرين:

تردد ابن لعبون ولأكثر من مرة على البحرين فوجد فيها (الصورة ٢٥) مجتمعًا استقبله وتجاوب مع شعره وفنونه، فازداد لمعان نجمه وتفتقت عبقريته عن فنون ابتدعها لأول مرة وهو في البحرين. توجه ابن لعبون للبحرين من مقر إقامته في الكويت وأمضى مدة في البحرين. وفي آخر زيارة له للبحرين اضطر لمغادرتها نهائيًا إلى الكويت التي أحبها وأحبته.. حتى وفاته .

****

الهــوامــش

(١) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب ج ٧و٨ س٥٩٣، ٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٩٥.

(٢) عثمان بن عبدالله بن بشر (عنوان المجد في تاريخ نجد) ، ج١، ص ١٢٣.

(٣) عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ج١، ص ١٣١.

(٤) عبدالله بن محمد بن سعود هو والد الإمام تركي بن عبدالله.

(٥) الصحيح أنه جاسر الحسني نسبة إلى قبيلة الحسنة (اشتهر بجاسر الحسيني نسبة إلى حسين بن مدلج والحسنة للجميع وهو جد آل ماضي من آل مدلج).

(٦) عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ج١، ص١٣٥.

(٧) عثمان بن عبدالله بن بشر ، المصدر السابق، ج١، ص١٣١.

(٨) عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق ، ج١، ص١٣١.

(٩) الصانع والعلي (إمارة الزبير بين هجرتين)، ج١، ص٦١.

(١٠) محمد الرقراق، لمحات من ماضي الزبير، ص ٣٥.

(١١) محمد الرقراق، المصدر السابق ، ص ٣٥.

(١٢) الصانع والعلي، المصدر السابق ، ج١، ص ٦٢.

(١٣) الصانع والعلي، المصدر السابق، ج١، ص ١١٠.

(١٤) عبدالله بن خالد الحاتم، (أمير شعراء النبط محمد بن لعبون)، مجلة البيان، العدد الثاني، مايو ١٩٦٦م.

ذكر الحاتم أن ابن لعبون وصل الكويت خلال الفترة ما بين ١٢٣٥- ١٢٤٠هـ والصحيح أن ابن لعبون خرج من الزبير إبان فترة حكم الشيخ علي بن زهير التي امتدت عملياً من عام ١٢٤٢- ١٢٤٧هـ (الصانع والعلي، ج١، ص ١٥١) وابن لعبون خرج من الزبير في عام ١٢٤٢ هـ والإمارة لناصر بن راشد والسلطة بيد علي بن زهير.(ارجع إلى موضوعنا متى خرج ابن لعبون من الزبير).

****

الفصل الثالث

الصراع بين ابن لعبون وابن زهير وخروجه من الزبير

تطرقنـا تحت موضـوع «ابن لعبـون الوجـه الآخر» إلى ما يتناقله ويتندر به العـامـة حـول أسـبـاب خـروج أو هـروب ابن لعـبون من الزبير، ونتطرق هنا إلى الأسباب الحقيقية وراء اتخاذ ابن لعبون قراره بترك الزبير واتخاذ ابن زهير قراره بنفـي ابن لعبـون.

ابن لعبون وصراع السلطة:

عـايش ابن لعـبـون مـرارة الصـراع والتنافس على السلطة في إمـارة الزبيـر ووجدها أشد اضطرابًا من نجد، فالتـنافس فيها على الرئاسة قائم على أشده بين آل ثاقب الوطبان يناصرهم السـعدون، وآل زهير يناصرهم أهل حَرْمَة وحريملاء، فخاض ابن لعبون غمار هذا الصراع فأطلق العنان لشاعريته لنصرة أبناء عمه وجماعته، وتحمل تبعات ذلك من الحكام وممن شايعهم من الشعراء والعامة. ووقف ابن لعبون في وجه ابن زهير وحرض جماعته عليه ودفع مقابل ذلك أغلى ثمن وهو خروجه من الزبير.

تدهور الوضع في الزبير، بمقتل الشيخ ناصر بن راشد، وشتتت الفتنة الحلفاء وأبناء العم من أهل حرمة وحريملاء، وعايش ابن لعبون هذا الوضع المأساوي وهو في الكويت. ومن هناك بقي في صف جماعته من أهل حرمة

يناصرهم بلسانه متعرضاً بذلك لكل القوى التي تآمرت عليهم بمن فيهم شيخ الزبير والمتسلم العثماني للبصرة وشيوخ المنتفق. وقد أرخ ابن لعبون لأهم أحداث هذه المرحلة من تاريخ الزبير في قصيدة تعد من روائع شعره ومطلعها:

يا عـــبـــيــد من قــصت يمينه شـــمـــاله

يـشـــــوف فــــعـلـه ذاك عــــدل ولـو مــــال

خسر أهل حرمة الصراع بخديعة عزيز آغا متسلم البصرة لهم، وقتله لزعيمهم جاسر بن سميط وتعذيبه لجماعتهم وفرضه عليهم غرامات، كما ونهبت دورهم وهاجر بعضهم إلى الكويت.

أسباب الصراع:

إنه صراع مرير بين ابن لعبون وشيخ الزبير علي بن زهير. لقد كان ابن لعبون عنيداً متصلباً في مواقفه السياسية، فلم يداهن أو يتملق أو يرضَ بالأمر الواقع، لذا فقد دفع ابن لعبون ثمن مواقفه السياسية مرارًا، وأغلى ثمن لهذه المواقف خروجه من الزبير رغبة منه أو رغماً عنه.

إننا إذ نناقش هذا الموضوع نستشهد بما تعرضت له صورة ابن لعبون من تشويه وافتراء، وتقديم الدليل على مجانبة الصواب لما أشاعه الناس حول أسباب خروج ابن لعبون من الزبير.

إن ابن لعبون حقيقة لم «يُخرج أو «يُطرد» أو «يُنفى» أو «يهرب» من الزبير وإنما خرج بطوعه ورغبته وبالطريقة التي أرادها والوقت الذي اختاره. وهذه معلومة قد تكون جديدة على كثير من الناس وسنثبتها في مناقشتنا هذه.

إن وراء قرار ابن لعبون الخروج من الزبير أسبابًا عديدة، ووراء اتخاذ الشيخ علي بن زهير قراره بطرد ابن لعبون من الزبير أسباب عديدة أيضًا وكلاهما سعى لذلك. إنها لعبة الطرفين وسنرى من الرابح ومن الخاسر؟

النقل الشفوي:

تعددت الروايات حول هذا الموضوع وسنذكر روايتين: الأولى سمعتها منذ صغري، وهي أن ابن لعبون ذهب لمعايدة علي باشا الزهير شيخ الزبير فأعطاه الشيخ عيدية وضعها في ردنه «كمه» وعند خروجه من مجلس الشيخ التقى بـ «طقاقة» «ضاربة دف» فصاحت به «الحذية يا ابن لعبون» فأجابها وبسرعة قائلاً «خذي ما طويل ... بأكرم مني» يقصد بذلك الشيخ علي، وأفرغ ما في ردنه في حجرها. ومازال العامة يتندرون بهذه الرواية ويجعلونها سبب «هروب» ابن لعبون من الزبير لأن ابن زهير غضب على ابن لعبون لتصرفه هذا فطلبه فهرب.

لعل هذه الرواية هي من أوهام النقل الشفوي، لأنها ليست السبب في خروج ابن لعبون من الزبير لوجود ما يدحضها من صريح الدلالة واستدلال الاستنباط، وهذا ما سنتطرق إليه في مناقشتنا هذه.

أما الرواية الثانية فذكرها الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري وهي: «إن ابن زهير كافأ ابن لعبون بدراهم عن قصيدة مدحه بها، فلما مرت به الدفافة فريجة قرعت الدف تغني له، فرمى المكافأة في دفها، وقال لا يكون ابن زهير أكرم مني.. أو لا يكون العبد أكرم مني. فطلبه ابن زهير لأجل ذلك فهرب». وهذه الرواية أيضًا من أوهام النقل الشفوي وكما قال أبو عبدالرحمن «لا صحة لها» لأنه لم يذكر أن ابن لعبون مدح ابن زهير بقصيدة.

ومع ما في الروايتين الشفويتين من تشابه واتفاق في المغزى، إلاّ أنني أوردتهما للاستدلال على عدم صحتهما كدليل لما استشهد بهما عليه، وهو سبب خروج ابن لعبون من الزبير. وهذا ما يجعلنا نقف عند معظم – إن لم يكن كل – مصادر النقل الشفوي ونجتهد في تمحيصها قبل الجزم بصحتها، أو اعتمادها.

والآن سننتقل للاستدلال بدليل من شعر ابن لعبون وما أثبته بعض الدارسين لشعره.

صريح الدلالة:

ويقول الأديب عبدالله بن خالد الحاتم في مقالة نشرها في مجلة «البيان» الكويتية [1] إن الشاعر عبدالله بن ربيعة أبلغ الشيخ علي بن زهير أن ابن لعبون نظم

قصيدة جديدة، ولاهتمام ابن زهير بما يقوله ابن لعبون من شعر فقد طلبه ليسمع منه، فحضر ابن لعبون وألقى قصيدته وهو على علم بفطنة وذكاء ابن زهير. ومطلع القصيدة هو:

يَـا خَـــــفِـي الّـلطْفْ لِطْـفَكْ يَـا كـــــــرِيمْ
تَرْحَمْ الّلـيْ الـيُـــومْ عَـــجُـــزْ لاَ يقُـــومْ

وذكر الحاتم أن ابن زهير عندما سمع القصيدة التفت إلى من حوله وقال عن ابن لعبون «إنه يحرك رأسًا نائمًا»، وأمر ابن لعبون بمغادرة الزبير وأعطاه مهلة ثلاثة أيام. وذكر الحاتم أن ابن لعبون قال «ولكني سأترك الزبير اليوم وفي هذه الساعة» وخرج ابن لعبون من الزبير في ساعته[٢].

بقي أن نقول إن الحاتم ذكر في كتابه «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» [٣] أن ابن لعبون قال هذه القصيدة يهجو جماعته أهل حَرْمَة ويمدح شيخ الزبير علي بن يوسف الزهير، وحقيقة الأمر أن ابن لعبون لم يهجُ جماعته، ففي هذه القصيدة مدح ابن لعبون ابن عمه واستغرق في ذلك معظمها، أما مدحه للشيخ علي فلم يرد في القصيدة مطلقاً، فالقصيدة ذم له بصورة غير مباشرة، وهذا ما استدركه الحاتم في مقال نشره في مجلة «البيان» بقوله «والذي يقرأ هذه القصيدة يظنها مدحًا للشيخ علي الزهير والحقيقة خلاف ذلك فابن لعبون مدح الشيخ علي الزهير على طريقة ابي الطيب المتنبي مع كافور»[٤].

قراءة في قصيدة: يا خفي اللطف: استدلال الاستنباط

تعد هذه القصيدة من أهم قصائد ابن لعبون لما تضمنته من معان وما ترتب عليها من نتائج تركت أبلغ الأثر في عطاءاته الشعرية ومنعطفًا في سيرته الذاتية. وتمثل هذه القصيدة جانبًا من بلاغة ابن لعبون ودليلاً على حكمته وفطنته وذكائه وأسلوبه في صياغتها لتحقيق أهدافه التي خطط لها في صراعه مع الشيخ علي بن زهير.

استهل ابن لعبون قصيدته بتضرع مؤثر إلى الله سبحانه وتعالى يستشف منه عجزه، ويسأله أن يلطف به وكأنه في ضائقة ويتوجس خيفة ويخشى مكروهًا:

يَـا خَـــــفـيْ الّـلطْفْ لِطْـفَكْ يَـا كـــــــرِيمْ
تَرْحَمْ الّلـيْ الـيُـــومْ عَـــجُـــزْ لاَ يقُـــومْ

بدا قلق ابن لعبون أكثر وضوحا في الأبيات الثلاثة التالية:

مـــسْتَـــهَـــام لاَ يَنَامْ وَلاَ يِنِيمْ
مِنْ سِـــراهيــدْ التَّـــمَـــانِي والحُلومْ
مِـــغْـــرم فِيْ وَاديْ أحْـــبَـــابهْ يِهِـــيمْ
يَسْـــــألْ اطْلاَل المَنَازِلْ وَالـرِّجـــــومْ
كِلِّمَـــا نَاحَتْ حَـمَـــامَـــاتْ الصِّـــرِيمْ
فِيْ مَـــغَـــانِيْ مَيْ نَاوَحْت الـهـــمَـــومْ

فهو مستهام لا ينام ولا ينيم بسبب سواهيد التماني والحلوم هائمًا في وادي أحبابه ويسأل أطلال المنازل والرجوم ويناوح الهموم. وفي البيتين التاليين إشارة إلى أن هنالك من يلومه وتزعجه علومه ويحذره ويهدده وينقل له العلوم:

وان كـــشـــفت غطاي والى ان الحـــرِيمْ
قَـــاعِـــدَاتٍ مِنْ صَـــبَـــاحَ اللّه تِلومْ
قِلَتْ بِاسْـــمكْ يَا إلـهْي يَا رَحِـــيمْ
قَـــالْ رَبِيٍّ قَـــبْلكمْ وَيْش العلُومْ

وفي الأبيات الأربعة التالية صريح الدعوة له (ابن لعبون) بترك «دار ذا العيش الرميم»، وفي كلمة ذا إشارة إلى الزبير التي غدا العيش فيه رميمًا والارتحال عن ماه والدعوة عليه «جعلك ما تقوم» فيه حث واستنهاض لهمته للمغادرة. لقد تعمد ابن لعبون ذكر اسمه صريحًا (يا محمد) حتى لا يُفهم ان الخطاب لغيره أو أنه قصد به غيره. ثم تعنيف له ليترك الديار التي دعا عليها بالخراب ليسكنها البوم، وأنه لابد له من نسيان أصحابه القدامى وحتى مي وهي من تعلق بها قلبه فإن وصالها لن يدوم:

قَـــالَوْا اترك دَارْ ذَا الـعَـــيْشْ الرمـــيمْ
وارْتَحلْ عَنْ مَـــاهْ جِـــعْلك مَـــا تِقُـــومْ
يَا مـــحَـــمَّـــدْ سَـبْـــعَـــةَ أعـــوامْ مِـديمْ
بِالسَّـــفَـــاه وَسَـــبْـــعَـــةَ اعْـــوامٍ تْعُـــومْ

مــا وَرَاْ مــيــر انْتْ يَا الميــشُــومْ شِيــمْ

عَنْ دِيـار جــــغْلْ سَــــاكِنْـهـنْ بُـومْ

وِانْسْ ذَاكَ الْوِلْـف وَالـعَــهْــد الـقَــدِيمْ

واعْـــرفْ إنْ وصَـــالْ مَـيٍّ مَـــا يـدُومْ

بعد هذه المقدمة التي رسم بها ابن لعبون واقعه وواقع الدار وأهلها في نظره توجه إلى الموضوع الثاني لقصيدته حيث مدح في ثمانية أبيات متتالية ابن عمه الشيخ ناصر بن راشد ونعته بالكريم ابن الكريم وبسطوته غشومًا إذا سطا. ويستغرق في مدحه لدرجة المبالغة ويستنهض همته بعبارات قويه جزلة المعنى:

وانْتْ مــاَ أنِـتبْ فِيْ وَلَدْ عَــمِّك غَــشِـيـمْ

قِلْتْ يَـالـعَــذْرَا وَلَـدْ عَــمِّيْ عـــزُومْ

لَـوْ وَلَدْ عَــمِيْ عَلىَ عُــوق الخَــصِــيمْ

مَــا لِقِـيـتــونِي مِـسَـامْـر للَّنجُـومْ

إنْ عَطـا فُـــهُـــوْ الكِرِيمْ ابن الـكِرِيمْ

وإن سِطاْ فُـهُــوْ الغَــشُـومْ ابْنَ الغَـشُـوم

مِلْقح بَـافْكَـارهْ الـحْــرب الـعـــقـــيمْ

وضــعْـهَــا عِـقْبْ الفَــحَلْ غِلمَــانْ تُومْ

يــورِد الــرَّايَــاتْ فِــي هــول عَــظِـيــمْ

خَــافِـقَــاتٍ بِالنَّصــرْ مِـثْل الغُـيـــومْ

يِحْـتــرِقْ فِي نَارْ حَـرْبهْ كــالـهَـشِـيـمْ

مِنْ يُرومْ الطْايَـلاَتْ وْفِـــيـــه زَومْ

ثَـابِتٍ لاَ زَالْ بَالْـهِــيْـــجَــا مِــقِـيمْ

وَالسَّـــبَـــايَا طافِــحَـــاتٍ بَالقُـــرُومْ

لاجــيـــات بـالـحـــشـــا مـــثـل الفطيم

مَـعْ تـخـــاريـص الـبَـنَـايـج وَالـكمُــــومْ

ثم يلتفت ابن لعبون إلى من يلومه لمناصرته ابن عمه ناصر بن راشد فيكيل له الهجاء ويصفه بأنه «أفاك أثيم» وأن هدفه ومراده غير ما يريده ويسعى إليه ابن عمه ويدعو عليه بالرجوم لتهلكه وأنه كالقط يحكي انتفاخًا صولة الأسد وأنه سادر في نعيمه بعد أن ترك له ابن عمه الحبل على الغارب:

كَمْ عَـــــذَلْني فِـــيكْ أفَـــاك أثِيمْ
سَـــامِـــريٌّ مَـــا يـرُومْ الِّلـيْ تِـرُومْ
يِفْـتِـخِـرْ حَـاشَـاكْ بَالعظْم الرِّمِـيمْ
مِـفْـخِـرِ البَـزُّوْنْ بَالسَّـبْعَ القْـصُـومْ
يَنْدبْ الـعـلْـيَـــا وَيِـعْـلَـقْ فِيْ تمِيمْ
اقـعْـدُوا لَهْ بالذيْ فُـوقـهْ رْجُـومْ
مِـخْـتلٍ بِوْصَـالْ عَـذْرَا فِيْ نعِـيمْ
مِنْ وْجُـــودك فِيْ غَـــدانٍ فِيْ هـدُومْ

وإن كانت أبيات المديح والاستنهاض التي ذكرها ابن لعبون لابن عمه تعني الكثير بالنسبة للشيخ علي بن زهير، إلاّ أن هذه الأبيات من الذم والهجاء لمن يلومه ربما قصد بها ابن زهير من طرف خفي وهذا بيت القصيد. ولم يكتف ابن لعبون بذلك، إذ عاد مرة ثانية يمدح ابن عمه ويؤلب ويهجو في بقية القصيدة:

وانْتْ مِـثْلَ الّلـيْثْ بَالّليْلْ البـهِـيمْ
عَـسْكَرَكْ طِيـر المنَايَا بَهْ تحُـومْ
لَوْ رمِـيْتْ بهَـا الذيْ لَك مِنْ خَـصِـيمْ
مَـا جَـرَى شَطٌّ الـعَـربْ غِـيـرَ الدَّمُـومْ
كِلْ عِينٍ شُـوفَـهـا صَـاغٍ سِلِيمْ
مِنْ سِنَانَكْ يَا عَلِيْ فِـيـهَـا هزُومْ
كِلّمَـا هبَّتْ عَلى ضِـدهْ نِسِـيمْ
رَايِحَـة علَىْ بِهـا صَـارَتْ سَـمُـومْ
وَالجـمَـالْ اللّيْ خَـذّنكْ بَالـرَّزِيمْ
مِنْ كَـويِّكْ في مِـقَـافِـيـهَـا رِسُـومْ

تَحْسَبْ إنَّ الحْقْ بَالشيَّ القَويمْ
وَالمَعَالِيْ بَالتَسَاكِرْ والرَّشُومْ
دُوْنَ حَقْ المِدَّعِيْ عَطْ الرِّزِيمْ
وَالمَعَالِيْ دُونَهَا قَطْعَ الخِشومْ

الاستنتاج:

من خلال قراءة سريعة لهذه القصيدة تظهر لنا أمور عدة منها:

١- عرض ابن لعبون في مطلع القصيدة إلى معاناته وأشار إلى أنه يتعرض لضغوط وربما تهديدات.

٢- بيّن ابن لعبون أنه قد قرر ترك الزبير فلم يعد فيها ما يستحق البقاء لأجله وحتى (مي) فإن وصالها لن يدوم.

٣- مدح ابن لعبون وأطرى واستنهض وحرض ابن عمه لدرجه لافتة للنظر وفي ذلك لمز في قناة ابن زهير وفي مجلسه وانتقاص من مكانته.

٤- هجا ابن لعبون وذم من يقف في وجهه ويلومه وربما قصد بذلك ومن باب خفي ابن زهير.

لقد نجح ابن لعبون في التعبير عما في نفسه وتحقيق هدفه بذكاء وفطنة بالنيل من ابن زهير واستثارته دون أن يترك دليلاً واضحًا يؤخذ عليه.

لقد تمكن ابن لعبون من إثارة ابن زهير وجعله يتخذ قرارًا بطرده من الزبير وهذا ما أراد. أما ابن زهير فقد وجد المبرر أمام مناصريه من جماعة ابن لعبون وقال عن ابن لعبون إنه «يحرك رأسًا نائمًا» وعليه اتخذ قرار الطرد للتخلص من ابن لعبون.

إذن، كلا الطرفين ،ابن لعبون وابن زهير، لعب لعبته ووصل إلى غايته.

لقد نجح ابن لعبون وبدهاء في «زج» ابن زهير لاتخاذ قرار الطرد، وبذا حقق ابن لعبون الآتي:

١- حصل ابن لعبون على المبرر أمام جماعته من أهل حرمة وحريملاء - مناصري ابن زهير - لهجاء ابن زهير.

٢- رفع ابن لعبون الحرج عن جماعته - وهو محسوب عليهم - لهجائه ابن زهير وهم مناصروه.

٣- تحقق لابن لعبون مغادرة الزبير بالطريقة التي أرادها ليكون خروجه حديث الناس- ضجة إعلامية.

٤- أخذت مغادرة ابن لعبون للزبير بعدًا سياسيًا.

٥- مكّن قرار ابن زهير طرد ابن لعبون من حصول الأخير على صفة «لاجئ سياسي» في الكويت، وبذا حصل على حريته لهجاء ابن زهير وبعيدًا عن سطوته.

خروج ابن لعبون برغبته وتخطيطه:

أما عن أسباب خروج ابن لعبون من الزبير فربما كان من أهمها سخطه على تسلط علي بن زهير واستيلائه على السلطة وتبرمه من حكم آل زهير. أما الشيخ ابن زهير فقد كان وراء قراره بطرد ابن لعبون أسباب عديده ذكر منها أبو عبدالرحمن بن عقيل الآتي:

١- كره ابن زهير لابن لعبون بسبب شخصي، وهو كره ابن لعبون لحكم ابن زهير من منطلق التعصب القبلي.

٢- هجاء ابن لعبون لابن زهير تلميحاً.

٣- تحريض ابن لعبون لابن راشد عندما كان أميراً بالاسم فحسب، والإمارة الحقيقية لابن زهير.

٤- تذرع ابن زهير أمام الآخرين بأن لهو ابن لعبون يسبب فسادًا اجتماعيًا في الزبير. (ويعلق أبو عبدالرحمن على هذه بقوله ولهذا لم يتمسك ببقائه أبناء عمه الأدنون وهم من أهل الحل والعقد من أمثال ابن ضاحي وابن راشد).

ونتوقف مع أبي عبدالرحمن عند تذرع ابن زهير الذي لم يذكر مصدره مع العلم بأن هذه المقولة لا يعتد بها لأكثر من سبب:

أولاً: لأنها صدرت (إن كانت قد صدرت) من غريم ابن لعبون ولا يؤخذ بها حجة عليه.

ثانيًا: أين أهل الزبير وعلماؤها ووجهاؤها من ما اتهم به ابن لعبون خلال السنوات الطويلة التي أمضاها بين ظهرانيهم؟.

ثالثًا: لِم لَم يظهر هذا الادعاء إلاّ من الشيخ ابن زهير ووقت قراره بطرد ابن لعبون؟.

ويذكر أبو عبدالرحمن من الأسباب التي دعت ابن لعبون للخروج ما يلي:-

١- أنفة ابن لعبون من حكم العبيد.

٢- سخط ابن لعبون وبرمه بالمجتمع الزبيري المحافظ وحرية أمثال ابن لعبون تضيق بمثل ذلك المجتمع. (ويعلق أبو عبدالرحمن على هذا السبب والذي قبله بقوله: وكلا الأمرين يكرههما ابن لعبون، ولكنهما ليسا سبب خروجه باختيار، فلو أُبقي لبقي ليعيش حياته الخاصة).

ولنا وقفة أخرى هنا نلخصها بالآتي:

إن ما جاء في قصيدة «يا خفي اللطف» تصريح واضح من ابن لعبون بعزمه على مغادرة الزبير، وعندما انتزع قرار الطرد(وكأنه يتمناه) ذهب مسرعاً إلى ابن ربيعة وقال له إن الشيخ أمهلني ثلاثة أيام ولكنني سأترك الزبير اليوم وفي هذه الساعة [٥] ، وما مغادرته للزبير في ساعته إلا خير دليل يفند مقولة: فلو أُبقي لبقي.

أما مقولة: ولهذا لم يتمسك ببقائه أبناء عمه الأدنون، فابن لعبون بمغادرته الزبير في ساعته، ما يشير إلى أنه أراد ذلك بل عزم عليه وقرره ونفذه حالاً دون تلكؤ ودون الاستفادة حتى من المهلة التي أعطيت له، وفي هذا ما يشير إلى أنه لم

يطلب من أبناء عمومته وجماعته أن يتمسكوا به، بل وربما لم يشعرهم بقراره بالخروج من الزبير، بل ربما لو علموا لتمسكوا به ولو أرادوا بقاءه لما بقي. لقد طفح الكيل بابن لعبون وخرج من الزبير ولو أبقي لما بقي.

بقي أن نقول إن مقولة أبو عبدالرحمن: «وشعر ابن لعبون في هجاء المجتمع الزبيري دليل على أنه يلقى من المجتمع المحافظ عناء ولهذا عمم وضخم المعايب وصب ظاهرة المحافظة في قالب النفاق» ليس لها أساس، فقصيدته المشهورة «ذا حس طار» صب فيها جام غضبه على ابن زهير ونقد معائب المجتمع وليس فضائله ومحاسن محافظته. وبنظرة متفحصة لهذه القصيدة يلمس المتمعن فيها دعوة إصلاحية لتقويم المجتمع ونبذ رديء التجاوزات، كما وأن ابن لعبون لم يعمم، إذ أراد طبقة وفئة خاصة من المجتمع الزبيري، وهم «مجتمع الخوندات»، وربما قصد بذلك مجتمع السلطة وقتذاك.

ردة فعل ابن لعبون:

خرج ابن لعبون من مجلس الشيخ علي ابن زهير فعرّج على نديمه وغريمه عبدالله بن ربيعة وأخبره بالخبر وطلب منه قربة ماء فارغة، سارا معاً إلى آبار الدريهمية وأثناء تزود ابن لعبون بالماء سمع صوت طار فقال لابن ربيعة «ذا حس طار» فرد عليه ابن ربيعة «أو ضميرك خفوقه؟»[٦] فجعلها ابن لعبون مطلع قصيدة صبّ فيها جام غضبه على شيخ الزبير وجماعته:

ذا حس طار أو ضميرك خفوقه
يدق به من نازح الفكر دقاق
الحي هو حيك وطيبه وفوقه
والدار هي دارك وهذيك الاسواق

رحم الله الشاعر ابن لعبون ورحم الله الشيخ علي بن زهير فقد اختلفا وتخاصما كثيراً وتسلط كلاهما على الآخر وضيّق كلاهما على الآخر، وفي النهاية كان مصيرهما واحداً، إنه الطاعون الذي لا يميز بين هذا وذاك.

متى خرج ابن لعبون من الزبير:

كان خروج ابن لعبون من الزبير حدثاً ترك أبلغ الأثر في حياته الخاصة وترك في المنطقة صدى ما زالت آثاره تتردد حتى وقتنا الحاضر. لقد أعطت الطريقة التي خرج بها ابن لعبون والظروف التي أحاطت بها وما نظمه ابن لعبون من قصائد قبل وبعد خروجه، أهمية كبيرة لهذا الموضوع. ولابد لدارس سيرة ابن لعبون وشعره أن يتساءل متى خرج ابن لعبون من الزبير؟.

إنه ومما يؤسف له أن أياً من المراجع التي بين أيدينا لم تحدد سنة خروجه من الزبير، ولكن هنالك من حاول تحديد ذلك. فقد ذكر الأديب عبدالله بن خالد الحاتم أن ابن لعبون وصل الكويت خلال الفترة مابين ١٢٣٥-١٢٤٠هـ(٧). ونقول إن هذا غير صحيح لأنه من المعروف أن ابن لعبون خرج من الزبير إبان فترة تسلط علي بن زهير على مقاليد الأمور في الزبير بشكل غير مباشر ومباشر خلال الفترة مابين عام ١٢٤٢- ١٢٤٧هـ.

أما الأديب أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري(٨) فيحدد وقت خروج ابن لعبون من الزبير إبان سلطة علي بن يوسف بن زهير - وإن لم تكن الإمارة باسمه - عام ١٢٤٢هـ، أو وقت تأمره سنة ١٢٤٣هـ وذلك هو الأرجح واستشهد على ذلك بقول ابن لعبون:

يا عبيد خل اللي تشكل بسوقه

شيخ وهو عبد يذكر بالاعماق

نقول إن استنتاج الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل هو الأقرب إلى الصحة ولكن ترجيحه لخروج ابن لعبون وقت تأمر ابن زهير في عام ١٢٤٣هـ واستشهاده ببيت ابن لعبون المذكور أعلاه جاء في غير محله وذلك للأسباب التالية:

أولاً: القصيدة ألتي القاها ابن لعبون واستغضب بها ابن زهير وألتي مطلعها:

يَا خَفِيْ الَّلطْفْ لِطْفَكْ يَا كَرِيمْ

تِرْحَمْ الَّلِيْ اليُومْ عَجِّزْ لاَ يقُومْ

كانت قبل تأمُّر ابن زهير وكان الشيخ وقتها هو ناصر بن راشد وهذا ما يدل عليه سياق القصيدة ومخاطبة ابن لعبون له بقوله: ولد عمي.

ثانياً: خروج ابن لعبون من الزبير مباشرة بعد إلقاء القصيدة أي في زمن حكم الشيخ ناصر بن راشد.

ومنه نقول وبالله التوفيق أن خروج ابن لعبون من الزبير تحديداً كان في عام ١٢٤٢هـ أما الاستشهاد ببيت ابن لعبون:

يا عـبـيـد خل اللي تشكل بسـوقـه

شـيـخ وهـو عـبـد يذكـر بالأعـمـاق

فهو من قصيدته ذائعة الصيت التي مطلعها:

ذا حس طار أو ضـمـيـرك خـفـوقـه

يـدق بـه مـن نـازح الـفـكـر دقـاق

والتي بدأها وهو يستقي من آبار الدريهمية جنوب شرقي الزبير في طريقه إلى الخوير (المجدم) ليبحر إلى الكويت. والقصيدة بعث بها من الكويت وربما كان ذلك على الأرجح بعد تأمر ابن زهير في عام١٢٤٣هـ ومنه لا يستدل بهذا البيت على خروج ابن لعبون من الزبير، هذا والله أعلم.

بقي أن نقول إن ابن لعبون خرج من الزبير بعد أن ترك فيها حوالي عشرين عاماً هي زهرة شبابه (١٢٢٢ – ١٢٤٢هـ) وترك فيها أحلى ذكرياته ومن الكويت فاضت قريحته بأعذب شعره حنيناً وشوقاً إليها وإلى أيام شبابه ومرحه وإبداعاته.

****

الهـوامـش

(١) عبدالله بن خالد الحاتم (أمير شعراء النبط محمد بن لعبون)، مجلة البيان، العدد٢، مايو ١٩٦٦م.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ٢٧٧.

(٤) عبدالله بن خالد الحاتم (أمير شعراء النبط محمد بن لعبون)، مجلة البيان، العدد٢، مايو ١٩٦٦م.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) عبدالله بن خالد الحاتم (أمير شعراء النبط محمد بن لعبون)، مجلة البيان، العدد٢، مايو ١٩٦٦م.

ورواية أبو عبدالرحمن بن عقيل تقول إن ابن ربيعة قال على سبيل المزاح: ذا حس طار. فأجابه ابن لعبون: أو ضميرك خفوقه.

(٧) عبدالله بن خالد الحاتم (أميرشعراء النبط محمد بن لعبون)، مجلة البيان، العدد٢، مايو ١٩٦٦م.

(٨) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (لماذا خرج ابن لعبون من الزبير؟ ومتى خرج؟)، صحيفة الجزيرة، ٩/٩/١٩٩٥م.

****

الفصل الرابع

ابن لعبون...... الوجه الآخر

أوهام النقل الشفهي ومغالطات الرواة:

إن الغرض من تطرقنا لهذا الموضوع وبصورة محايدة هو محاولة لجلاء صورة ابن لعبون مما علق بها من أوهام النقل الشفوي ومغالطات الرواة، لقد تعرضت سيرة ابن لعبون للكثير من المغالطات والتي استحسنها العامة وتندروا بها محبة وتظرفًا به أو كيدًا له، حتى غدت هذه المغالطات عند بعضهم حجة يستدل بها. كان ابن لعبون، كما تواترت الأخبار، حسن الطلعة، حسن الصوت، خفيف الظل، حسن المعشر، يحب الطرب والمرح والفكاهة، وربما كان هذا الجانب من شخصية ابن لعبون ما جعل خالد بن محمد الفرج يقول عنه: «وكان طبعه ميالاً إلى اللهو والبطالة»[1] وهذا ما غلب على رأي العامة فيه وتندرهم بغرامياته، وما ورد في شعره من غزل.

لقد طغى ما تناقله العامة وتندروا به من أوهام وأساطير حول ابن لعبون على حقائق تركها المؤرخون والأدباء عنه ومعلومات يمكن للقارئ المتفحص أن يستنبطها من شعره أو يستنتجها من قراءة تاريخ وأحداث المنطقة وقتذاك. إن ما أمكن معرفته من تناقض بين ما تناقلته الشفاه عن ابن لعبون وواقع حاله، يجعلنا نشكك في مصداقية معظم ما روي عنه من أخبار ونوادر.

لقد دفع ابن لعبون ثمن مواقفه السياسيه مرارًا، وأغلى ثمن لهذه المواقف خروجه من الزبير، وإذ نتطرق لهذا الموضوع في الفصل الرابع إنما أردنا

الاستشهاد به لما تعرضت له صورة ابن لعبون من تشويه وافتراء، وتمثل القصص والحكايات التي يتناقلها العامة على أنها السبب في هروب ابن لعبون من الزبير دليلاً على مجانبة الصواب في ما أشاعه الناس حول ابن لعبون من أساطير.

ومع ما في الروايتين الشفويتين - اللتين ذكرتهما في الفصل السابق - من تشابه واتفاق في المغزى أوردتهما للاستدلال على عدم صحتهما كدليل لما استشهد بهما عليه، وهو سبب خروج ابن لعبون من الزبير وهو ما تطرقنا له بالتفصيل تحت عنوان «خروج ابن لعبون من الزبير».

وهنا ندعو جميع المهتمين بشعر ابن لعبون وحياته أن يجتهدوا معنا لجلاء صورة ابن لعبون وإظهارها على حقيقتها أيًا كانت، بعيدًا عن مغالاة محبيه، أو تشويهات حاسديه، أو مغالطات الرواة.

ولا بد لنا هنا من وقفة. إن من كان في صفاته مثل ابن لعبون، وإن كان فيه شيء مما ذكر، لا يمكن أن يوصف بما وصفه به خالد بن محمد الفرج، أو حتى ما أشاعه العامة عنه، وتندروا به من قصص ابن لعبون ونوادره وغرامياته ومجالس أنسه وطربه.

إن استنتاجنا هذا مبني على عوامل عدة منها:

١- حسبه ونسبه وعلمه، ووجوده بين ظهراني عائلته من آل لعبون، وأبناء عمومتهم من آل مدلج مثل آل عون وآل عودة ولهم في نجد والزبير الرياسة والشرف، وجماعته من أهل حرمة مما يجعله يحسب ألف حساب لتصرفاته خصوصًا وأن عائلته وجماعته في صراع مع العوائل الأخرى، التي تبحث عن أية مثالب وهنات لتؤخذ ضد جماعته.

٢- مواقف ابن لعبون الرجولية للذب عن جماعته ومن ناله ضيم، جعلته في ذلك يستأسد ويدافع بكل شراسة وبأحدّ الألسنة.

٣- مواقف ابن لعبون وخصوصًا السياسية منها، جعلته يتميز بمبادئه وجهاده ودفاعه عنها، ويدخل في صراعات يعرف قبل غيره ما سيدفعه من ثمن بسببها.

٤- مناقضاته وهجاؤه لصديقه الشاعر ابن ربيعة لم تكن إلاّ بسبب اختلافهما سياسيًا، وما وقوفه بوجه حاكم الزبير أو آل ثاقب ومن شايعهم وخاصة أمراء المنتفق، وتعرضه لمتسلم البصرة العثماني، وغيرهم، وهجاؤه لهم إلاّ لاعتداده بنفسه وصلابة مواقفه ودفاعه عنها.

٥- غزارة علمه وسعة اطلاعه وحفظه للقرآن صغيرًا ونشأته في كنف أبيه العلامة الشيخ حمد بن لعبون.

٦- علاقات ابن لعبون المتميزة مع أكابر الناس من وجهاء وأدباء وأمراء في مختلف البلدان، في نجد والساحل ومشاركتهم مجالسهم ومراسلاته لهم.

حرب إعلامية:

لقد شاع وذاع صيت ابن لعبون وقويت حجته، ولابد أن يكون ذلك على حساب أقوام لا يرضيهم ذلك، فما كان لهم إلاّ محاربته بكل الوسائل حياً وبعد مماته، وإلاّ فأين دواوين شعره، فليس من المعقول أن من كان في مثل براعته بالخط ألاّ يترك مخطوطًا، إنها حرب إعلامية قامت بعد أن فشل خصوم ابن لعبون في الوقوف بوجهه، وكما تشابه ابن لعبون والمتنبي بلاغةً وشعرًا، تشابها أيضًا في تعرضهما لحرب إعلامية شرسة، وارجع إلى قصة اخراجه من الزبير كما يتناقلها ويتندر بها العامة وكما أوردها الأدباء تجد صدى ذلك.

أعذب الشعر أكذبه:

ولنعد إلى العرب ومقولتهم البليغة «أعذب الشعر أكذبه» ولعل من ذلك ما ذكر عن وصية ابن لعبون في دفن جثمانه، ومعروف أن ليس كل ما يقوله الشاعر

انعكاسًا لواقعه، فالشاعر قد يسمو به الخيال واللفتات الذهنية مما يجعله يسبح في عالمه الخاص وربما تشبب بفتاة أبدع في وصفها وهو لم يرها، وقد يخترع لقاءات لا وجود لها، وربما كان وصف هذه وتلك أبلغ من وصفها لو حدثت حقيقة. بقي أن نقول إنه مع تشبيب ابن لعبون بميّ وتغزله قد قال:

سلينا لا حلال ولا حراما
عليهن الطلاق بلا جوازي

وقال أيضًا:

والهواوي من هواهن محروم
غير وصل لا حلال ولا حرام

وقد تكلم الناس عن حبه ووصاله لها، فقال:

وقالوا نال منها ما تمنى
وانا ما نلت منها إلاّ الندامه

إنه ليس دفاعاً عن ابن لعبون عفا الله عنه ولكنها قراءات في سيرته واستنتاجات من شعره.

ما خفّ على الطار:

قبل حوالي ربع قرن كنت في زيارة للأديب الشاعر عبدالعزيز بن سعود البابطين في مكتبه بالكويت، فتذاكرنا ابن لعبون فذكر لي أنه في إحدى زيارات الشيخ أبي سليمان القاضي له في مكتبه، وكان شيخًا كبيرًا يتوكأ على عصاه استشهد ابن قاضي وهو يصعد الدرج ببيتٍ من الشعر يقطر عذوبة وخوفًا من الله، فسأله البابطين من قائل هذا البيت يا أبا سليمان؟ فقال ألا تعرفه، إنه خالك ابن لعبون، فاستغرب البابطين وقال له: ابن لعبون يقول مثل هذا الشعر؟ فأجاب ابن قاضي: ما عرفتم من شعر ابن لعبون إلا ما خف على الطار.

استوقفتني هذه القصة، وعددتها طرف الخيط الذي من خلاله سأعثر على جانب آخر لشعر ابن لعبون، فاجتهدت وقتها في البحث عن ابن قاضي والاجتماع

به لأستزيد منه عن ذلك الجانب لشعر ابن لعبون، ولكن لم يقدر لي ذلك، فهل هنالك من له علم بالوجه الآخر لابن لعبون؟.

ومما يعزز ما تطرقنا له حول ما نال صورة ابن لعبون من تشويه، وما علق أخباره من مغالطات، ما ذكرناه حول سبب خروجه من الزبير، لقد أوردنا القصة كما يتندر بها العامة، وكما أشار اليها الأديب الحاتم، وكما يمكن للقارئ أن يستنتجها من خلال قراءة سريعة لقصيدة ابن لعبون التي مطلعها: يا خفي اللطف لطفك ياكريم.

تعقيب:

وجدت في ما ذكرته في الطبعة الأولى من الكتاب تحت عنوان «ابن لعبون الوجه الآخر»[٢] وما نشرته في جريدة الجزيرة (ابن لعبون .. الوجه الآخر .. وصراعه مع ابن زهير)[٣] من اجتهادات لجلاء صورة ابن لعبون مما اعتراها من تشويه قبولاً واستحساناً من قبل كثير من الأدباء والفضلاء. وقد تفضل أستاذ الأدب العربي الدكتور محمد بن سعد بن حسين وأبدى وجهة نظر تتفق مع اجتهادي بهذا الصدد بقوله « واجتهد – المؤلف – في رد أقوال الذين وصفوا ابن لعبون بشيء من تساهل وشيء من إقبال على اللهو والطرب، بيد أن هؤلاء كانوا يجهلون تلك المفاهيم في عصر ابن لعبون العصر الذي كان يتسم بالمحافظة بوجه عام، هذه ناحية، والناحية الأخرى أن أخذ الشاعر بشعره مسألة فيها نظر»[٤].

****

الهــوامــش

(١) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد)، ج١، ص٨١.

(٢) عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون، أمير شعراء النبط مدخل لدراسة سيرته وشعره، الطبعة الأولى، دار ابن لعبون، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣) عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون، ابن لعبون .. الوجه الآخر .. صراعه مع ابن زهير ..، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٤٠٧ في ١١/٥/١٤١٦هـ الموافق ٥/١٠/١٩٩٥م.

(٤) محمد بن سعد بن حسين، .. أمير شعراء النبط محمد بن لعبون، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٩٧٨ في ٢١/١٢/١٤١٧هـ.

****

الفصل الخامس

ابن لعبـــون العـــاشـــق

عشقه:

إن قراءة سريعة في شعر ابن لعبون يتبين منها أنه شاعر ملك العشق فؤاده ولم ينل ممن أحب مراده وظل محروماً لآخر حياته، ومما يستنتج من شعره أيضاً أنه عاشق وفيّ لأول من تعلق بها قلبه وأن اسمها لم يختف من قصائده تصريحاً أو تلميحاً، ويكاد معظم شعر ابن لعبون يدور حول أول من تعلق بها قلبه، وإن تغزل بغيرها فإنه يذكرها.

ميّ ومن تكون؟:

غالباً ما يصون الشاعر من تعلق قلبه بحبها فينعتها بنعوت أو يكنيها بكنى إجلالاً لقدرها وحفظًا لسمعتها من أن ينالها أذى، ومن ذلك ذكر الحبيبة ووصفها بصفات مذكرة كقوله: المجمول، المزيون، كامل الأوصاف، الظبي، الغزال، الريم، الرشا، وغير ذلك.

عرف ابن لعبون الحب والعشق والغرام منذ صباه، وغدا حبه حديث الناس ومضرباً للأمثال، وكان حبه مصدر إلهام لقصائده غزلاً ووصفًا وشوقًا ومعاناة.

ردد ابن لعبون اسم مي كثيراً وفي معظم قصائده وتغنى به حتى كادت لا تخلو قصيدة من ذكرها. فمن هي ميّ؟.

ليس لدينا ما يعرِّفنا وبالتأكيد على شخصية ميّ، وهل هي امرأة تعلق بها قلب ابن لعبون فعلاً، وهذا اسمها الحقيقي، أم أنه اسم مستعار لها، أم هي شخصية وهمية من شخوص شعره.

لقد اختلطت أوراق ميّ عند معظم – إن لم يكن جميع – الدراسين لسيرة ابن لعبون وشعره. ولقد اجتهد بعضهم وساعدته المصادفة ليأتي بنظرية حول مي وعمل جهده لإثبات هذه النظرية من شعر ابن لعبون.

إن الإجابة على هذه التساؤلات تتطلب قراءات مستفيضة في شعر ابن لعبون ليستخرج من سياقه ومدلولاته ما يسلط الضوء على هذا الموضوع، وربما تكون هذه الإجابات مدخلاً لكثير من الاجتهادات والمناقشات في المستقبل قبل أن تتبلور الصورة حول مي وغيرها في حياة ابن لعبون.

سأفتتح باب هذه الإجابات بالاجتهادات التالية، وأقول وبالله التوفيق: إن ما أمكن قراءته من شعر ابن لعبون وما أمكن الاستنتاج منه يبين أن هنالك أكثر من واحدة في حياة ابن لعبون وإن ذكر ميّ على وجه الخصوص.

ما الاسم الحقيقي لميّ:

ما هو الاسم الحقيقي لمن تعلق بها قلب ابن لعبون؟ وما هو الاسم الحقيقي لميّ؟.

الإجابة على هذين السؤالين وباختصار: إنه ميّ.

هل هنالك أكثر من ميّ في شعر ابن لعبون:

الإجابة وباختصار: نعم.

مي وميَّات:

تشير الروايات الشفوية والاستنتاجات الشعرية لما قاله ابن لعبون أن مي هو الاسم الحقيقي لمن تعلق بها قلبه. فمن تكون مي ومن هن الأخريات؟.

١ - مي المطيرية في ثادق:

إن قراءة متمعنة في قصيدة ابن لعبون الميمية المشهورة التي مطلعها:

هَـلِ الـدَّارْ يَـاعَـــــــــوَّادْ إلاَ مَـنـازِلْ

سَـبـارِيتْ يا عَـوَّادْ خِـفْـيَتْ رسُـومـهَـا

ففي هذه القصيدة ذكر ابن لعبون اسم ميّ سبع مرات. تسلط هذه القصيدة الضوء على الحب الأول لابن لعبون وفي بلدة ثادق التي ولد وترعرع فيها، ففي هذه القصيدة التي نظمها بعد خروجه من ثادق يبث لواعجه وشوقه لمحبوبته ويذكر اسمها صريحاً بعد أن يئس منها وأمن بطش أهلها بذكره اسمها. خرج من ثادق وقلبه فيها وما زال يذكر (ميّ) ويتذكر مرابعها ومنها قوله:

يـلـوحْ السَّنَا فَـيـهَـا كـمـا لاَحْ زرْقَـةْ

عَلى خَـدّ مَي مِـنْ بَقـاَيَا وشُـومـهَـا

مَـــرابِـيعْ مَيّ قَـبـلْ هَـذَا وَزَيـنَـبْ

وَهندٍ وَلَيْلىَ فِي مَـجَـارِي رُسُـومـهَـا

وقوله:

وَلا مَـي فَـــوق الـدَّارْ يَـسْلِيكْ زَولَـهـا

وَلاَ القَلبْ سَـالـيـهَـا وَنَـاسِي هُمُـومـهَـا

ويذكر قدم حبه لمي فيقول:

فـيـا مي مـثلك دايم لي مـقـرب

ودوم بتـيـهك بالفـيـافي غنومـهـا

وَيَـا مَـي لِـى بِـكْ مِـنْ قَـدِيمٍ مَـوَدّةْ

ووَصْلٍ إلَـى انْحَلّ الدَّلِى مَنْ وَذُومـهَـا

لِي بِكْ مَـقَـامِ قَـبـلْ هَـذا وَمَطْلَبْ

فَـيَـا رَكِبٍ مَنْ فـوقْ عَلْكُومْ كُـومَـهـا

ويحدد منازل أهل مي وأنهم قطن على جو ثادق:

عِلْمِي بِهِمْ قَطْنٍ عَلَىَ جوْ ثَادِقْ
سَقَاهَا مرنَّاتَ الْغَوادِي رُكُومهَا
مَرَابيع لذَّاتِي وَغَايَاتْ مَطلَبِي
وَمَخْصُوصْ رَاحاتِي بَهَا عُمومَهَا
مَنَازِلُ مَيٍّ شَعَّبَتْ الْبَيْنْ حيُّهَا
وَهَبَّتْ ثَمَانْ اسْنِينْ فِيهَا حُسُومَهَا

والأمثلة على ذكره لميّ وعشقه لها وتمكنها من قلبه كثيرة منها قوله في قصيدة أخرى:

يقولون جور الحب يا مي هين
وحبك لجا بي لاجي بالضماير

تشير قصيدة ابن لعبون الميمية إلى أن مي هي بدوية، وأن عهده بأهلها قطن على جو ثادق وهو مورد ماء قرب بلدة ثادق، ويذهب الشيخ محمد بن غنام من أهل ثادق ومن المهتمين بسيرة ابن لعبون والحافظين لمعظم شعره عن ظهر قلب، أن مي هو الاسم الحقيقي لمحبوبة ابن لعبون وأنها هي التي تعلق بها قلبه قبل خروجه من ثادق وإنها بدوية مطيرية، ويؤكد بأن هذا ما تواتر لدى الناس. أحب الشاب الشاعر محمد بن لعبون مي وقت كان يسرح في ثادق وجوّها ويمرح.

ميّات الأخريات:

لقد عشق ابن لعبون مي المطيرية وحمل حبها في قلبه ورسمها بين ناظريه واسمها على لسانه، وبعد أن خرج من ثادق أطلق اسمها على كل من عشقهن وتغزل بهن وقابلهن وخطرن على باله. لقد استعان ابن لعبون باسم ميّ كثيراً وكأنه يردد قول جميل بثينة:

أُحِبُ من الأسماء ما وافق اسمها
وأشبهه أو كان منه مُدانيا

وهل هنالك أكثر من ميّ في حياة ابن لعبون؟

الإجابة وباختصار: نعم.

تشير قصائد ابن لعبون أنه تغزل بأكثر من واحدة وفي أكثر من بلد، وأشار إلى مي ويقصد به غير مي المطيرية، وربما ذكر اسم مي في قصيدة واحدة أكثر من مرة وقصد به أكثر من مي، ومثال ذلك ما ورد في قصيدته الميمية:

إلىَ سِـــرْتـهـــا مِنْ دَار مِيٍّ وَغَـــرَّبتْ
ونَـابَاكْ مِنْ طُفَّـاحْ نَجْـدٍ خُـشُـومـهَـا

إن المقصود بمي في البيت الأول إذا صحت رواية وغربت، هي مي الزبيرية (هيلة)، (أما إذا صح البيت برواية ابن غنام[1] إلى سرتها من دار مي وقربت ..) فهي مي المطيرية. وأما في هذين البيتين فهي مي المطيرية:

فـــيــا مـي مـــثلك دايم لـي مــقـــرب
ودوم بتـــيـــهك بـالفـــيــافي غنومـــهـا
وَيَـا مَـي لِـي بِـكْ مِـنْ قـــدِيـمٍ مَـــوَدّةْ
ووَصْلٍ إلَـى انْـحَلَّ الـدَّلِـى مـنْ وَذُومـــهَـــا

مي وحساب الجُمَّل:

ذكر الأدباء عبدالله بن خالد الحاتم[2]. وخالد بن محمد الفرج[3] وتبعهم الأديب عبداللطيف بن سعود البابطين[4] وكذا تبعتهم في كتابي الأول ومؤخراً قال الشيخ الظاهري[5] والأديب العدساني[6] قولهم باسم «مي» مطابق في مجموع أرقام حروفه الأبجدية مع أرقام حروف اسم صرح به في إحدى قصائده وهو هيلة. وعليه استنتجوا أن اسم ميّ هو الاسم المستعار لـ «هيلة» فكلاهما خمسون في حساب الجمّل. وبناءً على هذا الاستنتاج ربط الناس بين ميّ وهيلة.

استعان الأدباء والمؤرخون العرب بحساب الجمّل اعتمادًا على ترتيب حروف الهجاء وإعطاء كل حرف رقمًا حسب ترتيبه كالآتي:الأفراد أبجد هوز حطي: ا=١،

ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ =٥، و=٦، ز=٧، ح=٨، ط=٩، ي=١٠، العقود كلمن سعفص: ك = ٢٠، ل =٣٠، م=٤٠، ن= ٥٠، س=٦٠، ع=٧٠، ف =٨٠، ص =٩٠، المئات قرشت ثخذ ضظغ :ق=١٠٠، ر=٢٠٠، ش =٣٠٠، ت =٤٠٠، ث =٥٠٠،خ =٦٠٠، ذ=٧٠٠، ض =٨٠٠، ظ =٩٠٠،غ =١٠٠٠. ومنه يكون مجموع اسم هيله ٥٠ وكذا مجموع اسم مي.

ولي هنا وقفة واستدراك وأقول وبالله التوفيق: إن ابن لعبون عرف مي المطيرية في ثادق وتغزل بها قبل وصوله الزبير ومعرفته بهيلة الزبيرية، وما اتفاق حساب جمَّل مي المطيرية وهيلة الزبيرية إلا من باب المصادفة ليس إلا، ولم نجد في شعر ابن لعبون ما يشير إلى أنه استعان برموز حساب الجمَّل أو الريحاني أو الدرسعي.

ومن جهة أخرى ما علاقة مي الزبيرية (هيلة) بنجد وكيف يكون أهلها قطن على جو ثادق؟، وما علاقة مي الزبيرية (هيلة) بجال الرفاع في البحرين؟، وما علاقة مي الزبيرية (هيلة) بمن ماتت في الحجاز. إن هنالك أكثر من مي وهل كلهن هيلة؟.

لقد وصل ابن لعبون الزبير وعشق إحداهن ورحل وذهب الى الكويت وقابل إحداهن، ورحل وذهب إلى البحرين وتغنى بإحداهن ورحل، وكلهن أسماهن مي: مي ديرة ابن عوام ومي السيف ومي الرفاع كلهن «ولأجل عيونها» أسماهن مي وكأني بهن لو عرفن هذا لما رضين أن يتغزل بهن باسمها.

مي الزبيرية:

وصل ابن لعبون الزبير وقلبه معلق بمي في ثادق، وما لبث أن تعلق قلبه بأخرى ربما رأى فيها ما في مي من صفات أو طباع فأسماها (تيمناً) «مي»، وظل ابن لعبون يتغزل بهيلة ما بقي له أمل بوصالها والزواج بها، فقد ذكر أنها كانت حليلة لأحد مشائخ المنتفق، وبعد وفاته خطبها ابن لعبون فرفض أهلها تزويجها له [٧]، وهذه عادة العرب منذ قديم الزمن لا يزوجون نساءهم من يتغزل بهن.

يذكر خالد بن محمد الفرج أن هيلة تزوجت من أحد أمراء العرب المتغلبين على بلد ديلم في إيران[٨]، وعندها طفح الكيل بابن لعبون ويئس منها بث لواعجه في

قصيدة مؤثرة، اختلطت فيها أبيات اللوعة لزواجها والهجاء لزوجها والدعاء على بلدته ديلم بالنيازك تدكها، واختتم القصيدة بتصريح ابن لعبون باسم حبيبته بقوله:

والله لولا الحيا واللوم

لاصيح واقول ياهيله

أما الأديب عبداللطيف بن سعود البابطين فيذكر أن هيلة هذه هي هيلة الموسى،[9] وأنها تزوجت «ماجد الهندي» المشهور في الزبير، وقيل أيضاً إن هيلة هي هيلة بنت بداح[10].

مي البحرينية:

خرج ابن لعبون من الكويت ويبدو أنه قد عزم على عدم الرجوع إليها، واتجه الى البحرين علّه يجد فيها بغيته ويستقر فيها. وجد ابن لعبون في البحرين استقبالاً ولنفسه لها قبولاً وأمضى فيها وقتاً ممتعاً، ولكن انتهت إقامته فيها نهاية غير متوقعة بالنسبة له طبقاً لما توافر لدينا من معلومات غير مؤكدة. ومما تبين لنا أن ابن لعبون ربما وقع في غرام إحدى «بنات الشيوخ» وما كان لحب مثل حب ابن لعبون أن يُكتم أو يخُفى، فأخذ يتغزل بها، مرة بالمهرة الصنيع ومرة أخرى أسماها «مي»، وقيل إنه خطبها ولكن رفض أهلها وبعد تغنيه بها وافتضاح أمره وتغني الناس بقصائده وفنونه، فتوعده أهلها مما اضطره للهرب والعودة إلى الكويت.

لقد ألهمت مي البحرينية ابن لعبون إلهاماً لم تلهمه أية مي أخرى، ففي مي هذه قال وأبدع وابتكر فنوناً وبحوراً لم تبتكر من قبل. إن رائعة ابن لعبون «يا علي صيح بالصوت الرفيع»، هي المفتاح لهذا الحب ومعرفة مي البحرينية، وخاصة هذا البيت:

قل لها المهره الصفرا الصنيع

سنها عندكم وقم الرباع

وقوله:

وجد عيني على ظبي تليع

عندكم كن في خده شماع

مي الكويتية:

من خلال دراسة سيرة ابن لعبون ودراسة شعره يتبين لنا أن ابن لعبون صادق في عشقه وفي لمن عشق شريف المقصد، فقد ورد أنه خطب هيلة (مي الزبيرية) وما غضبه لزواجها إلا لأنه يريدها زوجة لا عشيقة، وخطب مي البحرينية. وعندما عاد إلى الكويت في أواخر حياته وجد مبتغاه، وجد مي الكويتية. مي التي قيل إنه أحبها وأحبته، مي التي تزوجها وختم بها حياة العزوبية الطويلة، إذا صدقت هذه الرواية فإن مي هذه هي ابنة خاله[١١].

ولكن من تلك التي رثاها ابن لعبون؟:

كما اختلفت الروايات في كنه مي، اختلفت الروايات في من رثاها ابن لعبون.

يذهب الشيخ ابن غنام[١٢] في حديثه عن ميّ وابن لعبون ليروي وبلغة الواثق أن التي ماتت بالحج ورثاها ابن لعبون في قصيدته التي مطلعها:

سقا صوب الحيا مزن تهاما
على قبر بتلعات الحجازي

هي من تعلق بها قلبه وهي ميّ المطيرية رحمهما الله.

شاهة الدوسرية:

إنها معلومة أخرى فقد ذكر لي أحد الأفاضل - لا يرغب في ذكر اسمه - أن من تعلق بها قلب ابن لعبون حقيقة قد عرف اسمها بعد وفاتها في طريق الحج وهي التي رثاها في مرثيته الوحيدة «سقا صوب الحيا مزن تهاما» وإن اسمها شاهة الحسن.

إن ما يعزز هذه المعلومة بل ويفسر سبب وقوف ابن لعبون بجانب ابن حسن ودفاعه عنه وعن قبيلته الدواسر بقوله «حنا هل الوادي وحنا المناعير» وربما كان ذلك «لأجل عيون» شاهة الدوسرية والتي ربما قصدها بالزايدية بقوله:

على السديره حمام ناح
والورق بالصوت مقزيني

يرفع بصـــوت الـهـــوا فـــضـــاح

يـــالـــزايـــدي لا تـــخـــلـــيـــنـــي

ندمه لتعرضه لمحبوبته:

ربما ندم ابن لعبون لتصريحه باسم محبوبته مي المطيرية وتعرضه لها وهذا ما قد يستدل عليه من بيت ورد في مرثيته لها بقوله:

وليـــتـي مـــا حكيت ابهـــا ويامـــا

بـكـيـت الـهـــا وفـي قـلـبـي حـــزازِ

وفاؤه لميّ:

ظل ابن لعبون وفياً لذكرى مي ، أيا كانت مي وخاصة مي المطيرية ومي الزبيرية، يردد اسمها ويذكر أن حبّه لها قديم، حيث يقول:

فـــيـــا ميّ لي بك من قـــديم مـــوده

ووصل إلى انحلت جـــمـــيع المراير

ولا صفاء لعيشه بعد ميّ ولا بديل لها عنده:

فـيـا ميّ صـفـو العـيش مـا طاب عـقـبكم

وقلب ســلا مـــا اعـــتـــاض عنكم بالابدال

وفاء ما بعده وفـــاء:

قـــالوا بداله حط لك ! قلت شـــاحط؟

إن فـــاتني فـــوصـــال غـــيـــره بلاشي

ويعاهد ميّ في رباعية رائعة ويقول:

فـــيـــهم فـــشت بين العـــوالم عـــلامي

واخـــفت عـــلامـــات المتـــركى عـــلامي

قـــالوا عـــلامك قلت انا لي على مي

عـــهـــد بمن نجى ليـــونس من الحـــوت

مـــا اتبـع هـوى غــيـــره زريـف ولا أرضـى

يـا طـا لمـا داســـه حــبـيــبـي ولا ارضـى

لا بـــالـزعـــل نـخـلـف هـواهـا ولا ارضـى

مـــــا بـارح الـلاهـوت يـوم بـنـاســـوت

وحتى بعد وفاته ودفنه يبقى حبُّ ميّ في قلبه، ولأن أهلها ينزلون شرقي الزبير فإن جثمانه يتوجه نحوها تلقائيًا:

فـلـو يـمـمـــوني بأســـفل الـلحـــد قِـبـلَـةْ

جـــوني لـقـــوني يمّة الـشـــرق داير

وفي هذا البيت التفاتة ذهنية لم يسبق ابن لعبون لها شاعر قبله وتصوير رائع ومعنى بليغ.

بقي أن نقول إنه وإن كان ابن لعبون قد تغزّل بغير ميّ في أبيات قليلة، إلا أن قريحته لم تفض شوقًا ولوعة كذكره (مي)، وحتى عند تغزله بغيرها يذكرها، ومن ذلك مناجاته لسلمى حيث يقول:

إلـى عـــاد صـبـحـك مـسـتـحـيل ومظلم

فـــانا قـــول يا سلمى هوى ميّ اولى لي

حب ابن لعبون قتله؟!

يرى الأستاذ محمد بن سعد بن حسين أنه ليس بمستبعد «أن يكون هذا الحب قد أسهم في إثخانه بمرض أودى بحياته رحمه الله وهو في الثانية والأربعين من العمر وما أكثر أولئك الذين أوهن الحب قواهم الجسمية والعقلية وخاصة أولئك الذين استسلموا للهم»(١٣). أما الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري فله رأي مشابه في عشق ابن لعبون بقوله «وظهر في شعره الغزلي أكثر من واحدة، ولكن عشقه كان مقصوراً على ميّ من أجل الحرمان، لأنه لم يتح له مواصلتها، ولأن كثرة هيامه بها في شعره دليل الحرمان. ولهذا فهو من جهة مي عاشق لم يصل إلى حد الاصطلام، أو فقد إحدى القدرتين البدنية أو العقلية» (١٤)..

ابن لعبون وميّ مضرباً للمثل:

كما ارتبط اسم عدد من الشعراء باسم من أحبوا، كعنترة بعبلة وكثّير بعزة وجميل ببثينة وقيس بليلى وغيرهم، وكذا اقترن اسم مي باسم ابن لعبون وبقي ملاصقاً له متى ما ذكر ذكرت معه والعكس صحيح.

غدا عشق ابن لعبون مضرباً للمثل وارتبط اسم ابن لعبون بميّ وردد ذلك الكثير من الشعراء، ويقترن اسم ابن لعبون (ابن مدلج) بأمثاله من شعراء النبط الذين أحبوا ولم ينالوا ما تمنوا، ويصوغ الشاعر عبدالله بن محمد الفرج [١٥] ذلك بقوله:

أهوى غـــزال لو بحلّيـــه مـــا أحـــسن
لا ميّ ابن مـــدلج ولا قـــوت مـــحـــسن(*)
آه اللي ينعش الروح مـــــحـــــسن
في مـــا مـــضى واليـــوم وين انتـــعـــاشي

ويقول الشاعر سليم بن عبدالحي[١٦]:

وين مـــحـــسن وين عـــبـــدالله الفـــرج
وين ابن لعـــبـــون بيطار المثـــيل(**)
شـــوف وش ســـوّا لهم غض الشـــبـــاب
كل منهم مـــات مـــغـــلول عليل

ويعرج الشاعر إبراهيم بن محمد الخليفة على ابن لعبون (ابن مدلج) ويقرن اسمه بالهوى فيقول[١٧]:

من مـــغـــرم في عـــرصـــة الشـــوق مـــحـــتـــار
إلى ســـراج وتاج للاحـــرار والحـــور
عليك يا مـــحيّ الهـــوى بعـــد مـــا صـــار
في اللحد ابن مدلج على الجسر مقبور

(*) ابن مدلج: محمد بن لعبون. محسن: محسن الهزاني.

(**) بيطار الخبير بالشيء والعالم به وعند شعراء النبط هو الشاعر المتمكن في قرض الشعر.

وبقي ذكر ابن لعبون مرتبطًا بمي حتى بعد أكثر من مائة وسبعين عاما على وفاته رحمه الله، فما زال الشعراء لا يذكرون ابن لعبون إلا ومي تذكر معه، فها هو الشاعر المعاصر عبدالعزيز بن سعود البابطين[١٨] يتوجع لأنين خاله (الشاعر ابن لعبون) لفراق ميّ فيقول:

ولهيبٌ في حريقٍ جمرُهُ
احرق المحسنَ في عشق الحَسِنْ
وأنينُ الخال قد أوجَعَهُ
بُعد ميّ بين طلحة والحَسَنْ

أما الشاعر المعاصر ميسر الشمري[١٩] فيقول:

ويا انتي دخيلك ما بقى غيرها فيّ
شمس تظلل مدمع الشعر لاجات
إن قلت ابن لعبون تستحضرن ميّ
وان قلت يا عنتر غدت عبله اصوات
وتاكدي ما بالزمن شاعر حيّ
أموات نكتب بالدجى سيرة أموات

عفته وعفتها:

ملكت هيلة قلب ابن لعبون وتمكنت منه لدرجة ربما أنسته مي المطيرية، وراح يطارد هيلة في مرابعها وبين أخبيتها ويرسل من يثق به ليتحسس له أخبارها وطواريها، وراح يرقب وعن كثب رحيلها ربيعاً وراء الكلأ وعودتها صيفاً إلى الزبير. عاشت هيلة في مخيلته وشعراً على لسانه وفوق قراطيسه وتكلم الناس عنه وعنها وكثر لغطهم وقالوا عنهما ما قالوا، وما كان ذلك ليرضي ابن لعبون بل كان يخشاه ويخشى عواقبه على مي أولاً وعليه ثانياً، لذا نراه بين الفينة والفينة ينبري للدفاع عنها وينفي التهمة عن نفسه، ويلوذ بالصمت وعدم النظم أحياناً.

غاية عشقه:

تشير سيرة ابن لعبون وشعره إلى أن عشقه لهيلة (مي الزبيرية) وتغزله بها لم يكن لمجرد العشق والغزل استمتاعاً وتسلية، بل كان صادق المشاعر نبيل القصد وغايته الزواج بها وإلا لما خطبها، ولما ثارت ثائرته عندما تزوجت الديلمي.

بقي أن نقول وإن كان قد غلب على شعر ابن لعبون عذرية واضحة وهو يناجي هيلة، إلا أن ذلك الشعر لم يخل من أوصاف حسية ورغبات جنسية.

أصل هيلة:

نعود مرة ثانية إلى هيلة، فقد أثار تغزل ابن لعبون بهيلة (مي الزبيرية) ووصفه لها ومغامراته (الشعرية) معها الكثير من الشكوك حولها وسلوكياتها وأصلها، وآخر من تطرق لهذا الموضوع الأديب عبدالرزاق محمد العدساني الذي ذكر في أكثر من موضع في كتابه «شاعر الأطلال محمد بن لعبون» تساؤلات واجتهادات حول أصل هيلة منها قوله إنها إما ان تكون من القبائل التي لا أصل لها، أو تكون غير عربية سكنت هذه المنطقة [٢٠] وفي تقديمه للكتاب حدد الأستاذ فيصل السعد [٢١] أصل هيلة بأنها من معدان العراق ولم يذكر ما يعزز قوله هذا. إنه ومن خلال قراءة سريعة في شعر ابن لعبون وما وصفه من طبيعة حياتها وحياة أهلها أنها عربية كريمة الأصول ومن قبيلة معروفة ومما يدل على ذلك:

(١) وصف ابن لعبون لمساكن أهلها وانتجاع أهلها وظعنهم وراء الكلأ وفي هذا أكبر دليل على أنهم عرب، فالمعدان وهم سكان الأهوار لا يشدون ولا يسكنون الخيام ولا يسكنون المويلحات.

(٢) زواجها من أحد مشايخ المنتفق والذي وصفه ابن لعبون بأكرم الصفات لأكبر دليل على حسبها وعراقة أصلها.

(٣) رفض أهلها تزويجها لابن لعبون بعد زوجها الأول لدليل على تمسكهم بعادات القبائل العربية ومنها عدم تزويج بناتهم بمن يعرض (يتغزل) بهن ولو لم يكونوا كذلك لفرحوا بعربي مثل ابن لعبون ليزوجوه ابنتهم الأرملة .

(٤) تقدم ابن لعبون لخطبتها لدليل على علو نسبها وإلا لما خطبها وهو ذو الحسب والنسب والذي يحسب ألف حساب لأسرته وقبيلته والشعراء والشامتين.

أظن أن هذه أدلة كافية لتسليط الضوء على كريم أصل هيلة رحمها الله. أما زوجها الثاني فمما لا شك فيه أنه عربي كريم الأصل. ومن قال غير ذلك فقد أخطأ. وما سكناه في ديلم في أطراف بلاد فارس لينفي عروبته، وما هجاء ابن لعبون له ليقلل من شأنه، فما قول ابن لعبون إلا غيرة عاشق شاعر أُخذت معشوقته من بين يديه وهو يتفرج، فما كان له سوى لسانه ليطلقه هجاءً مراً للزوج ودعاءً على بلدته. وحتى ابن لعبون في هجائه لم يقدح في نسب الزوج الديلمي، وإنما عاب عليه أنه «يجيب كيله بمنديله» إما عن قلة أو من بخل وقد لا تكون هذه فيه وعاب رطانة مجتمعه في بلد العجم وهذه ليست معيبة له.

ورب سائل يسأل لماذا هجا ابن لعبون الزوج الثاني لهيلة (الديلمي) ولم يهجُ الزوج الأول (المنتفقي)؟. ربما كان وراء مكان إقامة كلا الزوجين سبب في ذلك، فالمنتفقي قريب من ابن لعبون، وعند تحرش ابن لعبون به فإنه سيطاله ويحاسبه، بينما الديلمي بعيد لذا خلا الجو لابن لعبون لهجائه.

****

الهــوامــش

(١) محمد بن غنام، مقابلة شخصية، الرياض ١٤١٨هـ.

(٢) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ٢٥٦.

(٣) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد)، ج١، ص ٨٠- ٨٢.

(٤) عبداللطيف بن سعود البابطين (طرائف الكلام في شعر العوام) الطبعة ١، ص ٢٥.

(٥) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (ابن لعبون ومي والغزل المبكر)، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠١٨.

(٦) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن لعبون) ، ص٤٢

(٧) خالد بن محمد الفرج، ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد، ج١، ص١٤٤.

(٨) ديلم هي البلدة المعروفة اليوم باسم بندر خميني، وكانت ديلم وقتئذٍ يحكمها عرب من قبيلة الخليفات وأكثر سكانها عرب (خالد بن محمد الفرج، ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد، ج١، ص ١٤٤).

(٩) عبداللطيف بن سعود البابطين (طرائف الكلام في شعر العوام)، ط١، ص ٢٥.

(١٠) نقلاً عن الوالدة وضحى بنت عثمان بن إبراهيم بن عبدالمحسن التويجري أطال الله عمرها.

(١١) محمد أحمد الثميري وعيد الضويحي (الفنون الشعبية في الجزيرة العربية)، ص١٥٥.

(١٢) محمد بن غنام، مقابلة شخصية، الرياض ١٤١٨هـ.

(١٣) محمد بن سعد بن حسين، أمير شعراء النبط محمد بن لعبون، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٩٧٨، تاريخ ١٤١٧/١٢/٢١هـ.

(١٤) أبو عبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري، إخراج ابن لعبون من الركام، صحيفة الجزيرة، تاريخ ١٤١٦/٣/٣٠هـ.

(١٥) خالد بن محمد الفرج (ديوان عبدالله الفرج)، ص٨٧.

(١٦) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ١٤٤.

(١٧) مكي محمد سرحان (الشاعر إبراهيم بن محمد الخليفة)، ص٨٢-٨٤.

(١٨) عبدالعزيز بن سعود البابطين،(ديوان بوح البوادي) ص ٥٥.

(١٩) ميسر الشمري (مجلة المختلف)، العدد ٣٩، أكتوبر ١٩٩٤م ص ٧٦.

(٢٠) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن لعبون)، ص ٨٢، ٨٣.

(٢١) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن لعبون)، ص ١١.

****

الفصل السادس

رأي الشعراء والأدباء في ابن لعبون

ذاع صيت الشاعر ابن لعبون وانتشر في نجد والخليج والعراق، حتى فاق ذكر أبيه العلاّمة والمؤرخ والنسابة الشيخ حمد بن محمد بن لعبون الذي صنّف العديد من المخطوطات منها تاريخ نجد المعروف اليوم باسم «تاريخ ابن لعبون». وهو من أهم مصادر التاريخ والأنساب في نجد. وقد بـــذّ الشاعر ابن لعبون أقرانه من شعراء النبط حتى تسابق وتفنن - من كتب عنه أو روى له - في تقليده ما استحقه من ألقاب تليق بما ارتقى إليه شأنه في مجال الشعر.

بعد ابن لعبون لا يلعبون:

قارن أحد فحول شعراء الأحساء الشاعر محمد بن لعبون بغيره من الشعراء فقال مقولة غدت مثلاً يقال وهي: «غير ابن لعبون كلهم يلعبون»[١] أو «بعد ابن لعبون لا يلعبون»[٢] بمعنى بعد ابن لعبون لا يقرض الشعراء الشعر، وذكر لي الأديب خالد سعود الزيد أن الذي قال هذه المقولة والتي غدت مثلاً سار على ألسنة الناس هو الشاعر عبدالله الفرج[٣] .

وعند ترجمته للشاعر ابن لعبون يستشهد صاحب الموسوعة النبطية الكاملة الشاعر طلال بن عثمان السعيد[٤] بقوله: «توّجه النقاد أميراً لشعراء النبط حتى قيل «بعد ابن لعبون لا يلعبون» أي لا يقرضون الشعر بعده. فقد كان شاعراً كبيراً متمكناً قوي العبارة متميزاً بشعره ..».

بيطار المثيل:

يقارن الشاعر النبطي المعروف سليم ابن عبدالحي[٥] بين ابن لعبون وفحول شعراء النبط ويميزه عنهم بأنه بيطار المثيل أي خبير الشعر بقوله:

وين محسن وين عبدالله الفرج
وين ابن لعبون بيطار المثيل
شوف وش سوّا لهم غض الشباب
كل منهم مات مغلول عليل

متنبي شعر النبط:

كتب الشاعر والأديب خالد بن محمد الفرج مقالة عن الشاعر ابن لعبون عنوانها «ابن لعبون متنبي شعر النبط»[٦] جاء فيها «محمد بن حمد بن لعبون آل مدلج الوايلي متنبي الشعر النبطي، وقد تبوأ في النفوس مركزاً لا يطمع فيه شاعر سواه، وابن لعبون يخاطب الناس بما يحسون به في شؤون حياتهم، يوحي بها بلا تكلف ولا إجهاد وكأن شعره مرآة مصقولة يرى كل إنسان نفسه».

«هو كالمتنبي في متانة شعره وجريانه على الألسنة مجرى الأمثال، وهو بعد كعمر بن أبي ربيعة في غزلياته»[٧].

شاعر نجد والساحل:

بجانب وصف خالد بن محمد الفرج للشاعر ابن لعبون بأنه متنبي النبط وصفه أيضاً بقوله[٨]: «وابن لعبون الشاعر الوحيد الذي أجمع على تفضيله أهل نجد وأهل الساحل وأطراف العراق على ما بين أذواقهم في الشعر من تفاوت بعيد قل أن يجمعوا فيه على استجادة شاعر واحد، وما ذلك إلا لأنه مزج صلابة الشعر النجدي برقة الشعر العراقي والساحلي».

أمير شعراء النبط:

أما عبدالله خالد الحاتم صاحب «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» فقد أضفى على «ابن لعبون» لقبًا استحقه بجدارة وهو «أمير شعراء النبط» فجعل بذلك منزلة

ابن لعبون في شعر النبط ما أنزل بعضهم شوقي من منزلة في الشعر الفصيح، ويبرر ابن حاتم رأيه هذا بقوله «والشاعر محمد بن لعبون بين شعراء النبط كالسنام من الجمل أو كالقمة من الجبل»(٩)، وبمقارنة ابن لعبون بالشعراء الآخرين يقول ابن حاتم «ولكن ابن لعبون يختلف عنهم في الجودة ودقة الوصف في معظم أشعاره إلى جانب إجادته التامة في كل ميادين الشعر في المديح والهجاء والغزل والشكوى وغير ذلك، مما يندر اجتماع مثل هذه الصفات في شاعر واحد، هذا بالإضافة إلى إقبال الناس الشديد واهتمامهم بأشعاره في زمانهم وبعده، حتى يومنا هذا».

وافق عبدالله الحاتم عدد من الأدباء والشعراء في وصف ابن لعبون بأمير شعراء النبط، ومن أولئك الشاعر طلال السعيد صاحب «الموسوعة النبطية الكاملة»(١٠) والشاعر مسعود بن سند بن سيحان صاحب «التحفة الرشيدية»(١١) والفريق يحيى المعلمي(١٢) وغيرهم.

شاعر الهوى والشباب:

يبدي الأديب عبداللطيف بن سعود البابطين صاحب «طرائف الكلام في شعر العوام»(١٣) رأيه في ابن لعبون بقوله: «كان ولعه بالشعر النبطي والأدب الشعبي سببًا في نبوغه وبروزه في هذا الميدان، حتى أصبح شاعر الهوى والشباب يسيل شعره رقة وعذوبة، وسلاسة وملاحة، وقد أبدع في الناحية الغزلية وأمتع، وأصبح زعيم هذا الاتجاه وحامل رايته».

أعلى مرتبة:

يلخص الأديب محمد بن حسين(١٤) رأي الأديب الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد في ابن لعبون فيقول: «لقد وصفه بالإجادة، والإحكام، وحسن الأسلوب، ورقة الألفاظ، وإشراق الديباجة، وأن ديباجة شعره أشبه بديباجة شعر عمر بن أبي ربيعة. ووصفه أيضاً بالسبق في كثير من الصور البيانية وأنه مبتكر. ومما ذكره أنه مكثر وأن له من الشعر ما ملأ مجلدات، وأن فرائد أمثاله وخرائد حكمه قد ملأت أسماع الناس، وما زالوا يتمثلون بها».

ويستطرد في وصف ابن لعبون بقوله: «والواقع أن هذا الشاعر، يذكرك حين تقرأ له بفحول شعراء العرب السابقين أمثال جرير، وعمر بن أبي ربيعة، وطرفة بن العبد وأمثالهم، فأينما يممت في شعره وجدت اللفظ الجزل، والمعنى الفخم، والتركيب المحكم، والأسلوب الرائع الواضح، والديباجة المشرقة، والبحر المنتقى، والقافية الممتازة الطيعة، ثم إن صوره كلها تجعلك تعيش في البيئة نفسها، تلك البيئة التي لم تختلف عن الجاهلية إلا ف يما فرض الإسلام في محيط العقيدة، والعبادة، والعادات، والتقاليد، والمعاملات، ولا أعلم شاعراً عامياً ارتقى إلى المرتبة التي تربع عليها ابن لعبون».

ابن لعبون أمير شعراء العامية:

يقول الأديب عبدالرزاق العدساني[١٥] إنه ومنذ وفاة ابن لعبون برز «شعراء كثيرون، منهم من طواه الزمن في عالم النسيان، ومنهم من بقيت أشعاره تكتب في دواوين الشعر، ولا أثر لها عند الناس، ومنهم من حظيت أشعاره ببعض القصص وبعض الأمثلة، إلا أن كل ذلك وقصص وحكايات وأشعار ابن لعبون بارزة لم يغير منها عامل الزمن أي شيء، تروى كما تروى، وكأنها حدثت بالأمس القريب».

وصف الأديب العدساني [١٦] ابن لعبون بقوله: «إن ابن لعبون أمير شعراء العامية بلا منازع، القديم منهم والحديث، وحق له أن يلقب بالمتنبي ليس من عامة الناس الذين يروون شعره، بل من شعراء الفصحى وأدباء كبار يدركون كل كلمة قالها، وكل عبارة سطرها، وكل جملة وجدت في شعره مستقراً ومقاماً، وكل قافية أنشدها، وعلى رأسهم الأديب الراحل والشاعر الكبير خالد الفرج الذي زاده فخراً أن دوّن له ديوانًا وقال عنه إنه المتنبي الثاني في كل ما حمله المتنبي الأول».

وفي لقاء لي مع الأديب العدساني في الكويت بعد صدور كتابه «شاعر الأطلال محمد بن حمد بن لعبون» سألته عن رأيه في مقولة الأديب عبدالله بن خالد الحاتم عن ابن لعبون بانه أمير شعراء النبط فقال «إن ابن لعبون ليس أمير شعراء النبط وحسب بل هو الشعر النبط، لقد أكمل نقص من قبله وسد باب الشعر على من بعده».

ابن لعبون والألقاب:

لم تُمنح النعوت والألقاب التي أطلقها الأدباء والشعراء على ابن لعبون جزافًا، وإنما هي نتيجة طبيعية لما تجسد في شعر ابن لعبون من متانة وعذوبة، ولثقافته وسعة اطلاعه، وما تحمله شخصيته من قوة ومرح وخفة ظل.

وحتى الآن ما زالت أقلام وألسن شعراء النبط تردد ذكر ابن لعبون، وتستشهد بأشعاره، وكما تغنى من عاصر ابن لعبون بكلماته، وألحانه يتغنى الكثير بها في وقتنا الحاضر.

ابن لعبون شاعر من ؟:

الى عهد ليس ببعيد لم يكن لهذه الحدود المصطنعة، التي تفصل بين أبناء الأمة الواحدة وتقطع وشائج الدين والقربى، من وجود، ولم يكن الناس وقتذاك يعرفون ما يسمى اليوم بالجنسية وليسوا بحاجة إلى جواز سفر. كان الفرد والعائلة يتنقلون من بلد إلى آخر دونما عوائق تذكر. لذا لم يحمل ابن لعبون وغيره من الهويات وإثبات الشخصية والولاء ما نحمله اليوم، وعليه فإننا لا نستطيع أن ننزل عليه حكماً بالتبعية لأي مما نتبع. هذا من ناحية الجنسية، أما من الناحية القبلية فكما تنافست أقوام وبلدان في نسبة ابن لعبون لها، تنافست قبائل فهنالك من يعده دوسرياً ومن قائل إنه تميمي وهنا نقول: أما وأن المسألة أصبحت قبلية فهو وبلا شك مدلجي وائلي عنزي.

ابن لعبون شاعر نجد:

بالتأكيد إنه شاعر نجد ولد فيها وفيها ترعرع ومن معين علومها نهل وفي بيئتها صقل، وتملكت عليه عاداتها ولهجتها التي طاف بها البلدان وتغنى بمفرداتها وأبدع، أولم تكن نجد هي التي فتقت قريحته بالشعر، وفي ربوعها عرف الحب الأول في حياته ذلك الحب الذي ما انفك يذكره حتى أواخر حياته، عرف ملهمته مي الأولى.

ابن لعبون شاعر الزبير:

وهل هذا بحاجة إلى دليل أوَلم يمضِ معظم حياته في ربوع ديرة ابن عوام، عشرون عاماً بين حزوم الزبير وطلحة والحسن وسنام والكوت وديم خزام وغيرها،

وماذا عن مي الثانية أو هيلة التي أشغلته عن كل شيء وحارب من أجلها كل من حوله. وهل تغنى بربوع الزبير شاعر قبله وحتى بعده بمثل ما تغنى بها هو؟.

ابن لعبون شاعر الكويت:

لا أظننا بحاجة للقول إن ابن لعبون شاعر الكويت، لِمَ لا وقد اختارها من بين البلدان مقراً له، وفيها عرف الاستقرارين الدنيوي بزواجه فيها (إن صح أنه تزوج ابنة خاله في الكويت) والاستقرار الأخروي. لقد أحب الكويت وتغنى بسِيفها ومنازلها. استقبله أهلها وعشقوا شعره وحفظوه وتبنوا فنونه وتغنوا بها، واهتموا به وأحيوا ذكره وفاءً منهم لم يلقه من غيرهم.

ابن لعبون شاعر البحرين:

لم يقل أحد بان ابن لعبون هو شاعر البحرين، ولكنه هو قال هذا في ترديده على البحرين وتغنيه بجمالها وعشقه لتلك «المهرة الصنيع» التي ألهمته من الشعر وابتكار الوزن ما لم تلهمه أي من اللاتي تغزل بهن في نجد أو الزبير أو الكويت. إن رائعته «يا علي صيح بالصوت الرفيع» لهي أكبر شهادة على بحرينية ابن لعبون. لقد عشقه أهل البحرين وردد بحارتهم فنونه وحفظوا شعره.

ابن لعبون شاعر قطر:

وقد عده أهل قطر شاعرهم، فقد سمعت ذلك من إذاعة قطر قبل حوالي خمسة عشر عاماً تتحدث عن ابن لعبون وفنونه وتصفه بأنه شاعر قطر.

ابن لعبون شاعر نجد والساحل:

إن تتبع سيرة ابن لعبون وشعره وما قدمناه من رأي لبعض الشعراء والأدباء فيه تجعله شخصية فذة تجاوزت حدود المجتمعات واللهجات وبيئات العادات والتقاليد والبيئات المناخية والأنظمة السياسية. لقد خاطب ابن لعبون بمفردات شعره المزركشة بتنوع اللهجات وصدق كلماته وشفافية عباراته الناس ولامس

شـغـاف قلوبهم بدواً وحـاضــرة في هضـاب نجـد ووهادها وقـفـارها وشـرقـاً في سواحل البحر وجزره وفي أطراف بادية العراق وأريافه وغرباً في الحجاز.

ومنه يتبن لنا أن ابن لعبون كما غدت سنون عمره مشاعة بين بلدان المنطقة شاعت هويته أيضـاً، وغدا من الصعب تحديدها فلا إقامته ببلد كافية ليعد منها، ولا مفردات لهجته لقوم تكفي ليعد منهم. لقد أحسن الأديب خالد بن محمد الفرج في حسم هذا الموضوع بكلمة فصل هي أن ابن لعبون هو: شاعر نجد والساحل.

****

الهــوامــش

(١) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص٢٥٦.

(٢) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ٥٥.

(٣) خالد سعود الزيد، مقابلة شخصية في ١٩٩٧/٣/٢٨م، الكويت، ضاحية عبدالله السالم.

(٤) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ١ ص ٤٢٠.

(٥) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ١٤٤.

(٦) خالد سعود الزيد (خالد الفرج حياته وآثاره)، ص ١٨٣.

(٧) خالد سعود الزيد (خالد الفرج حياته وآثاره)، ص ١٨٢.

(٨) خالد سعود الزيد (خالد الفرج حياته وآثاره)، ص ١٨٢.

(٩) عبدالله بن خالد الحاتم (محمد بن لعبون أمير شعراء النبط)، البيان، العدد الأول، ص٦٠، أبريل ١٩٦٦والعدد الثاني مايو١٩٦٦

(١٠) طلال السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ١، ص ٤٢٠.

(١١) مسعود بن سند بن سيحان الرشيدي (التحفة الرشيدية)، ج٢، ص ٢٤٠.

(١٢) يحيى المعلمي (مجلة فواصل)، العدد ٣٠، نوفمبر ١٩٩٦م، ص ٩٨.

(١٣) عبداللطيف بن سعود البابطين، طرائف الكلام ، ط ١، ص ١١، ط ٢، ص ١٣٥.

(١٤) محمد بن سعد بن حسين (الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وآثاره الأدبية)، ج١، ص٣١٣. (٨)

(١٥) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن حمد بن لعبون)، ص ٢٨.

(١٦) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن حمد بن لعبون)، ص ٧٥.

****

الباب الثاني
دراســــة فـــي
شـعـر ابن لعـبـون

الفصل الأول

شعر النبط: تدوينه وطباعته

إن القصد من هذا الفصل هو إعطاء فكرة مبسطة عن الشعر النبطي بشكل عام من دون الخوض في تفاصيله، ولا بد من الإشارة إلى أن الباحثين في هذا الشعر والدارسين له يختلفون أيما اختلاف في تعريفه وأصله ونشأته وتسميته وتقسيماته وما إلى ذلك. وسنكتفي بذكر بعض الآراء حسب وجهة نظر متبنيها.

الأدب العربي والشعر النبطي:

إن دراسة الأدب العربي وتاريخه وتطوراته تبدأ بدراسة الأدب العامي في جزيرة العرب، لأن هذا الأدب العامي فيها وخاصة في مرحلته القديمة هو صورة صادقة لما كان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي، وذلك لأن الوضع في بوادي جزيرة العرب كان أقرب ما يكون عليه في عصر الجاهلية.

وبهذا المعنى يقول الأديب خالد بن محمد الفرج[1] «لأن الوضع في نجد لا يزال كما كان عليه في عصر الجاهلية فالشعراء في الغالب أُميون والبدو منهم لم يتغيروا عما كان عليه أجدادهم الأولون فأساليب المعيشة والقتال ودواعي الفخر والنسيب وغير ذلك باقية لم تتغير عما كانت عليه في الزمن الأول ولولا جهلهم بالآداب العربية الأولى لزعمنا أنهم سرقوا معاني الأولين ونظموها فقد كادوا ينطقون بألسنتهم وينسجون على منوالهم»[2] .

وإذا اتفقنا مع ابن فرج بأن الوضع في نجد آنذاك يشبه من حيث العادات وأساليب الحياة ما كان في أيام الجاهلية، إلاّ أننا لا نوافقه الرأي بأن الشعراء

يجهلون الآداب العربية الأولى، وخير مثال على كلامنا هو ابن لعبون؛ فابن لعبون ملمّ بآداب العربية مطلع على فنونها، قرأ شعر الأقدمين وحاكاهم نفسًا وَقُدْرةً وصياغة ولفظًا، وبلاغة وجزالةً وعذوبة.

ولابد لنا من القول إن الصلة مازالت قوية بين الشعر النبطي والشعر الفصيح، فأصل ذاك من هذا، ولدينا من شعر ابن لعبون على ذلك أكثر من دليل.

الشعر النبطي:

الشعر النبطي بفتح النون والباء وكسر الطاء بعدها ياء مشددة، شعر عربي بلهجة عامية وهو كالشعر الفصيح له قافية ووزن وقد يكون للقصيدة أكثر من قافية ووزن. والشعر النبطي شعر مغنى ويقرأ منغوماً بمصاحبة الرباب أو الطبول والدفوف أو التصفيق بالأيدي[٣].

يختلف الشعر النبطي عن الشعر الفصيح بتحرره في معظم الأحيان من قواعد اللغة والإعراب وضبط الكلمات ورسم إملائها ونطقها بين الترقيق والترخيم.

ولما كان العامة بشكل عام يجدون صعوبة في تذوق الشعر الفصيح البليغ وفهم معانيه وحفظه، فقد قيض الله لهم من يعوضهم عن ذلك بشعر بسيط سلس يفهمونه ويتذوقونه وينبع من معيشتهم اليومية بأفراحها وأتراحها. ولو لم يكن لشعراء النبط غير هذه الميزة لكفتهم، ولو لم يكن إلاّ السواد الأعظم من الناس السند لأولئك الشعراء لكفاهم.

لغته:

يقول شفيق الكمالي «إن لغة الشعر -النبطي- ليست بلغة قبيلة معينة وإنما هي لغة خاصة به، فهي بمثابة لغة فصحى بالنسبة للهجات القبائل المختلفة ينظم بها الشعراء أشعارهم وتكون مفهومة عند جميع القبائل» [٤]، ويدلل الكمالي على مقولته هذه باختلاف لهجات القبائل البدوية اختلافاً واضحاً، إلا أن أشعارها

واحدة تروى بلسان واحد ويتناقله الرواة ويرددونه في مجالسهم المختلفة. ويطلق الكمالي على لغة الشعر هذه اسم لغة الأدب أو لغة الشعر كما هو الحال في لغة الشعر الجاهلي القديم التي كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وإن غذتها جميع اللهجات.

ويقارن طلال السعيد [٥] لغة الشعر النبطي الذي يربط مختلف القبائل بما وصلنا من لغة الشعر الجاهلي فيظهر أنه بلغة واحدة على الرغم من تعدد قبائل الشعراء وتباعد أماكنها ووجود فوارق في لهجاتها.

ويعزو السعيد ذلك إلى القول إنه ربما كان ذلك يرجع إلى اتخاذ شعراء النبط اللهجة الهلالية أساساً لشعرهم كما اتخذ عرب الجاهلية اللهجة القرشية أساساً لشعرهم.

أصله:

يذكر الأديب عبد الله بن خالد الحاتم أن الشعر العامي منبعه من البادية، ثم تسرب إلى المدن والقرى بسبب تحضر الكثير من البوادي.

ويحدد الأديب طلال السعيد[٦] أصل الشعر النبطي بقوله إنه يرجع لبني هلال القبيلة العربية التي هاجرت من موطنها الأصلي في جزيرة العرب إلى شمالي أفريقيا. ولقد كان لبني هلال قصائد لها نفس مفردات وأوزان وتراكيب الشعر النبطي الحالي. وما الوزن الهلالي إلا نسبة إلى بني هلال. ولدعم وجهة نظره يقول السعيد إن بني هلال هم أول من استنبط الشعر النبطي وأنه لم يرد قبلهم ذكر لهذا الشعر، ولم ترد أية قصيدة نبطية قبل قصائد بني هلال وأن شعرنا النبطي اليوم هو امتداد لشعر بني هلال.

ويحدد حمد الفرحان أن بداية انتشار الشعر النبطي كانت على أيدي شعراء بني هلال في بداية القرن الخامس الهجري.

أول من قال الشعر النبطي:

يرى الشاعر حمد الفرجان أن أول من قال الشعر النبطي هي عليا الهلالية بقولها:

قالت فتاة الحي عليا مثايل

ولا قايل مثلها في الحي قايل

انتشاره:

ينتشر الشعر النبطي بين قبائل بوادي الجزيرة العرب من اليمن حتى العراق وفي قبائل بوادي الشام وسيناء والسودان والمغرب. ومع تباعد الشقة بين هذه البوادي وحتى تلك التي هاجرت من اليمن إلى الحبشة أو تلك التي وصلت إلى آسيا الصغرى (تركيا) وروسيا أو تلك التي هاجرت إلى بلاد فارس بقي الشعر النبطي لغة التفاهم بينها على الرغم من وجود اختلافات في لهجاتها.

ويستنتج من ذلك ويبرره طلال السعيد بقوله إن انتشار الشعر النبطي بسرعة بين كافة القبائل البدوية كان بسبب هجرة بني هلال الطويلة إلى المغرب ومرورها بهذه البوادي واحتكاكها بقبائلها وإقامة بعض من بني هلال في بعض الأمصار والبوادي التي مروا بها.

تسمياته:

اختلفت تسميات هذا الشعر وتعددت فمنها الشعر العامي والشعبي والشعر الملحون والشعرالبدوي والحوراني.

سمي بالشعر العامي لتحرره في معظم الأحيان من قواعد اللغة والإعراب وضبط الكلمات ورسم إملائها ونطقها بين الترقيق والترخيم، وسمي بالملحون لما فيه من اللحن ومجافاة قواعد الفصحى.

وسمي بالشعر الشعبي لاتساع رقعة المعجبين به والمتذوقين له حتى غدا شعر الشعب نظماً ورواية، وهذه التسمية عامة وينضوي تحتها ما ينظمه كل شعب من الشعوب بلغته الدارجة أو لهجته.

أما الشعر النبطي فهو تسمية خاصة للشعر الشعبي في جزيرة العرب كالزجل في بلاد الشام والحميني في اليمن والملحون في المغرب.

ذكر ابن خلدون في مقدمته هذا النوع من الشعر بالشعر البدوي وأيضا بالحوراني بقوله إن «أهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي، وربما يلحنون فيه ألحانًا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية، ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبة إلى حوران من أطراف العراق والشام»[٧]، كما ويسمى بالقيسي والأصمعيات.

وتسميته بالشعر البدوي لأن معظم مفرداته مستمدة من لهجة أهل البادية ومعظم من ينظمه من البدو. وهذا لا يعني اقتصاره عليهم، فإن فحول شعراء النبط هم من سكان الحاضرة.

وذكر ابن خميس من أسماء الشعر النبطي تسميته بالملحون لما فيه من اللحن ومجافاة قواعد الفصحى[٨].

سبب تسميته بالنبطي:

قال الأديب عبد الله بن خالد الحاتم[٩] إن تسمية هذا الشعر بالشعر النبطي لم تظهر إلا قبل ستة قرون تقريباً بدليل عدم ذكر ابن خلدون لهذه التسمية.

أما سبب هذه التسمية فقد تعددت الروايات والآراء حولها، ومن ذلك ما ذكره الحاتم [١٠] بقوله إما أنها منسوبة إلى جيل أقبلوا من بلاد فارس ونزلوا بالبطائح بين العراقين يعرفون بالأنباط ويعرف كلامهم بهم، مثلاً فلان نبط أي تكلم أو قال شعراً، أو نسبة إلى قوم من سبيع في نجد يعرفون بهذا الاسم، أو نسبة إلى واد بناحية المدينة قرب حوراء يسمى نبط لأن به معدن البرام والنبطا.

أما الأديب خالد بن محمد الفرج[١١] فيعزو تسمية أهل نجد للشعر النبطي بقوله إنه قد أتاهم من العراق أو مشارف الشام فهم يدعونه بالنبطي أو شعر النبط، وكانوا يطلقون اسم الأنباط على فلاحي سواد العراق، وبدو مشارف الشام وفلاحيه.

أما الأديب عبدالله بن خميس[١٢] فقد ناقش وبإسهاب لفظة نبط وأنباط، وأنها تحوم كلها أو معظمها حول الاستخراج والاستحصال. وخلص ابن خميس إلى القول إن الجيل الذين يقطنون سواد العراق نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، أي أنهم حاضرة يعنون بالحرث والزرع ويسمون نبيطاً، وأنباطاً وإليهم ينسب الشعر النبط.

ويتطرق ابن خميس لتاريخ النبط فيقول: « وتشير المراجع التي بين أيدينا إلى أن أقدم ما عرف من تاريخ النبط يرجع إلى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد، وتقول إنهم كانوا يكتبون بالآرامية التي نشأت عنها البابلية قبل وضع الحروف العربية، وقد خمل تاريخهم حينما أصبحت ولايتهم رومانية في أوائل القرن الثاني للميلاد»[١٣].

وعن مساكن النبط يستنتج ابن خميس الآتي: « وفوق أن هذه الأدلة تعطينا دليلاً على قدم هذا الجيل، فهي أيضاً ترشدنا إلى أنهم لا تنحصر سكناهم في العراق، بل في الشام، وعمان، والبحرين، وغيرها»[١٤].

ويختتم ابن خميس دراسته حول النبط بقوله: «أولاً: انتفاء عروبة هذا الجيل أصالة، وإن كانوا ينطقون العربية، إلا أنها مملوءة بالدخيل، وممسوخة ومشوهة، وغثة وغير موثقة. ثانياً: ندرك أن لهذا الجيل أثراً على من حولهم من العرب حتى استطاعوا أن يؤثروا في لغتهم وأدبهم!!»[١٥].

ويناقش الأديب الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري[١٦] تسمية الشعر النبطي مناقشة مستفيضة يخلص فيها إلى القول: الأنباط أمة ظهر منها اللحن وفساد اللغة منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكانت النبطية عند اللغويين مرادفة للعامية، وإن تسمية هذا الشعر العامي بالشعر النبطي تسمية جائزة لأن نبطياً تساوي عامياً.

أما الأديب طلال بن عثمان السعيد[١٧] فإنه لا يؤيد جميع ما ذكر من سبقه ويعالج موضوع التسمية معالجة منطقية مستفيضة. ويتلخص رأيه بقوله «إنه من

الخطأ أن ننسب الشعر النبطي للأنباط والصحيح أن الشعر النبطي سمي بهذا الاسم لأنه استنبط وتعني نبع .. ونبط الماء بمعنى نبع الماء والاستنباط والاستخراج ولكن هذا المستنبط من أين استنبط؟ بالتأكيد من الشعر العربي الفصيح».

أما الدكتور سعد الصويان[١٨] فيحدد وبوضوح أن تسمية هذا الشعر بالشعر النبطي لا علاقة لها بالأنباط، وأن كلمة نبطي تعني فقط أن لغته عامية وليست فصيحة، وأن هذه الكلمة أصلا كانت تعني لغة الأنباط وقد توسع علماء العربية فيما بعد بإطلاقها على أي لهجة عربية لا تخضع لقواعد اللغة العربية الفصيحة، وهذا ما فهمه النساخ الأوائل لهذا الشعر بتسميته بالشعر النبطي ليميزوه عن الشعر الفصيح.

ويذكر الدكتور الصويان أن أقدم شاهد على استخدام كلمة «نبطي» ما ورد في قصيدة لأبي حمزة العامري بقوله:

الله من بيت وقصيدة وشاعر
عند الأمور المعضلات حميدا
كالدر الا أنها نبطية
تحلى على التكرير والترديدا

صلته بالفصيح:

الشعر النبطي على صلة وثيقة بالشعر العربي الفصيح، فللشعر النبطي ما للفصيح من خصائص وأغراض وأوزان وقوافٍ وموسيقى وجرس وصور وإبداعات. ولا يختلف النبطي عن الفصيح إلا في بعض اللحن، أو ترك الهمز، أو مجافاة الفصيح .

ولابد لنا من القول إن لدينا من شعر ابن لعبون وغيره من شعراء النبط الأوائل الدليل القوي على صلة الشعر النبطي الوثيقة بالشعر العربي الفصيح ، فأصل ذاك من هذا، وقد أشبع هذا الموضوع بحثاً عدد من الأدباء وأُفرِد لذلك مؤلفات.

وجزى الله الأديب عبدالله بن خميس خيرًا في مبادرته بدراسة هذه العلاقة، وتأليفه في ذلك سفرًا بعنوان «رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصله الفصيح».

تقسيماته:

القصيد والحداء والسامري والهجيني:

يقسم شفيق الكمالي [١٩] الشعر البدوي إلى انواع تختلف عن بعضها بأوزان وأنغام معينة. وأنواع الشعر عنده هي القصيد والحداء والسامري والهجيني. وإن كانت كلمة القصيد تعني الشعر بشكل عام إلا أنه خصّها بنوع معين من الشعر يتميز بمواضيعه وأنغامه وأوزانه التي تمتاز بطول النفس، أما الحداء فهو على شكل مقطوعات قصيرة تتألف في الغالب من بيتين وتلتزم كل قطعة بقافية تتغير بتغير المقاطع، ويلتزم الحداء بوزن معين واحد وهو الرجز. أما النوع الثالث وهو السامري فوزنه واحد وهو الرمل وأقسامه، والنوع الأخير وهو الهجيني فهو كالقصيد له من الشعر أوزان محددة إلا أن أوزانه أقصر من أوزان القصيد الطويلة النفس.

البدوي والحضري:

يقسم الأديب عبد الله بن خالد الحاتم الشعر النبطي أو العامي إلى قسمين بقوله: « فانقسم الشعر البدوي على نفسه إلى قسمين شعر البادية. وشعر الحضر سكان المدن أما الشعر البدوي فظل محتفظاً بمميزاته من سلامة اللفظ وقوة المعنى والصراحة وعدم الكلفة والتعقيد. والشعر المتحضر فإنه لا يخلو من تعقيد بسبب كثرة استعمال الألفاظ الاصطلاحية والكلمات الدخيلة فيه وتحريف بعض الألفاظ الأصلية وانعدام الصراحة في مجموعه، فمن هذه الأسباب ضعفت معانيه ولا نشعر بهذا الضعف إلا إذا قارناه بالشعر البدوي»[٢٠].

العامي القديم والعامي الحديث:

يقسم الأديب عبد الرزاق العدساني[٢١] الشعر العامي إلى قسمين قديم وحديث. فالشعر العامي القديم هو شعر أقرب إلى الفصحى بمعانيه وشكله وألفاظه، ومن شعراء هذا القسم راشد الخلاوي وأحمد السديري. وأما الشعر العامي الحديث فهو الشعر الذي تغلبت فيه اللهجة العامية على اللغة العربية حتى اتخذ الشعراء اللهجة العامية منطلقاً له، ومن شعراء هذا القسم عبد المحسن

الهزاني ومحمد بن لعبون. وبذا يكون الشعر العامي القديم برزخ بين الشعر العربي الفصيح والعامي الحديث.

المنظوم والمرتجل:

أما الأديب طلال السعيد[٢٢] فيقسم الشعر النبطي إلى قسمين رئيسين هما شعر منظوم ويسمى شعر الديوان وشعر مرتجل ويسمى شعر الميدان.

بحور الشعر النبطي:

إن بحور الشعر النبطي كثيرة وقد حاول الأديب عبدالله بن خميس والأديب شفيق الكمالي إحصاء عددها ودراستها فوجدا أن في ذلك صعوبة، أما الأديب عبدالرزاق العدساني فقد ذكر أن الشعر النبطي ينطلق من أحد عشر بحراً من البحور المعروفة إضافة إلى بعض الجديد الذي أضيف إليها، والبحور هي :

الطويل والبسيط المتواتر والرجز الكامل والهزج والسريع بأشكاله الثلاثة والرمل بشكليه والوافر والمديد والمجتث والمتقارب والمتدارك (العدساني ص ٢٧). ولكن من أهم هذه البحور الآتي:

الهلالي: يعد هذا البحر أصل الشعر النبطي وهو من أصعب بحوره وزناً، ومنه اشتقت بقية البحور وربما تعود تسميته إلى بني هلال.

الصخري: بحر قديم وربما نسب إلى قبيلة بني صخر في بادية الشام ويسمى هذا البحر بالفرّاقي.

المسحوب: بحر شائع سائد في الشعر النبطي وهو بقافيتين مختلفتين أو متشابهتين مع تسكين الأولى ومد الثانية أو العكس، ومنه تفرعت عدة بحور منها ثقيل المسحوب وخفيفه ومسحوبه.

الهجيني: سمي هذا البحر بالهجيني من الهيجنة وهي الغناء السريع ويختلف باختلاف سرعة سير الإبل.

والبحور الأخرى هي الزوبعي والحداء والعرضة والسامري والفنون والمروبع والألفيات والزهيري والجناس وغيرها.

أغراض الشعر النبطي:

للشعر النبطي أغراض متعدده منها الغزل والمدح والهجاء والفخر والحماسة والمواعظ والحكم والرثاء والوصف والأمثال والقصة والألغاز والرد أو الإخوانيات.

تدوين شعر النبط:

ظل شعر النبط تتناقله الألسن جيلاً بعد جيل، تحفظه صدور الرواة، فقد عرف منذ القدم أن صدور رجالات هذه الأمة هي سجلاتها.

ابن خلدون:

وربما كان ابن خلدون[٢٣] أول من ذكر الشعر البدوي أو الحوراني (الشعر النبطي) وروى قصائد نبطية في مقدمته. وربما كان ما أورده ابن خلدون من أبيات نبطية هي أقدم ما وجد طريقه للحفظ مدوناً.

مع مرور الزمن كان هذا الشعر عرضة للنسيان أحيانًا، أو التحوير أو التحريف أحيانًا أخرى، وربما نُحِل شعر لغير قائله، وربما استبدل المدح ذمًا والثناء قَدحًا، وذلك تبعًا لدقة نقل وحفظ الراوي وقوة ذاكرته وأمانته، لذا تعددت روايات الشعر وظهرت الاختلافات بين ديوان وآخر، وعليه كان لابد من وقفة بل وقفات للتأكد من نسبة الشعر لقائله أولاً، وأنه دوّن كما قاله ثانيًا.

المخطوطات أو الدواوين:

وحول تدوين الشعر النبطي في العصر الحديث يذكر خالد بن محمد الفرج[٢٤] أن الشعر النبطي لم يدون إلا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي) حيث جمعت منه دواوين كثيرة، وتخصص بعض النساخ في نسخها والارتزاق بما يبيعونه منها ويسمونها دواوين.

لقد ظهر رواة اهتموا بجمع الشعر النبطي ونسخه في مختلف مناطق جزيرة العرب وأطراف البادية الشمالية وبادية الشام. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر نبذة عن أهم مصادر الشعر النبطي في المنطقة:

المستشرقون:

ربما كانت المجموعات المخطوطة من الشعر النبطي التي حصل عليها عدد من المستشرقين الغربيين الذين جابوا بلاد العرب في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من أقدم مصادر الشعر النبطي.

بجانب أهدافهم المتعددة والمشبوهة لاستكشافهم لجزيرة العرب جمع عدد من الرحالة والمستكشفين الأوروبيين مخطوطات كثيرة من الشعر النبطي في جزيرة العرب وبادية الشام وفلسطين وسيناء، وأولوا هذا النوع من الشعر اهتماماً خاصاً لدراسة علم اللهجات العربية والسامية بشكل أوسع وأعدوا حول الشعر النبطي والروايات الشعبية أبحاثاً ودراسات نشرت في مجلات الاستشراق والدوريات المتخصصة وألفوا حول القبائل العربية وشعراءها وموروثاتها الشعبية الكتب والمجلدات، هذا وقد قام الباحث سعد الصويان بتلخيص لنشاط المستشرقين في هذا المجال(٢٥) .

يعد الرحالة الفنلندي جورج أوغست فالين أول من بادر من المستشرقين لجمع ودوراسة نماذج من الشعر النبطي. ادعى فالين الإسلام وزار جزيرة العرب مرتين في عام ١٨٤٥م ١٨٤٨م وتنقل بين معان ودومة الجندل (الجوف) وتيماء وجبة وحائل وجمع مجموعة كبيرة من الشعر النبطي وروايات من التراث الشعبي. نقل فالين ما حصل عليه من مخطوطات للشعر النبطي إلى جامعة هلسنكي ولم ينشر منه سوى أبحاث لثماني قصائد فقط من مجموعته المخطوطة الكبيرة. حيث نشرها في مجلة الجمعية الألمانية للاستشراق وذلك خلال الفترة ما بين ١٨٥١-١٨٥٢م.

جمع المستشرق الألماني يوهان جوتفرد فيتشتاين مخطوطات من الشعر النبطي وروايات شعبية من بادية الشام في عام ١٨٦٠م ونشر في عام ١٨٦٨م بحثاً لغوياً حول رواية بلهجة بدو سورية.

وممن جمع أشعاراً نبطية وروايات شعبية كل من فون ستيزن ووليام بالجريف في عام ١٨٦٢م وريتشارد بيرتون في عام ١٨٧٨م وتشارلز هوبر في عام ١٨٨٠م وألبرت سوسن ١٩٠٠م والويس موزيل ١٩٠٨م –١٩١٥م ولاندبيرج ١٩١٩م وهس ١٩٣٨م ولاندبيرج ١٩٢٨م وروبرت مونتان وهايكي بالفا وغيرهم.

ومن بين هؤلاء يتميز ألبرت سوسن الذي قام في العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادي بتنقلات بين بوادي وأمصار الشام والعراق وأطراف تركيا وجمع الكثير من الأشعار النبطية من شعراء ورواة في البلقاء وحوران ودمشق وحلب وبغداد وسوق الشيوخ وماردين. أخذ سوسن مجموعة مهمة من الشعر النبطي من رجل من أهل بريدة مقيم في بغداد اسمه محمد ويلقب بالأفندي، وقابل سوسن رجل من أهل عنيزة يقال له مسفر وأخذ عنه شعراً. كما أخذ في مدينة سوق الشيوخ مجموعة من القصائد من رجل من أهل الأحساء يقال له محمد الحساوي، ومن الأخير اشترى سوسن ديواناً مخطوطاً ضم الكثير من القصائد.

استعان سوسن بالمجموعات المخطوطة التي حصل عليها المستشرق تشارلز هوبر في العقد الثامن من القرن التاسع عشر وأضافها إلى ما جمعه هو من أشعار فقام بشرحها وإجراء دراسات حولها ونشرها في أول ديوان يطبع في الشعر النبطي، وأسماه «ديوان وسط جزيرة العرب» وذلك في عام ١٩٠٠م. يقع الديوان في حوالي ثمانمئة صفحة وضم مئة واثنتي عشرة قصيدة [٢٦] .

ومن المستشرقين المعاصرين الذين اهتموا بالشعر النبطي والموروث القصصي الشعبي في الجزيرة العربية البريطاني بروس انجهام والهولندي مارسيل كوبرشوك.

حائل:

تعد مجموعة فهد بن خالد العيسى الصويغ (بدون اسم للمخطوطة) من أقدم المجموعات المخطوطة للشعر النبطي حيث يعود تاريخ جمعها إلى بداية القرن الرابع

عشر الهجري. وتقع المخطوطة في ٣٣٩ صفحة وتضم قصائد كثيرة لأكثر من ٤٥ شاعراً من شعراء النبط. وتكمن أهمية هذه المخطوطة أيضاً في احتوائها على قصائد لم تنشر بعد لعدد كبير من الشعراء وخاصة شعراء شمر وعالية نجد.

القصيم:

قام الشاعر عبد الرحمن بن إبراهيم الربيعي من أهالي عنيزة بالقصيم بجمع عدد كبير من القصائد لعدد كبير من الشعراء في مخطوطة عنوانها «البحر الزاخر من شعر الأوايل والأواخر» تتكون من عدة مجلدات ولها أكثر من نسخة. وتعد مجموعة الربيعي من أهم مصادر الشعر النبطي في المنطقة وأوثقها.

سدير:

يعد محمد بن عبدالرحمن بن يحيى من أبرز جمّاع الشعر النبطي وتدوينه من رواته. لقد كان ابن يحيى يدون الشعر من أفواه الرواة من مختلف أصقاع جزيرة العرب ولمختلف الشعراء وجمع ما دوّنه من شعر في ثمانية مجلدات مخطوطة أسماها «لباب الأفكار في غرائب الأشعار» (الشكل ١). عمل ابن يحيى كاتبًا في المحكمة بالرياض وكان مهتمًا بالشعر النبطي وربما كان هو أول من بدأ بتدوين الشعر النبطي بشكل موثوق من رواته، كما كان يسعى لجمع الشعر النبطي وكتابته وسافر من أجل ذلك إلى الزبير والكويت والبحرين والأحساء وغيرها من البلدان، ومما مكن ابن يحيى من جمع الشعر مرافقته لبعض الأمراء وسماعه للشعراء والرواة الذين يرتادون مجالسهم، وكان لجلوس ابن يحيى عند ابن جميعة الموظف في قصر الحكم فرصة لتدوين الشعر من أفواه الشعراء والرواة الذين كانوا يأتون لتسلم عطاياهم ومُنحهم من القصر[٢٧]. والمجموعة الخطية لابن يحيى مازالت مخطوطة، إلا أن الشيخ عبدالله بن خميس والأديب سليمان الحديثي يقومان بتحقيقها وإعدادها للنشر.

لقد كانت مجموعة ابن يحيى من أهم مصادر ما نشر من شعر نبطي في بداية نشره قبل حوالي نصف قرن، ومن ذلك ديوان إبراهيم بن جعيثن ومحمد بن عبد الله العوني الذي رتبه وفسر بعض ألفاظه عبد الله بن خالد الحاتم (الشكل ٢).

الزبير:

إن من أجمل مخطوطات الشعر النبطي ما اطلعت عليه في صغري وهو مجلد ضخم، صفحاته مسطرة ومحاطة بإطار ملون بخطين أحمر وأزرق، ومرتب ومكتوب بخط جميل لعبد اللطيف بن سعود البابطين أسماه «طرائف الكلام من شعر العوام»، وقد فرغ من جمعه وخطه في ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م).

وتعد هذه المخطوطة من أهم مصادر الشعر النبطي فقد ضمت قصائد لـ ٥٦ شاعراً من فحول شعراء النبط.

طبعت هذه المخطوطة في الرياض عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م بعنوان «من عيون الشعر الشعبي أو طرائف الكلام من شعر العوام» وجاء في هذه الطبعة كثير من الأخطاء المطبعية فأعيدت طباعتها مرة ثانية في الكويت وتكررت الأخطاء ولم تر هذه الطبعة النور فأعيدت طباعتها ثالثة في الكويت في عام ١٩٩٤م وصدرت بعنوان من «روائع الشعر النبطي أو طرائف الكلام من شعر الأعلام».

الكويت:

وفي الكويت قام محمد بن حمد بوديّ بجمع الكثير من القصائد لشعراء نبط في الخليج والجزيرة العربية من أفواه الرواة والأدباء. وهذه المخطوطة نسخت بخط جميل واضح وتقع في عدد من الكراسات وبدون عنوان ويذكر أن مجموعة بودي المخطوطة هي المصدر الرئيس لما نشره الأديب عبدالله بن خالد الحاتم في مؤلفه «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» وذلك بدعم وتوجيه من الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت وقتذاك.

الرياض:

يحتفظ عبد الله بن محمد الفاخري في الرياض بمجلدات من الشعر النبطي قام بجمعها ونسخها في الكويت ونجد لعدد كبير من الشعراء وليس للمجموعة عنوان وتقع في عدد من الكراريس والأوراق المتناثرة.

الحجاز:

قام الشريف حمزة الغالبي ومحمد سعيد كمال في الحجاز بجمع مئات القصائد لشعراء معروفين في الحجاز ونجد وقد قامت دار المعارف بالطائف لصاحبها محمد سعيد كمال بنشر سلسلة من دواوين شعر النبط بعنوان «الأزهار النادية من أشعار البادية» والتي تتكون من ١٦ مجلداً.

الأحساء:

وفي الأحساء قام أدباء وشعراء من عائلة المبارك والعيوني بجمع ورواية مجموعة من الشعر النبطي لعدد كبير من الشعراء.

بغداد:

إن من أهم المجموعات الخطية النادرة لقصائد نبطية ما كتبه سليمان الدخيل المتوفى سنة ١٣٦٤هـ ضمن كتابه المخطوط «البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم» وهذا الكتاب ضمن مقتنيات مكتبة جامعة بغداد ما زال مخطوطاً (الشكل ٣).

مجموعات أخرى:

وبجانب ما ذكرنا هنالك العديد من المخطوطات المتناثرة هنا وهناك والتي لم تنشر بعد، ومن المجموعات المخطوطة للشعر النبطي مجموعة ابن عواد الفضلي وابن عويويد وعبدالعزيز بن عبدالله الفايز ومحمد الحمد العمري ومحمد العثمان القاضي ومنديل بن محمد الفهيد وإبراهيم اليوسف ورضيمان الشمري وغيرهم.

أدباء عرب:

لم يقتصر تدوين الشعر النبط على رواة نجد بل تعداهم إلى أدباء عرب ومستشرقين أوروبيين. فقد دون الأديب اللغوي أنستاس الكرملي بخط يده عدداً من القصائد النبطية وحاول شرحها مستعيناً بالأديب سليمان الدخيل إلا أنه مات قبل إكمالها.

طبـــاعته:

أول ديوان مطبوع: ديوان وسط جزيرة العرب:

بقي شعر النبط في جزيرة العرب مرويًا ومخطوطًا حتى تهيأ له من اهتم بجمعه وترتيبه وطبعه، وكانت الريادة في طبع الشعر النبطي في أوائل القرن الميلادي الحالي للمستشرق ألبرت سوسن الذي نشر في عام ١٩٠٠-١٩٠١م دراسة عن الشعر النبطي في وسط جزيرة العرب في ثلاثة مجلدات من ضمنها مجموعات مخطوطة ضمت أكثر من مئتي قصيده ومقطوعة لعدد كبير من شعراء النبط المعروفين منهم والمغمورين.

ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني:

يذكر خالد بن محمد الفرج [٢٨] أن أول ما طبع من الشعر النبطي ديوان صغير للمرحوم الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني أمير قطر، وذلك سنة ١٣٢٨هـ. وقد طبع أول مرة في الهند وأعيدت طباعته ثلاث مرات في قطر ورابعة سنة ١٣٨٤ هـ.

ديوان عبدالله الفرج:

طبع خالد بن محمد الفرج في بومبي سنة ١٣٣٨ هـ. ديوان عبدالله بن محمد الفرج الكويتي ونفدت طبعته فأعاد طبعه في دمشق في ربيع الأول سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣م).

ديوان ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام:

في أوائل عام ١٣٧١هـ طبع في القاهرة ديوان الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي «ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام» وفي ذيله مختاراته من الشعر النبطي اشتملت على قصائد وأبيات ومقطوعات لخمسة شعراء هم حميدان الشويعر ومحسن بن عثمان الهزاني ومحمد بن حمد بن لعبون المدلجي الوايلي ومحمد بن عبدالله القاضي وعبدالله بن حمود بن سبيل وقصيدة واحدة للشاعر تركي بن حميد.

وفي منتصف القرن كان للأديبين خالد بن محمد الفرج وعبدالله بن خالد الحاتم، رحمهما الله الريادة في طبع دواوين متخصصة للشعر النبطي ضمت مئات القصائد لعشرات الشعراء.

ديوان النبط – مجموعة من الشعر العامي في نجد:

لقد كان لخالد بن محمد الفرج دور كبير في جمع مئات القصائد لفحول شعراء النبط، حيث اجتهد في تحري الصحيح من هذه الأشعار وقام بترتيبها وتفسير بعض ألفاظها وطبعها في ديوان يتكون من جزأين أسماه «ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد» (الشكل ٤)، وقد كان جمع هذا الديوان وترتيبه وطبعه بإرشاد ودعم من الشيخ عبدالله بن سليمان وزير المالية في عهد الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – (الشكل ٥) وكان ذلك في عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) وطبع في مطبعة الترقي في دمشق، وأعيد طبع الديوان بجزأيه في مجلد واحد في المطبعة العربية في القاهرة، ولم تذكر سنة الطباعة وقامت المكتبة الأهلية بالرياض بتوزيعه.

ضم الجزء الأول أشعاراً لحميدان الشويعر، ومحمد بن لعبون، وعبد الله بن ربيعة، وعبدالله بن سبيل وضم الجزء الثاني أشعارًا لمحمد العبد الله القاضي، وعبد العزيز المحمد القاضي، ومحمد الصالح القاضي، ومحمد العوني.

خيار ما يلتقط من الشعر النبط:

وفي العام نفسه قام الأديب عبدالله بن خالد الحاتم بإصدار مؤلفه «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» الذي طبعته المطبعة العمومية في دمشق عام١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)، وقد ضم الجزآن قصائد لقرابة ثمانين شاعراً. وطبعت طبعته الثانية بجزأيه في عام١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م. (الشكل ٦).

كتاب من الشعر النجدي:

كما وطبع عبد الله بن خالد الحاتم ما جمعه محمد بن عبد الرحمن اليحيى من شعر إبراهيم بن جعيثن ومحمد بن عبد الله العوني في كتاب «من الشعر النجدي»

الذي طبع في عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) في المطبعة العمومية في دمشق (الشكل ٢) ونشرته مكتبة النهضة بالرياض.

ديوان النبط الحديث:

ونشر زيد بن عبد العزيز بن فياض في سنة ١٣٧٤هـ ديوان النبط الحديث في نجد للشاعر سعد بن حمد بن حريول (الشكل ٧).

وَيُعَدُّ ما نشره خالد بن محمد الفرج وعبدالله بن خالد الحاتم من شعر نبطي ومعلومات عن شعراء النبط المرجع الأساس لمعظم من جاء بعدهما.

الأزهار النادية من أشعار البادية:

وطبع الأديب محمد سعيد كمال صاحب مكتبة المعارف سلسلة من الدواوين بلغ عددها ١٦ ديواناً تحت عنوان الأزهار النادية من أشعار البادية ضمنها قصائد لمئات الشعراء.

مراحل تطور الشعر النبطي:

ظل شعر النبط تتناقله الألسن وتتوارثه الأجيال وخلال رحلته الزمانية والمكانية اعتراه الكثير من التحوير والتطور.

وينقسم الشعر النبطي من حيث تطوره إلى مرحلتين: قديمة وحديثة.

تبدأ المرحلة القديمة بأقدم ما وصلنا من شعر نبطي في أواخر القرن الثامن الهجري وتنتهي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري بظهور شعر محسن الهزاني وابن لعبون.

المرحلة القديمة:

إن أقدم ما وصلنا من الشعر النبطي ربما كان ما أورده الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري(٢٩) من أبيات عددها أربعة تنسب إلى أم عرار بن شهوان تمدح ابنها وهو يافع.

وعرار هذا هو ابن شهوان آل ضيغم جد الرشيد أمراء حائل الذي عاش سنة ٨٥٠ هـ [٣٠] وأورد له الحاتم قصيدة تتكون من ٥٦ بيتاً.

ويذكر أبو عبدالرحمن[٣١] أن الشيخ حمد الجاسر دون ستة أبيات لعمير بن راشد وهو معاصر لعرار كما ونسب إلى الجاسر قوله إنه طبع في العراق كتاب عن الدهم الشهوانيات نسبة إلى شهوان والد عرار تضمن أشعاراً لشهوان وعمير بن راشد، وشهوان هو أخ لراشد وعم لعمير بن راشد[٣٢].

وذكر الشيخ سعد بن جنيدل[٣٣] أبياتاً نسبها إلى فارس بن شهوان وربما كان فارس هذا هو أخ لعرار بن شهوان. وعن عبد الله البازعي روى أبوعبدالرحمن أبياتاً من شعر عميرة بنت راشد (أخت عمير).

ربما كانت هذه الأشعار قيلت في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري.

ومن شعراء القرن التاسع والعاشر الهجري أبو حمزة العامري الذي أورد له الحاتم قصيدتين، وربما كان راشد الخلاوي والعليمي وقطن بن قطن وأبو محمد البسام هم من شعراء هذه الفترة، وقد أورد الحاتم قصائد منسوبة لهؤلاء الشعراء.

ومن شعراء القرن العاشر جعيثن اليزيدي الذي أورد الشيخ حمد بن لعبون في تاريخه[٣٤] ٩ أبيات من قصيدة له يمدح مقرن الجبيري، ومن شعراء هذا القرن عامر السمين الذي أورد له الحاتم قصيدة طويلة في مدح قضيب بن زامل، ويقول أبوعبدالرحمن إن الممدوح هو غصيب بن زامل. وأورد الحاتم قصيدتين للشريف جري الجنوبي والكليف وعدهما من شعراء القرن الحادي عشر الهجري، إلا أن أبا عبدالرحمن استدرك ذلك وعد الكليف من القرن العاشر وجري من الحادي عشر[٣٥] ويذكر أبا عبدالرحمن من شعراء هذا القرن بنت عجل رئيس آل مغيرة من بني لام وغيرها شعراء من بني لام.

ومن شعراء القرن العاشر والحادي عشر الشريف بركات بن مبارك الحسيني أورد له الحاتم ثلاث قصائد كما أورد قصائد في مدحه.

ويعد أبو عبدالرحمن كريدم العرادي ومحمد بن جدوع التغلبي وقطن بن قطن من أمراء عمان والعليمي وجري الجنوبي ورميزان بن غشام التميمي وأخوه رشيدان وبداح بن بشر العنقري وفيصل الجميلي من شعراء القرن الحادي عشر.

ومن شعراء القرن الحادي عشر والثاني عشر جبر بن سيار وسعود بن عثمان بن نحيط ودهام بن دواس.

أما منيع بن سالم والمشنق وأحمد الوايلي وعريعر بن دجين وزامل بن حسين وجبارة الصفار وخليل بن عائد وسيف الغوينمي الدوسري ونبهان السنيدي وماجد الحثربي ومحمد المهادي فهم من شعراء القرن الثاني عشر.

ميزات شعر المرحلة القديمة :

تتلخص ميزات شعر النبط في مرحلته القديمة بالآتي:

١- النظم على بحور الشعر المعروفة وبالأخص بحور الطويل والكامل والبسيط والسريع والمسحوب وهو معدل السريع.

٢- أغلب النظم على قافية واحدة.

٣- تتمثل عاميته بمجانبة الإعراب والتصريف وشيء من عامية المعاني.

٤- سهولة إرجاعه إلى الفصحى.

٥- نظم الطوال وربما بلغت القصيدة ألف بيت.

٦- التطرق لمعظم - إن لم يكن كل - أغراض الشعر.

٧- ذكر الشاعر لاسمه وأحياناً الصلاة على النبي في مطلع قصيدته.

المرحلة الحديثة:

وتبدأ هذه المرحلة في أواخر القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر وعلى وجه الخصوص مع ظهور الهزاني وابن لعبون اللذين بظهورهما دخل شعر النبط مرحلة جديدة. ويعد بعض الدارسين ابن لعبون وشعر عصره الانطلاقة القوية الجديدة للشعر النبطي إلى وقتنا الحاضر.

مدرستا الهزاني وابن لعبون:

تتميز المرحلة الحديثة بظهور مدرستين: الأولى مدرسة الهزاني الذي أوجد الشعر الغنائي والشعر ذا القافيتين. وإن كان الشعر ذو القافيتين معروفاً لدى شعراء الفصحى إلا أنه كان إضافة جديدة أدخلها الهزاني إلى الشعر النبطي، وبجانب هذه الإضافة استحدث بحر السريع الذي حول به الشعر النبطي إلى شعر غنائي(٣٦) وهذ البحر تفاعيله هي:

مــســتــفــعلن مــســتــفــعلن فــاعلن

مــســتــفــعلن مــســتــفــعلن فــاعلن

هذا اللون هو ما يعرف بالمسحوب وهو السريع المرفل:

الــف ولــيــف قــــــــبــل أمــس زرنــاه

قــــروي يسلي عن جــــمـــيع المعـــاني

كما جاء الهزاني بالسريع المقطوع وهو ما يعرف بالسامري:

طعم العــــسل من مـــبــســـمك وشــفـــاك

طعم العــــسل من ريقك اســـــقـــانا

أما مدرسة ابن لعبون فقد أضافت ثلاثة بحور جديدة للشعر النبطي هي بحر الوافر أو ما يعرف بالصخري وبحر الرمل وهو ما يعرف بالفن اللعبوني والطويل المتواتر، هذا بالإضافة إلى مجزوء جديد للبسيط وهو ما يعرف بالهجيني (٣٧). هذا وإن أخذ ابن لعبون من محسن الهزاني المسحوب والقافيتين إلا أنه لم يذكر أنه نظم على فن السامري (٣٨) .

ومع أن شعراء المرحلة الحديثة بشعرهم أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى إلا أن شعرهم محكم البناء بقوافيه وبحوره ومعانيه. كما وأن مدرسة ابن لعبون أدق وأشمل من مدرسة الهزاني وإن كانت الأخيرة الأسبق في هذا المضمار (٣٩) .

لقد تبع مدرسة الهزاني وابن لعبون عدد من الشعراء الذين طوروا الشعر النبطي بتوليد الألحان والأدوار والأوزان وتنويع القوافي ونظم الألفيات.

الشعر النبطي في وسائل الإعلام:

اشتهر الأدب الشعبي وبالذات الشعر النبطي وبسرعة مذهلة في منتصف هذا القرن الميلادي وانتشر بانتشار وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية، وذلك في أواخر الخمسينيات من هذا القرن الميلادي.

الرواة والجمّاع:

تتواصل رواية الشعر النبطي جيلاً بعد جيل وفي وقتنا الحاضر هنالك العديد من الحفاظ والرواة لهذا الشعر ومنهم منديل بن محمد الفهيد ومحمد بن علي الشرهان ورضيمان بن حسين الشمري ورديني العبد الكريم السهلي ورضا بن طارف الشمري ومحمد بن شلاح المطيري وإبراهيم اليوسف وناصر المسعري وإبراهيم الواصل.

الإذاعـــة:

في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات انتشرت برامج البادية في محطات الإذاعة في الخليج والجزيرة العربية.

ففي الكويت قامت الإذاعة خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٨م و ١٩٦١م ببث برنامج على الهواء قدم الشاعر مرشد البذّال من خلاله قصائد نبطية. وفي نهاية عام ١٩٦١م قدم جاسم كمال ركن البادية ثم قدم حسين ملا علي الشعراء لإلقاء قصائدهم، وظهر في عام ١٩٦٢م سعود غانم الجمران كأول متخصص لتقديم ركن البادية وكذلك ظهر صالح بن منصور العليّان ومفرح الضمني، وفي الإذاعة الشعبية سليمان الهويدي.

أما أول برنامج إذاعي للبادية بثته إذاعة المملكة العربية السعودية فكان من جدة عام ١٩٥٨م ، وكان مقدمه مطلق مخلد الذيابي وكان البرنامج يتضمن القصص البدوية وما جاء فيها من أشعار نبطية وكذلك قدم البرنامج محمد بن شلاح المطيري.

وقدمت إذاعة الرياض برامج شعبية متنوعة قدمها أدباء وشعراء ورواة منهم محمد الشعلان وسعد بن حريول ومنديل بن فهيد وعبد الله بن خميس وإبراهيم اليوسف وناصر بن حمد السكران وغيرهم.

أما إذاعة البحرين فقد أعدت برنامجاً شعبياً قدمه صالح الرويعي.

وقدمت إذاعة قطر برامج شعبية أعدها وقدمها عبد الله الغالي المري وحمد بن محسن النعيمي وناصر بن مهدي الدوسري.

وقدمت إذاعة بغداد برنامج البادية قدمه مخلف صياح الشمري.

التلفزيون:

امتدت برامج البادية والأشعار النبطية لتصل إلى محبيها صوتاً وصورة عبر أجهزة التلفزيون.

فقد قدم سعود الجمران ثم سليمان الهويدي برنامج «مجالس العرب» سنة ١٩٦٥م في تلفزيون الكويت.

وفي تلفزيون الرياض ظهرت برامج متنوعة قدمها سعد بن حريول وعبد الله العلي الزامل ومحمد بن زبن بن عمير وناصر بن حمد السكران والحميدي الحربي.

وفي تلفزيون قطر ظهر عبد الله المري وحمد النعيمي وناصر الدوسري.

أندية وديوانيات النبط:

تأسس أول نادٍ للشعر النبطي في المنطقة في عام ١٩٧٦م وذلك في قطر.

وفي الكويت تأسست في عام ١٩٧٧م «ديوانية شعراء النبط»، كما ضمت رابطة الأدباء في الكويت بعض شعراء النبط النشطين منهم عبد الله بن عبدالعزيز الدويش.

وتنتشر منتديات وديوانيات الشعر النبطي والأدب الشعبي في مدن متفرقة من جزيرة العرب.

الصحافة:

لعبت الصحافة دوراً في نشر الشعر النبطي من خلال ما أفردته لهذا الفن من صفحات.

إن أول مجلة خصصت صفحات للشعر النبطي هي مجلة «عالم الفن» الكويتية والتي أصدرتها جمعية الفنانين الكويتية سنة ١٩٧٣م ومجلات أخرى منها مرآة الأمة والنهضة واليقظة وغيرها .

وظهرت مجلات متخصصة في الشعر والأدب الشعبي منها مجلة المختلف وفواصل وغيرها .

وأول صحيفة قامت بتخصيص صفحة كاملة للشعر النبطي هي صحيفة «السياسة» الكويتية.

الكتب:

قام عدد من الباحثين بإعداد دراسات علمية متخصصة لنيل درجات الماجستير والدكتوراه حول الشعر النبطي كما صنفت عشرات الكتب وطبعت مئات الدواوين في الشعر النبطي. ومن أبرز من كتب في الشعر النبطي عبدالله بن خميس وأبو عبدالرحمن الظاهري وطلال السعيد وعبدالله بن عبار العنزي وعبدالله وخالد السياري وإبراهيم اليوسف ومنديل الفهيد ومسعود بن سيحان الرشيدي وعبدالرحمن السويداء وفهد الرشيد وسليمان النقيدان وإبراهيم سعد العريفي وعبدالله سعود الصقري وسليمان الهطلاني وعبدالرحمن العقيل وصادق محمد أحمد بخيت وغيرهم.

الموسوعات:

وتعدى ذلك إلى الموسوعات، وأول موسوعة طبعت للشعر النبطي تلك التي أصدرها الشاعر طلال السعيد بعنوان «الموسوعة النبطية الكاملة».

****

الهوامش

(١، ٢) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ص ٤.

(٣) شفيق الكمالي (الشعر عند البدو)، ص ٧٦.

(٤) شفيق الكمالي (الشعر عند البدو)، ص ١٠٦.

(٥) طلال السعيد (الشعر النبطي)، ص ٢٧

(٦) طلال السعيد (الشعر النبطي)، ص٢٠.

(٧) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٨٣.

(٨) عبدالله بن خميس (الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ص٥٧.

(٩، ١٠) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، الجزء الأول ص ٨.

(١١) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد)، الجزء الأول ص٧

(١٢) عبدالله بن خميس (الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ص ٥٢

(١٣، ١٤، ١٥) عبدالله بن خميس (الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ص ٥٦.

(١٦) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري

(١٧) طلال السعيد (الشعر النبطي)، ص ١٨.

(١٨) سعد بن عبدالله الصويان

(١٩) شفيق الكمالي (الشعر عند البدو)، ص ٧٥.

(٢٠) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، الجزء الثاني ص ٣٠٩

(٢١) عبدالرزاق العدساني، (شاعر الأطلال محمد بن حمد بن لعبون، حياته وشعره) ص٢٣

(٢٢) طلال السعيد (الشعر النبطي)، ص ٢٩

(٢٣) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٨٣

(٢٤) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ج١، ص٤

(٢٥) سعد بن عبدالله الصويان، صحيفة الحياة، الأعداد من ١٢٢٧٢ الى ١٢٢٧٥ وكتاب الشعر النبطي (باللغة الإنجليزية).

(٢٦) ألبرت سوسن، ديوان وسط جزيرة العرب (باللغة الألمانية).

(٢٧) الراوية محمد بن علي الشرهان، مقابلة شخصية، الرياض ١٤١٧هـ.

(٢٨) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ج ١، ص

(٢٩) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٠) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣١) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٢) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٣) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٤) حمد بن لعبون، تاريخ ابن لعبون، ص ٣٩.

(٣٥) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٦) عبدالرزاق العدساني، شاعر الأطلال محمد بن لعبون، ص ٥٧.

(٣٧) عبدالرزاق العدساني، شاعر الأطلال محمد بن لعبون، ص ٥٩.

(٣٨) عبدالرزاق العدساني، شاعر الأطلال محمد بن لعبون، ص ٥٩.

(٣٩) عبدالرزاق العدساني، شاعر الأطلال محمد بن لعبون، ص ٢٧.

****

الفصل الثاني

مصادر شعر ابن لعبون

كان الشاعر محمد بن لعبون فائق الخط وكان يتراسل مع كثير من أدباء وشعراء وأمراء نجد والساحل ويتبادل معهم الأشعار، ومما يؤسف له أن أحدًا ممن روى أو جمع أو درس شعر ابن لعبون لم يذكر أنه اطلع على قصائد كتبها ابن لعبون بخط يده.

إن هذا يجعلنا نتساءل أين ذهب ما خطّه ابن لعبون من شعره بيده؟.

إن ذيوع صيت ابن لعبون وانتشار شعره لا يتناسب وكمية ما وصلنا منه، وهذا يجعلنا أيضا نتساءل أما زال هنالك شعر لابن لعبون لم يصلنا بعد؟، أم تراه مفقودًا ؟، وهل هنالك من وسيلة للبحث عنه ونشره ؟!.

بالتأكيد هنالك الكثير من شعر ابن لعبون لم يصلنا أصلاً وخاصة شعره الذي نظمه في الزبير، فمعظم شعره الذي بين أيدينا قاله بعد خروجه منها، وحتى شعره الذي قاله خارج الزبير لم يصلنا منه إلا القليل. وكدليل على ما ذكرت أقول بأن ٢٣ قصيدة من أصل ٧٨ قصيدة نسخها الشيخ محمد بن حمد بودي ما زالت مفقودة (الشكل ٨).

المخطوطات أو الدواوين:

اعتمدنا جمع شعر ابن لعبون على ما تناقله الرواة مشافهة جيلاً بعد جيل وما

نسخه النساخ في كراسات ودواوين في بلدان متباعدة وعلى ما نسخه النساخ من شعره في سدير والزبير والكويت والأحساء والبحرين والقصيم وحائل والحجاز وغيرها. وتعدى الاهتمام بشعر ابن لعبون وجمعه وتدوينه شعراء وأدباء المنطقة إلى مهتمين خارجها أمثال الأديب أنستاس الكرملي والمستشرقين تشارلز هوبر وألبرت سوسن وغيرهم.

إن أيًا من المهتمين بشعر ابن لعبون من الحفّاظ والرواة والجمّاع لم يذكر أنه اطلع على شعر لابن لعبون بخط يده، إلاّ أن كثيرًا منهم قد دوّنوا ما سمعوا وحفظوا من شعر ابن لعبون، واحتفظوا بما كتبوه. وبقيت معظم هذه المجموعات المخطوطة بعيدة عن متناول الدارسين والمهتمين، ولم يصلنا منها إلا القليل وبذا أصبحت تلك الدواوين عرضة للتلف والضياع بمرور الزمن.

لباب الأفكار في غرائب الأشعار:

يعد محمد بن عبدالرحمن بن يحيى من أبرز جمّاع الشعر النبطي وتدوينه من رواته ومن أهم مصادر شعر ابن لعبون. وتضم مخطوطة ابن يحيى والتي أسماها «لباب الأفكار في غرائب الأشعار» (الشكل ١) ٥١ قصيدة نسبها إلى ابن لعبون وبلغت أبيات هذه القصائد ١٢١٩ بيتاً ومنها قصيدة واحدة (عدد أبياتها ٣٧ بيتاً) ليست من شعر ابن لعبون، والقصيدة مطلعها: عقب العشا زارني طيف يقول، وهي من شعر عيسى بن حمد بن جلق في رثاء زوجته. وبذا يكون ما أورده ابن يحيى من شعر ابن لعبون هو ٥٠ قصيدة عدد أبياتها ١١٨٢ بيتاً.

طرائف الكلام من شعر العوام:

ضمت مخطوطة عبداللطيف بن سعود البابطين المسماة «طرائف الكلام من شعر العوام»، والتي فرغ من جمعها وخطها في عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) على ٣٤ قصيدة نسبها إلى ابن لعبون (الشكل ٩) وبلغ مجموع أبيات هذه القصائد ٨٩٧ بيتًا.

ضمت هذه المخطوطة ثلاث قصائد ليست من شعر ابن لعبون، الأولى مطلعها: هيه يا راكب على اكوار النجاب لمحمد العبدالله القاضي والثانية مطلعها: لكن حسراة الساير امتلاه لنمر بن عدوان والثالثة مطلعها: سقى سحب الطها ديم الخزاما ربما لعبدالمحسن الطبطبائي. وبذا يكون عدد قصائد ابن لعبون هو ٣١ قصيدة ومجموع أبيات قصائد ابن لعبون ٧٧٥ بيتاً.

مخطوطة بودي:

إن من أبرز رواة شعر ابن لعبون في الكويت محمد بن حمد بودي (الشكل ٨) ويذكر أن بودي قد استعان في جمعه لشعر ابن لعبون بالشيخ محمد العسافي والشيخ ابن شهوان من أدباء الزبير وعلمائها. وتضمن فهرس مجموعة بودي المخطوطة ٧٨ قصيدة منسوبة إلى ابن لعبون (الشكل ١٠)، ومما يؤسف له أن المخطوطة مفقودة. وتضم القائمة ٢٣ قصيدة لم ترد عند غيره من الرواة ولم نعثر عليها بعد.

مخطوطة الفاخري:

أثناء إقامته بالكويت قام الشيخ عبدالله بن محمد الفاخري بجمع شعر ابن لعبون وغيره (الشكل ١١).

البحر الزاخر من شعر الأوايل والأواخر:

إن أكبر عدد من قصائد ابن لعبون ضمتها مجموعة خطية واحدة هي مجموعة «البحر الزاخر من شعر الأوايل والأواخر»التي جمعها الشاعر عبد الرحمن بن إبراهيم الربيعي، ففي هذه المجموعة ٥٨ قصيدة من شعر ابن لعبون بلغت أبياتها ١٢٦٧ بيتاً منها قصائد لم تنشر من قبل (الشكل ١٢).

مخطوطة الصويغ:

تعد مخطوطة فهد بن خالد بن عيسى الصويغ في حائل من أقدم مخطوطات الشعر النبط، ومع أن المخطوطة اهتمت بجمع قصائد لشعراء من حائل وما حولها من بلاد شمر إلا أن بها قصيدتين من شعر ابن لعبون بلغ عدد أبياتهما ٢٤ بيتاً.

البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم:

إن من أهم المجموعات الخطية النادرة ما كتبه سليمان الدخيل المتوفى سنة ١٣٦٤هـ ضمن «كتاب البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم» (الشكل ١١) وقد أورد ١٤ قصيدة للشاعر ابن لعبون بلغ مجموع أبياتها ٤٠٣ أبيات.

مخطوطة أنستاس الكرملي:

وجمع الأديب أنستاس الكرملي عددًا من قصائد لشعراء النبط منها قصيدة للشاعر ابن لعبون بلغ عدد أبياتها ٢٠ بيتاً والقصيدة مطلعها: فلا ذر نور تمسي وتمسي خدها (الشكل١٣).

مجموعات المستشرقين:

ضمت المجموعات المخطوطة التي حصل عليها المستشرق تشارلز هوبر والمستشرق ألبرت سوسن ٦ قصائد من شعر ابن لعبون بلغ عدد أبياتها ١٨٤ بيتاً. وقام سوسن في مطلع هذا القرن الميلادي بنشر مجموعة من الشعر النبطي في كتابه «ديوان قلب الجزيرة العربية» المكون من ثلاثة أجزاء اشتمل الجزء الأول من الكتاب على مجموعة من قصائد ابن لعبون (الشكل ١٤).

نشر وطباعة شعر ابن لعبون:

ديوان وسط جزيرة العرب (ألبرت سوسن) :

ديوان ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام (محمد بن بليهد):

يعد ما نشره ألبرت سوسن من قصائد للشاعر ابن لعبون في مؤلفه الذي أصدره في عام ١٩٠٠-١٩٠١م وما ضمته مختارات الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد من الشعر النبطي ومنها قصائد وشواهد من شعر ابن لعبون والمذيلة لديوانه «ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام» والذي طبعه في القاهرة عام ١٣٧١هـ من أوائل ما نشر وطبع من شعر ابن لعبون. ويقول ابن بليهد عن ابن لعبون إن له قصائد تملأ المجلدات لو ألمنا بذكرها.

ديوان النبط (خالد الفرج):

كانَ لشعر ابن لعبون النصيب الأوفى والاهتمام الأكبر في ما جمعه خالد بن محمد الفرج في «ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد» فقد ضم الجزء الأول من هذا الديوان عدداً من قصائد ابن لعبون بلغ مجموعها ٤٦ قصيدة ومجموع أبياتها ١٠٨٦ بيتًا في حوالي مئة صفحة.

ديوان خيار ما يلتقط (عبدالله الحاتم):

ضم الجزء الأول من «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» لعبدالله بن خالد الحاتم قصائد من شعر ابن لعبون بلغ عددها ٤٦ قصيدة ومجموع أبياتها ١٠٩٨ بيتًا وشغلت حوالي ستين صفحة من الديوان.

الأزهار النادية (محمد سعيد كمال):

عندما قامت مكتبة المعارف لصاحبها محمد سعيد كمال بالطائف بنشر سلسلة من دواوين شعر النبط ضمن سلسلة «الأزهار النادية من أشعار البادية»، حيث أفردت للشاعر ابن لعبون الجزء العاشر منها وعنوانه: «يشتمل على شعر فارس هذا الميدان ونابغة العصر والزمان الشاعر الكبير محمد بن لعبون» (الشكل ١٥). ضم هذا الديوان ٤٦ قصيدة من شعر ابن لعبون والديوان عبارة عن نسخة مما جمعه خالد بن محمد الفرج، ولم يأت الناشر على ذكر اسم الجامع أو الإشارة إليه ولا سنة طبع الديوان.

المجموعة البهية (عبدالمحسن أبابطين):

اشتملت «المجموعة البهية من الأشعار النبطية» لجامعها عبد المحسن بن عثمان أبابطين والمطبوعة سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، على ٢٤ قصيدة من قصائد ابن لعبون وبلغ عدد أبياتها ٥٥١ بيتاً.

التحفة الرشيدية (مسعود بن سيحان):

نشر مسعود بن سند بن سيحان صاحب «التحفة الرشيدية» المطبوعة سنة ١٩٦٩م، أربع قصائد من شعر ابن لعبون عدد أبياتها ١٧٣ بيتاً. ثلاث قصائد من

هذه المجموعة حصل عليها صاحب التحفة الرشيدية من مخطوطة «طرائف الكلام من شعر العوام» لعبد اللطيف بن سعود البابطين[٢] قبل نشرها. القصيدة الأولى مطلعها: الله من وقت تقضى بالافراح .. وهي قصيدة طويلة تتكون من ستين بيتًا، وهذه القصيدة تبين لي أنها لحمد المغلوث، والقصيدة الثانية مطلعها: كيف يا سيد العذارى المحصنات .. وتتكون من واحد وخمسين بيتًا والقصيدة الثالثة مطلعها: آه من قلب غدا مثل الهشيم .. وتتألف من اثنين وعشرين بيتًا. أما القصيدة الرابعة والتي مطلعها: أرى الدار ما توفي بماضي وعودها، فقد أعاد نسبتها إلى ابن لعبون بعد أن نسبت لغيره في بعض الدواوين.

ابن لعبون (يحيى الربيعان):

قام يحيى الربيعان في عام ١٩٨٢م بنشر كتاب أفرده لابن لعبون بعنوان «ابن لعبون حياته وشعره» وقد اجتهد الربيعان في تخيل صورة ابن لعبون - وليته لم يفعل (الشكل ١٦) -، ويتميز هذا الكتاب عما سبقه من دواوين بجمعه لبعض ما تناثر من شعر ابن لعبون في الدواوين المطبوعة الرئيسة الآنفة الذكر، فجمع ما يقارب ٥٣ قصيدة من شعر ابن لعبون.

ويوّب الربيعان شعر ابن لعبون إلى مقدمة ذكر فيها نبذة عن حياة الشاعر، وقع فيها بأخطاء من سبقه ولا سيما حول سنة ميلاده ومسقط رأسه، وانتقى من شعر ابن لعبون ما سار مثلاً أو استعان به من أمثال، وأورد نقائضه مع عبد الله بن ربيعة وما جاء في شعره من مدح وهجاء وغزل، وذكريات وحكم وأمثال ورثاء.

ومع أن يحيى الربيعان ذكر عددًا من المصادر في آخر كتابه «ابن لعبون حياته وشعره»، إلاّ أنه اعتمد أساسًا على ما جمعه ورتبه وفسر بعض ألفاظه خالد الفرج «ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد».

من عيون الشعر الشعبي ومن روائع الشعر النبطي (عبداللطيف البابطين):

نشر عبداللطيف بن سعود البابطين مخطوطته «طرائف الكلام من شعر العوام» في عام ١٩٨٨م بترتيب وشرح عبدالله بن محمد بن خميس وبعنوان من «عيون

الشعر الشعبي أو طرائف الكلام من شعر العوام» ضم الديوان ٣٤ قصيدة منسوبة إلى ابن لعبون وبلغ مجموع أبيات هذه القصائد ٨٩٧ بيتًا منها ثلاث قصائد ليست من شعر ابن لعبون وسبق الإشارة إليها.

وفي طبعة مجموعة «طرائف الكلام من شعر العوام» الثانية في عام ١٩٩٤م بترتيب وشرح د. مرسل فالح العجمي وبعنوان «من روائع الشعر النبطي أو طرائف الكلام من شعر الأعلام» حذفت قصيدة عبدالمحسن الطباطبائي وبقيت قصيدتا محمد العبدالله القاضي ونمر بن عدوان كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

****

الفصل الثالث

أدب ابن لعبون وموسيقاه

ابن لعبون عنصر وحدة أدبية في المنطقة:

رغم معاناة ابن لعبون وعدم استقراره في بلد معين إلاّ أنه تأقلم مع هذه المجتمعات، وعَدّ كل مجتمع منها مجتمعه وأهل ذلك المجتمع أهله، عاش معهم وتكلم لهجتهم كواحد منهم، وهذه من ميزات ابن لعبون، تحسها وتدركها في معظم قصائده.

لقد صهر ابن لعبون لهجته النجدية في بوتقة واحدة مع لهجة أهل الزبير ولهجة أهل الساحل، ومنها جميعًا صاغ أحلى القصائد بلهجة مقبولة مستساغة مفهومة لدى الجميع، وبذا نجح ابن لعبون في كسر طوق عزلة اللهجات، وتخطى الفوارق بين المجتمعات، وأصبح عامل وحدة أدبية في المنطقة نجح من خلالها في جمع سكان نجد، وسكان الساحل على تذوق شعره وتغنيهم به واعتزازهم به ونسبته لهم. فإذا ما قرأت أو سمعت شعرًا لابن لعبون وأنت لا تعرفه فلن يخامرك شك في أنه من قلب نجد يطوف بك بمعالمها وآثارها وبيدها ومدنها وقراها وبلهجة أهلها المتميزة، وكذا تقول إنه زبيري تربى في ربوع الزبير وبين أحيائها الأثرية ولهجة أهلها النجدية المتأثرة بالساحل، وكذا فهو بحريني وكويتي وخليجي بشكل عام، وبين الحين والآخر تلتقط من شعره ما يوحي إليك بأنه بدوي أو من سكان شمالي جزيرة العرب، وأن هناك كلمات تطعم شعره وكأنه من أرض الرافدين.

لقد استطاع ابن لعبون بجانب استخدامه للهجات متباينة أن يسخر أفكارًا وتعابير ومبادئ وأمثلة مختلفة من بيئات متعددة في قصائد وجدت لها قبولاً واستحسانًا لدى الجميع. إننا نرى ابن لعبون يضرب المثل السائر في نجد كما يضرب المثل من الزبير والعراق والساحل، ويبتدع المثل ويأتي بالعربي منه. ويأتي بالحكمة أينما وجدها نجدية أو زبيرية أو من أي مصدر، وقد يبتدعها بلفظ غير مسبوق.

تهذيبه للمفردات:

استعان ابن لعبون بمفردات من لهجات محلية متباينة كثيرة في قصائده، بل حتى في القصيدة الواحدة أو البيت الواحد، وقد تمكن ابن لعبون من تهذيب هذه المفردات، ومزجها مع بعضها بتناسق وتناغم حتى كادت تطغى الكلمات الزبيرية على لهجته النجدية، كما طعم أشعاره بكلمات كويتية وبحرينية وغيرها، وحتى الكلمات الأعجمية وجدت طريقًا إلى شعره. إننا لا نريد الاستشهاد بالكلمات النجدية، لأنها تشكل جلّ شعره وكذلك الكلمات الزبيرية، ونكتفي بالإشارة إلى بعض الألفاظ الأخرى.

يقول ابن لعبون:

يالايمي به شوين شوين

عساه ياطاك بحصانه

وكلمة شوين وهي من لهجات الشمال، وتعني على رسلك أو مهلك (شيئًا فشيئًا).

وقوله:

يفتخر حاشاك بالعظم الرميم

مفخر البزون بالسبع الغشوم

والبزون هنا عراقية تعني القط.

وكقوله:

يفتر عن مثل الدحاريج موقه

اربع ليال مدلجات على ساق

والدحاريج ومفردها دحروجة في لهجة جنوبي العراق هي البيض، أما في لهجة نجد فهي ما يلف من علف الإبل ويدس في أفواهها.

أما استخدامه لكلمات خليجية مثل قوله:

يا علي صيح بالصوت الرفيع

للمرة قل: تبيعين لا الجناع

والجناع في لهجة أهل البحرين والساحل بشكل عام هو القناع، وهو ما تغطي به المرأة وجهها.

وقوله:

والورك والساق والفخذين

من بينهن فلقة الدانه

فلقة الدانة أي المحارة من لهجة أهل الكويت وأهل الساحل بشكل عام.

واستعان ابن لعبون بكلمات أعجمية فارسية وتركية شاعت في لهجة جنوبي العراق وعربستان والساحل كقوله :

شومي رماك القدر بسهوم

وان راطنك خوب قولي له

خوب كلمة فارسية كثيرة الاستعمال في جنوبي العراق، وتعني طيب أو حسن.

يقرا فرامين على الخد وآيات

خط بقرطاس الدهر من دواته

فرامين كلمة تركية عثمانية مفردها فرمان أي مرسوم أو بيان .

تكيّفه مع اللهجات:

لقد ساير ابن لعبون أهالي الزبير والساحل في لهجتهم بإبدال نطق بعض الحروف بحروف أخرى، مثل نطق الجيم ياء (مدلج = مدلي، هج = هيّ) والكاف جيم معطشة (باكر = باچر، كيس=چيس)، كما تنطق القاف جيمًا (قيل = جيل، قليب = جليب).

قـــالت غـــريب غـــشـيـــه الـلـيل مـــدلـي

ضـــــامي رمـى دلـوه عـلـى مــــاك مــــدلي

واظن هذا المســـــتــــهـــام ابـن مـــدلـي

من لابة تحـــجـي ولا هوب شـــحـــتـــوت

وهنا جناس فمدلي الأولى مدلج من الإدلاج والثانية أنزل دلوه من الدلاء، أما الثالثة فالمقصود بها مدلج أي ابن لعبون نفسه فهو ابن مدلج.

وقوله في إحدى نقائضه لابن ربيعة:

خـــذ مـــا تراه وخل عنك الخـــمـــاچيـــر

من شق جـــيـب الناس شـــقـــوا وزاره

فالخماچير: هنا تعني الخماكير، أي الكلام غير المفيد.

موسيقى شعر ابن لعبون:

لقد مكنت الخلفية العلمية والثقافية لمحمد بن لعبون من الاعتداد بنفسه أولاً، ثم لوى عنان الشعر ثانيًا، وبهذا تمكن من إضافة الجديد إلى الشعر النبطي جرساً موسيقياً ولحناً إيقاعياً متميزاً.

عندما تطرق صاحب الموسوعة النبطية الكاملة الأديب طلال السعيد لموضوع موسيقى الشعر النبطي ذكر أن ابن لعبون فرض نفسه ليكون فارس هذا الميدان. فتحت عنوان «غير ابن لعبون لا يلعبون» أفسح صاحب الموسوعة لأمير شعراء النبط أن يحتل هذا المجال.

وبتصرف سنورد ما جاء في الموسوعة[1] تحت هذا الموضوع:

عرف شعر ابن لعبون بقوة موسيقاه وجمال إيقاعه وقد قيل فيه «غير ابن لعبون لا يلعبون» ومعنى هذه المقولة لا ينظم الشعر غير ابن لعبون. وهذه المقولة تذكرنا بالشاعر العربي الأعشى الذي سمي بـ «صناجة العرب» أي موسيقي العرب الذي يعزف ويُطرب. استشهد صاحب الموسوعة بإحدى قصائد ابن لعبون وهي فائيته المعروفة:

يا هل الْعِيراتْ عنْ دار التُّلاَفْ
مـنْ عَفا الّلهْ عَنْه يِرْدِفْ لِه رِدِيفْ
عَنْ ديَار كلْ مَا فِيهَا يِعَافْ
يَارَكِبْ وَيلاَهْ مِنْ سيف كِسِيفْ
جِيتْ نَاس عُقبْ أهلْ مَيٍّ نِشَافْ
يَطْبُخون الزَّادْ بَالمَاي النُّظِيفْ
مِنْ عُقُبْ زَلّ الزّوَالِي وَاللِّحَافْ
وَالنُّمدْ وَللجُوخْ سَفّوا لِي سِفِيفْ
شفْ مَنازِلْ مَيْ فِي ذِيك الحَضَافْ
ياحرَاشْ إنْ كَانْ يَحْتاجْ تَعْرِيفْ
ذَا مصَبُّ الماءْ وَهذاكَ الرِّقَافْ .
وَالخْرَمْ هَذا وَهَذاكْ المَضِيفْ
مُوحِشَاتٍ كلْ مَا فِيهَا يخَافْ
مهْرَةْ الخْيالْ فِيهَا مَا تِقيف
يَحْلف الحْلاَّفْ مَا شَافه وشاف
بَالمَنازِلْ زَولْ عُطمبُولٍ زِرِيفْ
كَمْ عَفا الّلهْ لِي برَبْعهْ مِنْ مَطَافْ
مَعْ نزولْ اعْطَانْ مشْتَاهْ ومصِيفْ

وبعد أن يورد أحد عشر بيتاً من هذه القصيدة يقول: «وتمضي الأنغام الموسيقية اللعبونية وتمضي بنا هذه الدراسة الموسيقية حيث يقول علماء اللغة إن «فررر» يحاكي صوت رفرفة أجنحة الطائر تعبيراً عن فراره عند الاقتراب منه ومن

هذا «الصوت» صيغ فعل «فرَّ. يفرُّ. فراراً» ومنه تولد فعل «فرِق» أي خاف، فَرَقَ بين الأمرين أي فصل بينهما، وفارق وتفرق ثم فرث وفرخ وفرد وفرز وفرش .... إلخ ومن الفاء في القصيدة تعبير لا يقدر على موسيقيته غير ابن لعبون شاعر حين عبر به عن الإياب ومفارقة البحرين والقطيف.

ثم استمع إلى موسيقى الحرف في مطلع القصيدة حين استخدمه في «التلاف» و«عفا» و«يردف» و«رديف» وفي البيت الثاني «تعاف» و«سيف» و«كسيف» وفي البيت الثالث في «انشاف» و«النظيف» وفي البيت الرابع في «فرش» و«اللحاف» و«سفيف» وفي البيت الخامس في «شف» و«الحضاف» و«تعريف» وفي البيت السادس في «الرفاف» و«المضيف» وفي البيت السابع في «يحلف» و«الحلاف» و«شافه» و«شاف» و«زريف» ثم ينساب الحرف في الأبيات التالية في «فيها» و«يخاف» و«فيها» و«تجيف» و«عفا» ومطاف» و«اعطاف» و«مصيف» ثم «وليف» و«الخلاف» و«وليف» و«ينكشف» و«الرهاف» و«الرفيف» على مرتين..

ولو مضينا في باقي الأبيات وحاولنا حصر حرف الفاء وما يحدثه من أنغام موسيقية لوجدناها غاية في الرقة والكمال عظيمة السلاسة مفرطة في الغنى والموسيقى بالإضافة إلى وفرة مفرداتها الموسيقية ودقة معانيها الشعرية وحسن نظام مبانيها..

تلك الموسيقى التي تبهر النفس وتسكن القلب لم تكن من صنع الحروف وحدها بل هي من صنع الشعر النبطي المعنوي النفسي الوجداني..

ومعظم أبيات القصيدة على بحر المديد الذي سمي بذلك لتمدد تفاعيله السباعية حول الخماسية وأصله حسب الدوائر العروضية الخليلية:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

وهي من بحور فنون السامري بالشعر النبطي سريع الإيقاع والذي اشتهر فيه ابن لعبون كما لم يشتهر شاعر قبله . . واختياره للإيقاع السريع يتفق تماماً مع ما

ذكرناه، وتؤلف هذه القصيدة النبطية بألوانها الصوتية المختلفة باقة من الزهور وجوقة من الموسيقى النبطية ولكل بيت ههنا من أبيات القصيدة دلالته في التعبير الموسيقي ومذاقه الخاص وأثره في التطريب . .

وابن لعبون كشاعر نبطي لا علم له بالرموز العروضية ورغم هذا فأذنه الموسيقية وحسه الشاعري جعل معظم أبيات القصيدة منظوماً على البحور الخليلية».

ويستمر صاحب الموسوعة في موضوعه حول الموسيقى النبطية واستشهاده بقصيدة ابن لعبون فيقول:

«وهذه بعض الألفاظ الموسيقية التي استخدمها ابن لعبون في القصيدة التي بين أيدينا فأعطت نوعا من الموسيقى السحرية إلى جانب الوزن والقافية فهو يستخدم في قصيدته هذه الألفاظ الموسيقية:

رفيف البرق – زليل الماي – ممشاهن خفيف – ساطعات كالدرر – جالبات النور لعيون الكفيف – زاهيات كنهن ورد القطاف – سالمات الزيغ – من قلب وليف – باندماج وانعطاف – ستر العفاف – باجتوال وانحراف وانصراف – راميات – في سهام بانصراف – من غزال في فؤادي له رفيف – ابتهرت – رق قلبي – من سنا خديه برق له رفيف – وانت سالم والسلام – من صوب الوليف.

ولو حاولنا أن نقارن بين المعاني الشعرية في هذه القصيدة وبين الخصائص الصوتية لحروفها وكيف يطبع المعنى الحرف بخصائص صوتية خاصة لما كفانا هذا الجزء من الموسوعة النبطية وفي هذا القدر من البيان كفاية». انتهى.

الألحان اللعبونية:

تمكن ابن لعبون من إدخال أوزان الإقاع الغنائي، وهي فنون استحدثها ابن لعبون وعرفت باسمه وهي «الفنون اللعبونية» أو «اللعبونيات»[٢] ومفردها فن لعبوني.

يذكر أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري [٣] أن ابن لعبون شاعر غنائي وظهر أنه يلحن لنفسه، ولكنه ابتكر ألحانًا ضمن أوزان شعره الغنائي، واستدل على ذلك بالتصاق ذكره بذكر الغناء الشعبي، فعندما يذكر العوام السامري واللعبوني والفن ينصرف إلى ابن لعبون وشعره. لقد ابتكر ابن لعبون ألحانًا عديدة منها اللحن اللعبوني على وزن الرمل، وكذلك اللحن اللعبوني على بحر الهزج، وربما كان الهجيني القصير لابن لعبون أيضًا، فقد ذكر أبو عبدالرحمن بن عقيل أن ابن لعبون قد أكثر منه ولم يره عند غيره ممن قبله[٤]. ومن ألحان ابن لعبون السامري على بحر السريع.

تطويره للشعر النبط:

يعد ابن لعبون من أبرز المجددين في الشعر النبطي وذلك من خلال ما ابتكره من بحور جديدة وما أدخله على بعض بحور الشعر النبطي من تطوير وإضافات لدرجة أن الأديب عبدالرزاق العدساني يعد ابن لعبون أنه «هو الشعر النبطي»، فعلى سبيل المثال تطويره لبحر الصخري الذي كان قبل ابن لعبون ينظم على قافية واحدة وقام ابن لعبون فنظم به على قافيتين [٥] .

تطرق الأديب عبدالرزاق العدساني في كتابة «شاعر الأطلال» وبإسهاب إلى الابتكارات اللعبونية في الشعر النبط فذكر أربعة ابتكارات وابتكارين شعريين فنيين وابتكارات فنية موسيقية إيقاعية، ويقصد بالابتكارات إضافة بحور جديدة لم يعرفها من سبق ابن لعبون أو عاصره وتتلخص ابتكارات ابن لعبون بالآتي:

١ – إضافة بحرين جديدين للشعر العامي هما:

أ – البحر الوافر وهو ما يسمى بالصخري ومثاله مرثيته الرائعة التي مطلعها:

سقا صوب الحيا مزن تهاما
على قبر بتلعات الحجازي
يغط ابها البختري والخزامى
وترتع فيه طفلات الجوازي

ب – بحر الرمل وهو ما يعرف بالفن اللعبوني ومثاله التالي:

يـا مـنـازل مـي فـي ذيـك الحـــــــزوم

قـــبلة الفـــيــحــاء وشــــرقي عن سنام

٢ – مجزوء البسيط : لقد غير ابن لعبون في مجزوء البسيط بأن قطع وتدًا كاملاً أي حذف حرفين ساكنين آخرهما متحرك ومثل هذا القطع جديد على كتب العروض وأوزان الشعر العربي ، وإن عدد حروف هذا المجزوء ستة عشر حرفًا مكررًا أي اثنان وثلاثون حرفًا ، ومثال ذلك قول ابن لعبون:

حـــي المـــنــــازل وهـــن اطـــلال

حـــي المـــنــــازل ومـــن هـــي لـــه

مــســـتــفــعلن فـــاعلن فـــعـــلان

مــســـتــفــعلن فـــاعلن فـــاعل

وهذا الوزن الجديد انقسم إلى قسمين أطلق أهل المدن على القسم الأول فن لعبوني، وأطلق أهل البادية على القسم الثاني الهجيني والقسمان لهما وزن واحد ولكن أسلوبهما مختلف، ففن ابن لعبون للبحر أقرب بكثير من الهجيني الذي يمثل الصحراء فقط (العدساني ص٦١).

ومن التجديدات التي أضافها ابن لعبون ختم القصيدة بتكرار صدر أو عجز مطلعها أو جزء منهما[٦] ، فقصيدته التي ذكرناها آنفاً قد ختمها بتكرار عجز مطلعها بقوله:

وصـــــلاة الـلـه ربي والســـــلامـــــا

على قـــبـــر بتلعـــات الحـــجـــازي

بقي أن نقول إن مراد الشاعر من عجز البيت الأول من قصيدته هو قبر محبوبته والمقصود بعجز البيت الأخير هو قبر سيد الخلق محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

ومثال آخر يختتم قصيدته بتكرار صدر مطلعها وجعله عجزاً لختامها كما في قصيدته التي مطلعها:

عـــلامـــه مـــا ينابيني عـــلامـــه

ويخـــفي مـــا بقلبـــه من غـــرامـــه

ويختتمها بقوله:

عسى لي يوم يسمع لي زماني
علامه ما ينابيني علامه

ومثال ثالث يختتم قصيدته بتكرار جزء من صدر أو عجز مطلعها وجعله صدراً أو عجزاً لختامها كما في قصيدته التي مطلعها:

يا عبيد من قصت يمينه شماله
يشوف فعله ذاك عدل ولو مال

ويختتمها بقوله:

هذا ومن قصت يمينه شماله
خسران في حاله معا غالي المال

ذوات القوافي:

ذوات القوافي هي القصائد التي تنظم بوزنين وقافيتين، وابتدع لها هذه التسمية مصطفى صادق الرافعي، وأطلق عليها ابن حجة الحموي في «خزانة الأدب» اسم التشريع، وأسماها ابن أبي الإصبع بالتوائم(٧)، وصل الإبداع الشعري والتمكن اللغوي عند ابن لعبون لدرجة أنه كان يملي كاتبين في وقت واحد كلاً منهما يكتب قصيدة منفصلة. وإذا جُمعت القصيدتان أصبحتا قصيدة واحدة(٨).

صاغ ابن لعبون العديد من ذوات القوافي، ومع ما تحتاج إليه هذه القصائد من صنعة على حساب معنى ومتانة القصيدة إلاّ أن ابن لعبون أخفى أثر تلك الصنعة والتكلف بحيث أضاف إلى القصيدة جرسًا ورونقًا. وهذا مطلع قصيدة ذات ثلاثة أوزان وأربع قوافي من شعر ابن لعبون:

ما لون يا قلب دوى   به جراح
بهداك لي ما ترعوي   قول نصاح
يا قلب لو هب الهوى   لك وناح
بالك تجيبه يالغوي   وين ما راح

المهملة:

من ألوان البديع التي أضفاها ابن لعبون على شعره. نظمه لقصائد تخلو جميع حروفها من النقاط أي أنه لم يستخدم سوى ثلاثة عشر حرفاً هي : (أ، ح، د، ر، س، ص، ط، ع، ك، ل، م، هـ، و).وبهذا يكون ابن لعبون قد حاكى صفي الدين الحلي والحريري في نظم المهملات، ومع ما قد يسببه نظم مثل هذه القصائد من أثر على حساب المعنى إلاّ أن ابن لعبون جمع بين هذا البديع وبديع معنى نظمه.

ذكر صاحب الموسوعة النبطية[٩] أن ابن لعبون لم يتوان عن استعراض مقدرته الشعرية واختبار تمكنه لتأكيد مكانته كأمير لشعراء النبط فقد نظم المهملات وهي القصائد الخالية من النقط. وتعد قصيدته المهملة من عيون شعره والتي مطلعها:

احــــمــــد المحــــمــــود مــــا دمع همل

وعــــدد مــــا حــــال واد له وســــال

او عــــدد مــــا ورد وراد الدحل

او رمى دلوه ومــــا صــــدّر ومــــال

****

الهـوامـش

(١) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ٥٥.

(٢) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ج١، ص ٤.

- أحمد المحيطيب (لفنون الشعبية في المنطقة الشرقية)، مجلة القافلة، أرامكو، الظهران.

- أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (أوزان الشعر العامي بلهجة أهل نجد والإشارة إلى بعض ألحانه).

- طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ٤٢٢.

(٣) (٤) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (أوزان الشعر العامي بلهجة أهل نجد والإشارة إلى بعض ألحانه).

(٥) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ١٠٧.

(٦) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ١٠٨.

(٧) بكري شيخ أمين (مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني) ص ١٨٦ .

(٨) طلال السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢، ص ٤٢٣ .

(٩) المصدر نفسه، ص ٤٢٢.

****

الفصل الرابـــع

أغراض شعـر ابن لعــبون

تطرق ابن لعبون في شعره إلى كل عناصر الشعر، وملك مقدرة على النظم في كل الفنون غزلاً ووصفًا ومديحًا وهجاء وشكوى وعتابًا ورثاء. وإن كان قد غلب على ما حفظه الناس عنه وتغنوا به شعر الغزل ومن الشعر ما خف على الطار، إلاّ أن له شعرًا بليغًا تحسبه من بلاغته من عيون الشعر الجاهلي.

ميزات شعر ابن لعبون:

يتسم شعر ابن لعبون وبشكل عام بميزة واضحة أنه من الشعر السهل الممتنع، فمع قوة العبارة ومتانتها وجزالة المفردة وحسن اختيارها وبلاغة التعبير وجودة السبك فإنك تقرأ شعر ابن لعبون أو تسمعه وكأنك أمام راوية يسرد لك رواية دونما تكلف أو تعثر أو وقفة. لقد تميز شعر ابن لعبون في مطالع قصائده وأوزانه وفنونه ومفرداته،و التي وإن عبث بها الرواة وبدلوها بغيرها تحتفظ بجرسها وإيقاعاتها دونما خلل. عندما يتغزل ابن لعبون تجده يلامس شغاف القلوب بلطافة ونعومة كلماته ويبدع في ذلك دونما تكلف والكلمات تتسابق إلى شفتيه يشكلها كيفما شاء وتصطف القوافي وبتناسق لتختم أبيات شعره، إذا مدح كأنه لا يريد لمن يأتي بعد أن يجد ما يمدح به، وإذا هجا لا مجال لتفادي طعناته، وإذا تشكى أبكى، وإذا وصف أوفى.

إن قراءة سريعة في شعر ابن لعبون تبين السمات التالية:

١- لقصائده مواضيع محددة يبدأها وينهيها.

٢- يحدد في معظم قصائده الأماكن التي يتحدث عنها أو يصفها.

٣- كثيراً ما يذكر أسماء اشخاص استعارة أو تلميحاً أو كناية أو وصفاً.

٤- نادراً ما يذكر الصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في خواتيم قصائده المغناة.

٥- يكاد شعره يلتزم ببحور معينة وخاصة تلك التي ابتكرها وتعرف بالفنون.

٦- نادراً وربما لم ينظم السامري.

٧- لقصائده وحتى المغناة منها قوة سبك ومفردات وعبارات متميزة.

٨- قد تحمل قصائده مفردات من لهجات مختلفة.

٩- تكاد لا تخلو أية قصيدة له من مثل أو حكمة أو استشهاد.

١٠- لقصائده الطويلة نفس الشعر العربي الجاهلي.

ومن أهم أغراض شعره:

شعر المراسلات:

عمد ابن لعبون إلى نظم القصائد وإرسالها إلى أقربائه وأحبته وأصدقائه من أمراء وأدباء وشعراء في مختلف مناطق نجد والساحل، فبعث ابن لعبون إلى أحمد بن ضاحي العون وأحمد بن محمد السديري وعبد الله بن ربيعة وغيرهم بقصائد، إما يبث من خلالها لواعجه أو حامداً الله على سلامتهم لطارئ ألم بهم أو معاتباً أو غير ذلك.

يمثل شعر المراسلات فناً تجلت فيه خلفية ابن لعبون الأدبية فهو بعد الاستهلال بالنسيب يصف الإبل وصفاً دقيقاً وكأنه حادٍ لها مبيناً أنواع سيرها وما تقطعه من مفازات ومراحل ويحث المطايا لحمل رسائله إلى من أرسلها له.

تعد قصيدة ابن لعبون البائية التي بعث بها من الكويت إلى ابن عمه أحمد بن ضاحي بن عون في الزبير من عيون شعره، ومطلع القصيدة هو:

يا ركب ما سرتوا بيوسف ليعقوب

قبل الفجر ينباج والليل غربيب

درس الأديب أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري هذه القصيدة وبين بلاغتها وفسر ألفاظها وأوضح ما غمض من معانيها مبيناً عبقرية ابن لعبون وعمق معانيه وما يرمي إليه[1].

النسيب والغزل:

يتعرض الشعراء للمرأة في قصائدهم إما غزلاً أو نسيبًا أو تشبيبًا، فالغزل التعرض للنساء لاستمالتهن، أما النسيب فهو استهلال القصيدة بالغزل وذكر المرأة. أما التشبيب فهو التعرض للمرأة بالشعر. وربما استعمل بعضهم هذه الكلمات الثلاث بمعنى الغزل، وعادة ما يصدّر الشاعر قصيدته بالنسيب.

ومن صفات المرأة أو الحبيبة التي يتغنى بها الشعراء جمال العيون وفتورها، وطول الرقبة والتفاتتها، وضمور البطن، وكبر الكفل، وسواد الشعر وطوله واسترساله، وقد يتعدى الوصف إلى طيب رائحة الفم وحلاوة الريق وما إلى ذلك.

ومن ذلك قول ابن لعبون:

أبو ردوف كما الاطعاس
ومحلّي الوسط مهضوم
ريحة نفسها كريح الياس
ورد وعنبر ومشموم

وقوله:

والشفايا اللي كما ذوب العسل
من جنى جناتها السلسال سال
عاطلات الريم وادمى الرمل
مع نبات ظلهن عندي ظلال

ذكرنا أن ابن لعبون نهج منهج الأقدمين في استهلال قصائد المديح بالنسيب، إلاّ أن ذلك الغزل ليس لذاته وإنما ليكون مدخلاً لما أراد. أما الشعر الغزلي عند ابن

لعبون فهو الباب الذي دخل منه إلى قلوب الناس وجعلهم يحفظون شعره ويتغنون به، فمعظم قصائده كانت غزلية خفيفة على ألسن الناس والطار.

وحتى في مرثيته لحبيبته يتغزل بجمالها بقوله:

وخـــــد هل بـه بدر الـتـــــمــــامـــــا
وجـــعـــد فـــوق منبـــوز الـعـــجــــازي
فـــلا بـي عـــقـــبـــهـــا زاد ولامـــا
وجـــزت امن الـغـــوى والـغي جـــازي

الوصف:

أبدع ابن لعبون في الوصف سواءً لجمال محبوبته أو مفاتنها أو ما حوله من عالم يدور حول محبوبته، ووصف الخيل والظعائن والحرب والرياض والأطلال والأحبة والرجال، ووصف الأطلال وهي خوالٍ من ساكنيها، فأبدع في ذلك أيما إبداع. وعندما يصف ابن لعبون وتقرأ وصفه كأنك تقرأ لامرئ القيس أو أحد شعراء المعلقات، ومن ذلك قوله:

ضـحـوك اللمى مـدمـوجـة الـسـاق كـالقنا
هضـــوم الـحــشـــا مـرتج الأرداف مــهــيــافِ
إلـى قلـت هـاتـي حـــــاجـــــة لـي ودنقت
تـنـثـــر لـهـــا ظليل ســـافٍ على ســـاف
على مي جـــيـــد الريم والعين عـــينـهـــا
والـخــــد كنه بدر الأنـصـــاف بـوصـــاف

الفخر:

للحماسة والفخر نصيب كبير في شعر العرب وإثارة قرائح الشعراء، فدواعي الحماسة كثيرة منها الاستجابة للمستنجد، وإغاثة الملهوف، والذود عن الحياض، والانتصار للمظلوم، واستنفار الحلفاء والأصدقاء، ووصف الصراع والحرب،

والتغني والتباهي بالانتصار. وللفخر دواعيه ليعزز الحماسة ويذكيها. فقد يتغنى الشاعر بأفعاله الشخصية، أو بحسبه ونسبه، أو بأفعال قبيلته وأيامها وأمجادها، وقد يتعدى الشاعر حدود قبيلته ليفاخر بأمجاد بلده ومآثر قبائلها؛ كل ذلك ليشحذ الهمم ويقوي العزائم لمواجهة المنافسين والخصوم. ويشتمل الفخر على التحلي بكثير من القيم الأخلاقية، كالبعد عن اللؤم والبخل، والصبر على المصائب والجوع والعطش، وإباء الضيم، وتحمل أعباء الآخرين، أو نوائب الزمان.

افتخر ابن لعبون بحسبه ونسبه ومآثر قبيلته ورجالها من بني وائل كما يفعل معظم الشعراء، وتعدى ذلك للتفاخر بأمجاد من دافع عنه وانتصف له، ويتجلى ذلك بوضوح حين وقف بصف ابن حسن الدوسري وتصدى لمنافسه وصديقه الشاعر عبدالله بن ربيعة بقصيدة منها قوله:

حنا هل الوادي وحنا المناعير
وحنا ودينا جارنا من جداره
يشهد لنا جريس اليماني بتفخير
يومن عن اهل الدين محد أجاره
ما حدرت وديان بيشة مياسير
كل اليمن بالسيف نملك ادياره
عند المجد انشد ولد يام وامطير
وانشد جماجم روسهم عند واره

المديح:

يتناول المدح بشكل عام أفرادًا وقبائل، ويكاد يتفق الشعراء في معاني المدح، ومنها الشجاعة والكرم والنجدة والوفاء ونجابة الأصل. وربما عمد الشاعر لمدح شخص لمنفعة خاصة، أو تقديرًا لكرمه أو مروءته وفي ذلك تشجيع له.

نحا ابن لعبون في استهلال قصائد المديح منحى شعراء العرب. فقد جرت عادة الشعراء تقديم القصيدة بأبيات غزلية تعرف بالنسيب، وقد يذكر ابن لعبون

اسم ممدوحه صريحًا كاملاً، اسمًا ولقبًا في قصائده، وربما يذكر الاسم الأول أو الأخير فقط، أو يكني في قصائد أخرى. ومن أكثر الذين حظوا بمديحه الشيخ محمد بن إبراهيم بن ثاقب والشيخ ضاحي بن عون وابنه أحمد بن ضاحي والأمير أحمد السديري. وفي المديح ركز ابن لعبون على صفات الرجولة والشجاعة والكرم، وربما بلغ المديح حد المبالغة أو الغلو في خلع صفات الكرم أو الشجاعة على الممدوح، على شاكلة معظم الشعراء.

ومن مديح ابن لعبون لشيخ الزبير محمد بن ثاقب قوله:

أصطى من الضرغام وأمضى عزايم
واقطع من الصمصام وأكرم من الديم
معطي الجسايم ومهيوب النسايم
عوق الخصيم وشوق كنّه الريم

لقد جمع ابن لعبون في البيت الأول كل معاني المديح وما أظنه ترك لغيره ما يمدح به، فليس بعد الأسد من سطوة، وليس أقطع من السيف شيئاً، وليس هنالك ما هو أكرم من الغيوم.

وتتجلى بلاغة ابن لعبون مرة أخرى في معرض مديحه لأحمد بن ضاحي بن عون بقوله:

وقامت حروف الحمد وقف على أحمد
فالألف والحا تشمل الميم والدالِ
على مستجار لو يلوذ بجنابه
خشم الرعن خوف النجم جاوله جالي

الرثاء:

إن كان «أعذب الشعر أكذبه» فإن أصدق الشعر هو الرثاء، كمراثي الأقرباء من الأهل والأصدقاء خاصة، فعاطفة الحزن لفراق عزيز أو كريم أو شريف عاطفة

صادقة ولا سيما عندما يُرثى قريب أو حبيب، وقد يرثي الشاعر نفسه. ويعمد الشاعر في الرثاء إلى ذكر مناقب المرثي - بمعنى الثناء - كالتي يعتمد عليها المدح، وقد يلزم الشاعر نفسه بوعود أو عهود للمرثي، ويختتم الشاعر مرثيته بالدعاء للمرثي بسقيا قبره وبالصفح والغفران له.

لقد تطرقنا في موضوع ميّ وما طرحناه من تساؤلات حول هذا الاسم أحقيقي هو أم مستعار وذكرنا اجتهاداتنا للإجابة عليها، وهل مي هي مي أم هي هيلة أم شاهة أم أخرى غيرهن، ونتساءل هنا من هذه التي رثاها ابن لعبون؟. لقد أجمعت المصادر على أن من رثاها ابن لعبون كانت قد ماتت وهي في الحج[٢] أو في المدينة المنورة [٣] ولكن هل هي محبوبته، هكذا كما ورد في معظم المراجع دونما تحديد لاسمها؟ هل هي مي المطيرية [٤] التي تعلق بها قلبه في ثادق أم هل هي زوجته كما ذكر ذلك سعد بن راشد الشليل [٥] ومثل ذلك ما ذكره الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري [٦].

أياً كانت هذه التي رثاها ابن لعبون رحمهما الله بواسع رحمته فقد كانت هذه القصيدة المرثية الوحيدة التي وجدناها في شعر ابن لعبون، وتعد من عيون شعره وعارضها عدد من الشعراء ومنهم عبدالمحسن الطباطبائي ومطلعها:

سقى صوب الحيا مزن تهاما
على قبر بتلعات الحجازي
بفقدي له ووجدي والغراما
تعلمت النياحة والتعازي
على بخت الدهر ليته تعامى
وخلاها وليته ما يوازي

الشكوى والعتاب:

لقد فرضت صُروف الحياة على الشاب الشاعر ابن لعبون ظروفًا لا طاقة لمثله بها، ولكنه تجلد وقاسى وبثّ ذلك شعرًا ففيه لنفسه متنفس. وقد بعث لمن يثق به وبنجدته شاكيًا له ومستنجدًا به أو يبثه لواعجه وأشجانه.

بعث ابن لعبون بقصائد شكوى وعتاب إلى عدد من أقربائه وأصدقائه ومعارفه ومن أولئك الشيخ أحمد بن ضاحي بن عون والأمير أحمد السديري والشاعر عبد الله بن ربيعة.

تذمر ابن لعبون من حياته وتمنى كالمعري أنه لم يأت إلى هذه الدنيا، وها هو يلوم أبويه على ذلك بقوله:

لو باتمنى قلت ياليت من غاب
ولا حضر باللوح واللي كتب به
أمي وأبوي اللي رموني بالاسباب
ياليتها بعد الحمال أسقطت به

وقوله:

لو باتمنى قلت ياليت من مات
حيث الطرب ووصال الاحباب فاته
ويقلب الحزن الطويل الذي فات
ينصاه في قلب الخلي واعداته

الهجاء:

تتعدد دواعي الهجاء لدى الشاعر وترتبط بعاطفته تجاه شخص ما بغضًا له وانتقامًا منه، أو انتصارًا لشخص مضام.، وعادة ترجع أسباب الهجاء إلى خصومات فردية أو صراعات سياسية وخلافات قبلية، ويتعرض الزعماء والأشراف للهجاء أكثر من غيرهم، وقديمًا قالت العرب: «لا زالت الأشراف تهجى وتمدح». ويتعرض الهجاء إلى معاني البخل والجبن والذل والهروب في ساحات الوغى، وأشد الهجاء ما كان عفيفًا وصادقًا.

وإن شاع بين الناس غزل ابن لعبون إلاّ أن للهجاء نصيبًا لا يقل أهمية عن الغزل لدرجة أنه ربما كان هنالك من تشابه بينه وبين الحطيئة. لقد هجا ابن لعبون وأبدى سخطه على كثير ممن وقف ضده أو ضد جماعته وأفحش في ذلك.

ينقسم الهجاء عند ابن لعبون إلى ثلاثة أنواع هي:

١- هجاء خاص:

وهو هجاء شخص بعينه سواء بصريح اسمه ومن ذلك تصريحه بهجاء الشاعر عبدالله بن ربيعة أو متسلم البصرة العثماني كاظم آغا، أو ذكر صفاته مثل الزوج الثاني لهيلة (مي).

٢- هجاء قوم:

هجا ابن لعبون أقوامًا بشكل عام سواء في نجد أو الزبير أو الكويت وهذا الهجاء وإن قصد به مجتمعاً مخصوصاً إلا أنه أطلقه بشكل العموم فقد هجا أهل ثادق وأهل الزبير وأهل الكويت.

هجاء بلد:

تعدى هجاء ابن لعبون للأشخاص والأقوام ليطال بلداناً وذمها والدعاء عليها بعد خروجه منها، ومن ذلك هجاؤه لبلدته ثادق وهجاؤه لموطن أحبته الزبير وهجاؤه لبلد مقره الكويت.

ومجمل القول أن ابن لعبون هجا أقواماً أحبهم وسكن معهم وهجا بلداناً أحبها واستقر بها وأحب أهلها وأحبوه، وما هذا بمستغرب على شاعر فهذه عادة الشعراء وخاصة أولئك الذين لا يجدون في مجتمعاتهم التقدير الذي يطمحون اليه. كما وهذه حال البشر والشعراء خاصة الذين تجري على ألسنتهم وقائع حالهم سراء أو ضراء فيطلقونها صيحة تبقى بعدهم وإن تغير حالهم من نكد إلى سعد وما أسرع ما تتغير ساعات الزمن.

النقائض:

أولى بعض المهتمين بجمع شعر ابن لعبون وشعر ابن ربيعة اهتماماً بالغاً لما أسموه بالنقائض وافتعلوا المناسبات والظروف ليصوروا ما دار بينهما من

معارضات وردود على أنها نقائض، ومن ذلك قول بعضهم إن الحرب استعرت بين ابن لعبون الذي وقف مع جماعته من أهل حرمة وحريملاء وبين نديمه وصديقه الشاعر عبد الله بن ربيعة الذي وقف بجانب جماعته آل ثاقب، حيث تبادل ابن لعبون وابن ربيعة الهجاء المر.

لقد عدت قصائد الهجاء بين الشاعرين كالنقائض بين جرير والفرزدق. وبهذا الصدد يقول خالد بن محمد الفرج[٧] : «وإذا كان التاريخ يعيد نفسه ففيهما (ابن لعبون وابن ربيعة) تتجلى مناقضات جرير والفرزدق وابن لعبون كجرير في رقة ألفاظه ونفاذ طعناته فهو يحز على المفصل وكالفرزدق عبد الله ابن ربيعة متانة لفظ وسبك ديباجة مع الرصانة وعدم الفحش».

وحول الموضوع نفسه ذكر الأديب عبدالله بن خالد الحاتم ما نصه «فمن هذا حدث التنافس بين الشاعرين وتبادلا الهجاء المر ولكن ابن لعبون أوغل في السب والهجاء من غير تعقل».

إن ما لدينا من شعر ابن لعبون وخاصة شعر ابن ربيعة لا يكفي لتسليط الضوء على ما عده بعض الأدباء نقائض فهنالك الكثير من الحلقات المفقودة في تتبع هذا الموضوع.

وإذا ما سلمنا بوجود مثل هذه النقائض، فإنني لا أستبعد أن يكون ابن لعبون قد اطلع على ما دار بين جرير والفرزدق من نقائض فأراد أن يحيي ذلك من خلال جر ابن ربيعة إلى مثل ذلك الصراع وربما دون علم من الأخير. وربما افتعل ابن لعبون معركة كلامية حقق بها بغيته وظهرت النقائض بعدهما ولتحيي ذكرهما. وإن ما يدعوني لهذا القول أن أياً من الشاعرين أو جماعتهما لم يتأثر بما قاله أي منهما في حق الآخر، وإلا فإن ما قاله ابن لعبون في ابن ربيعة وما قاله ابن ربيعة في ابن لعبون ما كان له أن يمر دونما عقاب بل ودماء، سيما وأنهما في منطقة واحدة وكلاً منهما بين ظهراني جماعة الآخر.

ورب متسائل يقول لماذا لم يترتب على هذا الهجاء بين الشاعرين ردود فعل ولماذا بقي الشاعران صديقين حميمين حتى وقت خروج ابن لعبون من الزبير؟.

إن الإجابة عن هذا التساؤل ربما كانت في رأي الأديب عبد الرزاق العدساني[8] تتلخص بقوله: «إن ابن لعبون وابن ربيعة لم يهج أحدهما الآخر فهما أبناء قبيلة واحدة وتربطهما أكثر من علاقة وهما صديقان حميمان وإن ما ظنه بعض الناس هجاء هو رمز قصد به شخص آخر وأنها لعبة لعبها الاثنان لئلا يلحق أياً منهما أذى ممن قصدوا هجاءه، ربما أرادا به غريمهما ابن زهير».

وللأديب أبو عبدالرحمن بن عقيل[9] تصور مشابه فهو يقول: «إن ابن لعبون خرج من الزبير وابن ربيعة من خلّص أصدقائه، وإنما حصل هجاء ابن لعبون لابن ربيعة بعد خروج ابن لعبون من الزبير بقصيدتين». وعلى خلاف ما يدعيه الجمّاع لم يجد أبو عبد الرحمن في جميع شعر ابن ربيعة الذي وصل اليه كلمة سب واحدة في ابن لعبون. ويستطرد أبو عبدالرحمن فيقول: «إنه لا يوجد في شعر ابن لعبون الذي وصل إليه كلمة سب واحدة في ابن ربيعة سوى قصيدتين، الأولى على قافيتي الراء بوصل الهاء في الأخيرة والثانية على قافيتي اللام بوصل الهاء في الأولى».

القصيدة الأولى التي أشار إليها أبو عبدالرحمن قالها ابن لعبون دفاعاً عن صديق له دوسري وأقذع فيها بسب ابن ربيعة، واستهل ابن لعبون قصيدته بقوله إنه ليس من بدأ بالهجاء:

البارحه سهر وادير التفاكير
في ذم نذل بادي بالعياره
لا طالب دم يبي له مشاوير
حتى نعذره لو طلبنا بثاره

أما القصيدة الثانية فيكرر ابن لعبون عند معاتبته وهجائه ابن ربيعة أنه ليس من بدأ بالهجاء:

يا عبيد من قصت يمينه شماله
يشوف فعله ذاك عدل ولو مال

يـا بـادي بـالـقـول هـذا بـدالـه

قـول بـدل قـول ومـال عـوض مـال

وهجا ابن لعبون من وقف في وجه جماعته وخاصة متسلم البصرة العثماني كاظم آغا فقال:

واسـتـدرجـه كـاظم وكـاظم زمـالـه

من ركـبـهـا يازي لـهـا دوم زمـال

وكما هجا المتنبي حاكم مصر «كافور» هجا ابن لعبون شيخ الزبير علي بن زهير وأقذع في ذلك سامحه الله. وطال أهلها الهجاء، فقال في ذلك قصيدة طويلة ذاع صيتها ومطلعها:

ذا حس طار أو ضـمـيـرك خـفـوقـه

يـدق بـه مـن نـازح الـفـكـر دقـاق

والحي هـو حـيـك وطيـبـه وفـوقـه

والـدار هـي دارك وهـذيـك الاسـواق

ومن هجاء ابن لعبون لأحد أصدقائه مستفزاً ومازحاً قوله:

جـانـا يـتـخـنـطـل

يمـشـي عـلـى الـسـطـل

بـيـر مـعـطـل

وقـصـر مـشـيـد

الحكمة والأمثال:

تمثل الحكمة دلالة على حنكة الشاعر وخبرته وبعد نظره في معالجة الأمور وملمات الحياة، وقد أكثر الشعراء من ذكر الموت وما بعده، والسعي للمجد والسؤدد والرياسة والعز والشرف ومراتب العلا.

لقد برع الشاعر ابن لعبون في هذا الغرض وجرت الحكمة على لسانه وصاغها شعراً وضرب الأمثال ليطرز بها قصائده. وقد أكثر ابن لعبون من الحكم

والأمثال حتى كاد من النادر أن لا تجدها في قصيدة له. ويتضمن الفصل التاسع أمثلة لما ورد في شعر ابن لعبون من حكم وما ضربه أو استعان به من أمثال ومن أشهر الأمثال التي ابتدعها ابن لعبون وما زال الناس يرددونها قوله:

الصج يبقى والتصنف جهاله
والجد ما لانت مطاويه بتفال(*)

التوبة:

عادة ما يختتم شعراء النبط حياتهم الشعرية أو حياتهم الدنيوية بقصيدة عصماء مؤثرة، يتجلى فيها صدق مشاعرهم وخوفهم من الله ورجاؤهم لمغفرته عما بدر منهم أيام غيهم وتغزلهم، وما اقترفوه من سيئ أعمالهم. سار ابن لعبون على عادة الشعراء في ذلك فنضم قصيدة تُعَدّ من عيون شعره ومطلعها:

كل شي غير ربك والعمل
لو تزخرف لك مرده للزوال
ما يدوم العز عز الله وجل
في عدال ما بدا فيه الميال
والذي ينقاد بزمام الأمل
لا تغبطه في زغاتير الهبال
استغفر الله عن كثر الزلل
واستعين عنايته في كل حال
زل دهرك يا محمد بالغزل
والغزال اللي تهزا بالغزال

ومع أن مقام هذه القصيدة كما ذكرنا التوبة إلاّ أنه لم يترك الغزل بعيدًا عنها، ففيها يتغزل ويجيد الغزل ويتفنن فيه غفر الله له.

(*) الصج: الصدق. التصنف: الهزل وفي قول التصنع: النفاق. الجد: القد جلد يقطع على هيئة خيوط يربط به الخشب وغيره فإذا يبس أصبح قاسياً.

الهــوامش

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (قصيدة ابن لعبون على قافيتي الباء من المسحوب .. وقيمتها الدلالية)، صحيفة الجزيرة العدد ٨٤٠٢، ٦ جمادى الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر لنبط) ج١، ص ٢٥٩، وخالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد) ج١، ص١٤١.

(٣) عبداللطيف سعود البابطين (من روائع الشعر النبطي أو طرائف الكلام من شعر العوام)، ص ١٩٩.

(٤) رواية محمد بن غنام، الرياض، صفر ١٤١٨هـ.

(٥) سعد بن راشد الشليل (من قصائد المرثيات في الشعر النبطي من الشعراء والشاعرات)، ج١ص١٦٤.

(٦) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري (ابن لعبون وذات القناع)، صحيفة الجزيرة العدد ٨٩٩٧ في ١١ محرم ١٤١٨هـ.

(٧) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد) ج١، ص٨١.

(٨) عبدالرزاق العدساني، مقابلة شخصية، الكويت، ١٩٩٥م.

(٩) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري (إخراج ابن لعبون من الركام)، صحيفة الجزيرة، ١٤١٦/٣/٣٠هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٢٦م.

****

الفصل الخامس

البديع في شعر ابن لعبون

بلاغته الأدبية:

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ابن لعبون من صدر بيت أو عجزه أو بيت بأكمله أو عدة أبيات من لفتات ذهنية، أو براعة بلاغية أو توافق معانٍ أو كلمات أو حكمة أو مثل أو غيرها من البراعات الأدبية. ومع أننا سنشير إلى تلك البراعات حيث ترد في الديوان، إلاّ أننا سنورد هنا أمثلة قليلة على ما ذكرنا.

وقبل الخوض في بلاغة ابن لعبون الأدبية نجد أنفسنا أمام تساؤلات حول ما نعده من التضمينات والاقتباسات في شعره. ومن هذه التساؤلات التي تتبادر إلى الذهن هل هذه تضمينات واقتباسات من ابن لعبون أم أنها مجرد لفتات ذهنية وتوارد خواطر؟. إنها وقفة تساؤل جديرة بالدراسة والتمحيص وسنعلق على ذلك في حينه.

يجد المتمعن في شعر ابن لعبون أنه متمكن من اللغة، مطلع على خباياها، قارئ لجهابذة شعرائها، سواء أكانوا من الجاهليين أم الإسلاميين، ولقد اقتبس منهم وحاكاهم وقلّدهم في حكمهم. وعرّج على ذكر أسماء بعضهم تلميحًا أو تصريحًا. أخذ ابن لعبون من فحول الشعراء ووافقهم في معانيهم وكلماتهم وصاغها بشعر نبطي بسيط المعنى، سلس الأسلوب، بعيدًا عن مفردات الفصحى التي يصعب على معظم من حوله فهمها. لقد بلغت ثقة ابن لعبون بنفسه أنه ردّ معاني بعض فحول الشعراء عليهم بل وابتدع كلمات جديدة.

حُسن استهلاله لقصائده:

تتجلى شاعرية ابن لعبون في حسن اختياره لمطالع قصائده وهذا ما يعرف بالاستهلال. لقد عمد ابن لعبون إلى انتقاء مفردات وموسيقى وغرابة مطالع قصائده. كما كرر مطالع معينة تميز بها عن غيره من الشعراء، ومن تلك المطالع حيّ المنازل، ويا (ياء الخطاب)، قال، قالت، نح، لو باتمنى وغيرها. ومن خلال استعراض هذه المطالع يتبين لنا تقصده في انتقائها لما لها من وقع محسوس في لفت انتباه سامعيه وبهذا يتمكن من شدّهم إليه.

شعره العاميّ الفصيح:

إن براعة ابن لعبون في الشعر النبطي لم تأخذه بعيدًا عن لغته العربية الفصحى، وهو المتمكن منها والضليع في آدابها، فقد جمع بين العامية والفصحى في قصائد نادرة هي شواهد على براعته. فعند ابن لعبون أبيات بل قصائد يقرؤها العامي فإذا هي من عيون شعر النبط، ويقرؤها العربي المثقف فيحسبها من عيون الشعرالعربي وكثيراً ما انتهج في نظمه البحور العربية كبحر الطويل وبحر الوافر وبحر الرمل وغيرها. كما وتجد بين ثنايا شعره كلمات عربية بل شطور أبيات وردت في شعر الأقدمين وكأنها درر تطرز شعره وتدلّ على درايته بعيون الشعر العربي ومراتع شعرائه وأطلالهم.

هنالك العديد من القصائد التي تتضمن أبياتًا تقرأ بالفصحى كما تقرأ بالعامية بدون إضافة أو تعديل أي حرف فيها، وهنالك العديد من الأبيات التي تقرأ بالفصحى بعد تعديل حرف أو حرفين، ونجد أبياتًا لا تحتاج إلا لتغيير كلمة واحدة لتقرأ بالفصحى، ويستطيع القارئ أن يلمس ذلك من خلال تصفحه لديوان ابن لعبون. وفي معرض التمثيل لا السرد نستشهد على ما ذكرنا بأبيات من ثلاث قصائد:

الشعر الذي يُقرأ بالفصحى والعامية في شعر ابن لعبون بدون إضافة أي حرف:

يقول واصفًا محبوبته:

وهذي صفحة القرطاس عندي
وقرِّبْ لي دواةً يا سلامه
بخدٍ ناعم منها وجيد
ورفرافٍ كما ريش النعامه

ويقول معرضًا بمن يلومه في الحب:

فكم لي عاذل من غير لُبٍّ
يُعرِّض بالنصيحة والملامه

ويقول :

يلوح السنا فيها كما لاح زُرْقه
على خَدٍّ مَيٍّ من بقايا وشومها

وقوله :

مرابيع ميٍّ قبل هذا وزينبٍ
وهند وليلى في مجاري رسومها

بالإضافة إلى أنصاف الأبيات الشعرية التي تقرأ بالفصحى بعد تغيير حرف أو حرفين ومن ذلك:

قوله في محبوبته:

بجور دائمٍ منها وَصَدٍّ
وهجران إلى يوم القيامه

وقوله :

تروم البقا فيها وترجو لمثلها
وهذا غراب البين فيها يرومها

وقوله:

وعلمي بهم قطنا على جَو ثادقٍ

سقاها مرنات الغوادي ركومها

وقوله :

ألا يا شقا قلبي من الضيم والعنا

وصفق الهوى يا مي في كل عاير

وقوله :

ألا يا طبيب الهند بالله دواني

فروحي على جرفٍ من الموت هاير

وقوله :

مواعيدها بالقيظ والقيظ منقضٍ

وهذي بروق الوسم مثل الذخائر

وهذه أبيات من ضمن الأبيات التي تقرأ بالعربية بعد استبدال كلمة أو حرف:

ودارٍ بناها والقنا يقرع القنا

كما دار بالقطب الشمالي نجومها

وقوله :

عساها تمنيني بغالي تحية

لتُحْيي بها روحي وتجلو همومها

وقوله :

فيا عاشقًا في بلدة الغرب غربها

ويا عاشقًا في بلدة الروم رومها

وقوله :

وقالوا نال منها ما تمنى

وإني لم أنلْ إلا الندامه

الرباعيات (المرويع):

جارى ابن لعبون شعراء عصره والأقدمين ممن اعتنوا بألفاظ الشعر ورونقه باستخدام القوافي المشتركة. فقد ذكر ابن خلدون[1] هذا النوع من الشعر بقوله: «ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يجيئون به معصباً على أربعة أجزاء يخالف آخرها الثلاثة في رويّه ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة شبيهاً بالمربع والمخمس الذي أحدثه المتأخرون من المولدين».

وقوافي المرويع وهي ثلاث كلمات لها ثلاثة معانٍ مختلفة، ويجوز للشاعر اختيار هذه الكلمات وإن لم يكن رسمُها واحدًا، إنما يراعى في ذلك تشابه لفظها. لقد شاع استعمال هذا النوع من النظم في المنطقة، وكان الشاعر يستعين بكلمات عامية وعربية، وأحيانًا يورد كلمتين أو أكثر يوصلها ببعضها ليتشابه نطقها مع الكلمات الأخرى التي تنتهي بها الأشطر الثلاثة الأولى من الرباعية. ويسمي العامة وشعراء النبط هذا النوع من الشعر بالمرويع.

وابن لعبون استعمل هذا النوع من الشعر وبرع فيه، فله عدة قصائد ينتهي صدر وعجز البيت الأول، وكذلك صدر البيت الثاني بكلمات لها النطق نفسه، ولكنها مختلفة المعنى، أما قافية البيت الثاني فهي كلمة أخرى، ويلتزم بها قافية للقصيدة بأكملها.

ومثال ذلك الآتي:

فاتن ورود من صوافي شنابه

ودي تقضى بالهوى من شنا به

أبا تجلد يا هلي من شنابه

الجمر معلومك بطانة فراشي

فالكلمات شنابه الثلاث تتشابه نطقًا وتختلف معنىً ورسمًا، فالأولى تعني بياض الأسنان، والثانية شنأ به أي أبغضه، والثالثة من شيء أنا به أي مما أنا فيه. ويلاحظ كيف رسمت الأخيرة لتتناسب مع الأولى والثانية رسمًا ونطقًا.

التشبيه المقلوب:

تعرض ابن لعبون في غزله إلى وصف محبوبته ومحاسنها وتوغل في ذلك، وأطلق لخياله العنان ليصف مالا يوصف إلاّ تلميحًا أو كناية. وتغنى ابن لعبون بظعائن محبوبته وركائبها ومنازلها وأطلالها. لقد بالغ ابن لعبون في وصف محبوبته، ففي الوقت الذي يصف الشعراء أحبتهم بالغزال لجمال عينيه ورشاقة جسمه وخفة حركته، نجد أن محبوبة ابن لعبون لفرط جمالها غزالاً تهزأ بهذا الغزال فها هو يقول في أحد أبيات قصيدة توبته:

زل دهرك يا محمد بالغزل

والغزال اللي تهزا بالغزال

وبينما يتغنى الشعراء بالطبيعة، ويشبهون أحبتهم بجمالها، يخالفهم ابن لعبون في ذلك فيشبه ما في الطبيعة من جمال بالمرأة الجميلة فيقول في بائيته المعروفة عن تشبيهه تبسم الفجر بطلعة الفتاة الجميلة (خرعوب):

الى افتر بسام الفجر تقل خرعوب

تضحك على الداية فدنوا يعابيب

ومثال آخر للتشبيه المقلوب يجعل ابن لعبون من حلاوة العسل كأنه ريق محبوبته :

بِتْحِيَّةَ العَاشِقْ المبْهُوتْ

لَمَّ الثُّمَانْ البَرَارِيقي

أحْيَا علَى حِبُّهَا وَامُوتْ

كِنَّ العَسَلْ ذَوبَةَ الرِّيقي

توافق المعاني وتوافق الكلمات:

إن سعة اطلاع ابن لعبون وتضلعه بالأدب العربي وعبقريته الشعرية تتجلى في توافق العديد من معاني أبيات من شعره مع معاني أبيات لفحول شعراء

الفصحى، الجاهليون منهم والإسلاميون. ولربما أخذ ابن لعبون الفكرة أو الكلمة وضمنها في قصيدته وبنى عليها وربما رد الفكرة واستدرك على صاحبها. تخطى ابن لعبون مرحلة توافق المعاني إلى توافق الكلمات. فقد ورد في عدد من قصائد ابن لعبون كلمات وتعابير عربية لها ما يقابلها عند شعراء آخرين، كما نجد شطرًا كاملاً في قصائد شاعرنا له ما يماثله عند غيره.

توافق المعاني:

نظم ابن لعبون العديد من القصائد التي تضم أبياتا من الشعر التي تتوافق معانيها ومعاني أبيات من عيون الشعر العربي، ومن خلال استعراض لبعض هذه الأبيات يتبين لنا وبجلاء أنها نتاج خلفية ابن لعبون الثقافية، وسعة اطلاعه، وملكته الشعرية الأمر الذي مكنه من إعادة سبك شواهد الشعر العربي في قوالب عامية بسيطة سهلة المعنى، سلسة الأسلوب مفهومة للعامة. لقد توافقت معاني أبيات ابن لعبون مع معاني أبيات عند امرئ القيس والمعري والمتنبي والدارمي والدؤلي والنابغة وغيرهم.

ونسوق هنا شيئاً من ذلك فنذكر الموافقات التالية:

أبو العلاء المعري:

يتحسر ابن لعبون على أيام مرحه مع أحبته ولا يعدها شيئًا أمام ساعة فراقه لهم فيقول:

ضحكتي بينهم وانا رضيع

ما سوت بكيتي يوم الوداع

إن بيت ابن لعبون هذا يوافقه في المعنى وينطبق عليه البيت المشهور لأبي العلاء المعري:

إن حزنًا في ساعة الموت

أضعاف سرور ساعة الميلاد[٢]

وبيت ابن لعبون هو أيضاً إشارة عكسية لبيت ابن الرومي:

لِما تؤذن الدنيـــا به من صـــروفـــهــا

يكون بكاء الطفل ســـاعـــة يولد[٣]

ويبدي ابن لعبون برمه وضجره من هذه الدنيا، ويتمنى لو أن أمه أجهضته بعد حملها:

أمي وابوي اللي رمـــوني بالاسبـــاب

ياليتـــهـا بعـد الحـمـال اسـقطت به

وهذا البيت ينقلنا إلى فلسفة أبي العلاء المتطرفة، التي تعد الولد جناية أبيه، ولذلك رفض الزواج كي لا يجني على أحد:

هـــذا جـــنـــاه أبـي عـــلـي

ومـــا جـــنـيـت عـلـى أحـــد[٤]

مسكين الدارمي:

ويصف ابن لعبون العبد أو اللئيم بأدق وصف:

العـبـد عـبـد هافـيـات عـمـوقـه

إن جـاع باق عـمـومـتـه وأن شـبع مـاق

وما أشبه هذا المعنى بقول مسكين الدارمي:

أو كـعـبـد السوء إن جـوعـتـه

سـرق الجـار وإن يشـبـع فـسق[٥]

الفرزدق:

ويربط ابن لعبون الشعر بقائليه فيقول:

ازكى الشـعـر مـا قـاله ازكى الرجـاجـيـل

واردى الشـعـر مـا قـالـه القين واول

إن هذا البيت صورة أخرى لبيت الفرزدق:

وخـــيــر الشــعــر أكــرمــه رجــالاً

وشر الشـعـر مــا قــال العــبــيــد[٦]

عمران السدوسي:

وهناك نوع من الرجال يتظاهر أمام النساء بأنه الأسد الهصور، والفارس الذي لا يُشقّ له غبار، ولكنه في الواقع ماهو إلا جبان رعديد، وقد صور ابن لعبون ذلك بقوله:

ضـــيــــاغم عند الخـــوندات واطواب

والى ظهـــر للبـــر تلقـــاه دبه

وما أشبه بيت ابن لعبون بما قاله الشاعر عمران بن حطان السدوسي:

أســـد عليّ وفي الحــروب نعـــامـــة

ربداء تنفــر من صــفــيــر الصــافــر[٧]

المتنبي:

ويلوذ ابن لعبون بالليل ليصل إلى محبوبته، ويطرده الصباح عنها بقوله:

أزورك وجلبـــاب اســـود الليل دفـــتي

وأصدر وحاشيه ابيض الصبح سروالي

وما أظن ابن لعبون ذهب بعيدًا عن المتنبي:

أزورهم وســـــواد الليل يشـــفــع لي

وأنثني وبيــاض الصـــبح يغــري بي[٨]

وابن لعبون في مدحه لابن عمه أحمد ضاحي العون يقول:

مــا سلّمت شــمس الضــحى منه بغــروب

إلاّ لهـــا من مطلع الشـــرق تاويب

وما أشبه ذلك بقول المتنبي يمدح كافور:

ولا تجـــــاوزها شـــــمس إذا شـــــرقت

إلاّ ومنـه لهـــــــا إذن بتــــــــأويب(٩)

ومدح ابن لعبون ابن عمه أحمد بن ضاحي فقال:

وقـامت حـروف الحـمـد وقف على أحـمـد

فـــــالألف والحـــــا تشـــمل الميم والدال

وفي هذا البيت اقتباس من قول المتنبي:

تملك الحـــمـــد حـــتى مـــا لمفـــتـــخـــر

في الحـــمـــد حـــاء ولا مـــيم ولا دال(١٠)

جميل بثينة:

ويتذرع ابن لعبون بكل وسيلة لرؤية أحبته، ويقف عند بابهم متسولاً:

كم طرقت لبـــــابهم عـــجل خـــجل

للطوافــــه وانت مــــا تبـــغى ســـوال

وماهذا البيت إلاّ محاكاة لبيت جميل بثنية الذي يصور نزوله مع الفقراء عند أهل بثينة:

أبيت مع الهـــلاك ضـــيـــفًـــا لأهلـهـــا

وأهلي قـشـيب مـوسـعـون ذوو فـضل(١١)

لبيد بن ربيعة والحارث بن عباد:

ويتوب ابن لعبون، ويستهل توبته بحكمة بالغة فيقول:

كل شيء غـــــيـــــر ربك والعـــــمل

لو تـزخـــــرف لك مـــــرده للزوال

إنه اتفاق معنوي رائع مع قول الشاعر لبيد بن ربيعة في أصدق كلمة قالها:

ألا كلّ شيء مـــــا خـــــلا الله باطل

وكل نعـــــيم لا مـــــحـــــالة زائل(١٢)

وبيت ابن لعبون أيضاً توافق معنوي رائع مع قول الحارث بن عباد:

كل شيء مصيره للزوال

غير ربي وصالح الأعمال[١٣]

كعب بن مالك:

قال ابن لعبون:

الطالب أرهى من المطلوب

ومغالب الله مغلوب

وفي هذا البيت شيء من بيت كعب بن مالك الأنصاري:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها

وليغلبن مغالب الغلاّب[١٤]

سحيم بن مصعب:

ويؤكد ابن لعبون، وبشكل مختصر لطيف خفي، أن ما يقوله في محبوبته مي هو عين الصواب بقوله:

مقال فيه قالت حذاما

وشمس الحق تبزغ بامتيازي

ويربط ابن لعبون مقولته هنا بما قالته حذام بنت الريان التي قالت:

الا يا قومنا ارتحلوا فسيروا

فلو ترك القطا ليلاً لناما

وعندما صدقت مقولتها قال زوجها سحيم بن مصعب:

إذا قالت حذام فصدقوها

فإن القول ما قالت حذامُ[١٥]

أبو البقاء الرندي:

ويشير ابن لعبون إلى أن ما بعد التمام إلا النقصان فيقول:

أرعى الهلال اللي بدا يوم حادي
ينمي ونقص البدر عند التناهي

وهذا كقول أبي البقاء صالح بن شريف الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغرّ بطيب العيش إنسان[16]

قيس بن الملّوح:

ويقول ابن لعبون:

فلو يممووني باسفل اللحد قبله
جوني لقووني يمة الشرق داير
فلا مقصدي في دين عيسى بن مريم
دخول فلا كن يوم تبلى السراير

وفي بيت من قصيدة أخرى يقول ابن لعبون:

لها غرة كوجه الشمس وأبهى
إلى صلى محمد هي إمامه

ففي أبيات ابن لعبون الكثير مما قاله قيس بن الملوح (مجنون ليلى):

أراني إذا صليت يممت نحوها
بوجهي وإن كان المصلى ورائيا
وما بي إشراك ولكن حبّها
وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا[17]

كثير عزة:

ابن لعبون:

البيك يا مي والأميال خلفها
صفوف تلبي فوق الأكوار ورحالِ

وفي هذا شبه من قول كثير عزة:

أناديك مـــا حـج الحـــجـــيج وكـــبّـــرت

(بفـــيـــفـــا غـــزال) رفـــقـــة وأهلت

ومـــاكـــبـــرت من فـــوق (ركـــبـــة) رفـــقـــة

ومن (ذي غـــزال) أشـــعـــرت واســـتـــهلت[١٨]

وفي هذا شبه من قول محسن الهزاني:

حـج الحـــــجـــــيج وكلـهـم لـه يـلـبـــون

وانـا بـدار مـــــورد الخـــــد لبـــــيت[١٩]

توافق الكلمات:

إن سعة اطلاع ابن لعبون جعلته يحاكي من سبقه من فحول شعراء الجاهلية والإسلام فتجد عند ابن لعبون ما يشبه بل يوافق ماعند أولئك الفحول من كلمات أو ربما صدر بيت أو عجزه. ضمن ابن لعبون الكثير من الكلمات التي وردت عند امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى وأبي الطيب المتنبي وغيرهم من شعراء الفصحى.

وتجد عند ابن لعبون تعابير ربما استغرقت شطراً كاملاً استعارها من غيره، وضمنها وبنى عليها ما أراد. وإليك أمثلة على ما ورد في شعر ابن لعبون من هذه التضمينات.

امرؤ القيس:

ومن توافق كلمات ابن لعبون مع ما ورد عند امرئ القيس يقول:

تبـــصّـــر خليلي هل ترى من ظعـــاين

تقـــازن بهم فـــوق الشـــفـــا من حـــزومـــهـــا

فصدر هذا البيت من قول امرئ القيس:

تبـــصـــر خليلي هل ترى من ظعـــائن

ســـوالك نقـــبـــاً بين حـــزمـي شـــعـــبـــعب[٢٠]

وفي بيت آخر يقول ابن لعبون:

ينشـدنني يوم انتـوى الكل برحـيل

هـل عـنـد رسـم دارس مـن مـعـول

وفي هذا البيت شطر آخر ورد عند امرئ القيس:

وإن شـفـائي عـبـرة مـهـراقـة

فـهـل عند رسم دارس من مـعـول[٢١]

ابو الطيب المتنبي:

يقول ابن لعبون :

وداروا حـذاها والـقنا يقـرع الـقنا

كـمـا دار بالقطب الشـمـالي نجـومـهـا

وفي هـذا البيـت توافـق كلمـات جـزئي مع أبي الطيب المتنبي الذي يمدح سيف الدولة:

بناها فـاعلى والقنا تقـرع القنا

ومـوج المنايا حـولهـا مـتـلاطم[٢٢]

محسن الهزاني:

يقول ابن لعبون:

وأنـشـدنّي بـالـعـنـا يـوم أفـلـسـن

ربمـا لـي أو عـسـى لـي أو قـمـين

وعجز هـذا البـيت توافـق تام مع صدر هذا البيت للشاعر النبطي محسن الهزاني:

ربمـا لـي أو عـسـى لـي أو قـمـين

يرجـعن اعـصـورهن الماضـيـات[٢٣]

توارد خواطر وتوافق معاني وكلمات أم اقتباسات وتضمينات؟:

قد يتبادر إلى الذهن أن ما أوردناه من أمثلة هو نوع من السرقة، ولكن قبل إبداء حكم مثل هذا، سنسوق أمثلة لمن سبق ابن لعبون في توافق المعاني والكلمات من فحول شعراء الفصحى. فها هو زهير بن أبي سلمى قد سبق ابن لعبون في توافق كلماته مع صدر بيت لامرئ القيس في معلقته:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
تحملن بالعلياء من فوق جرثم(٢٤)

وها هو عبيد بن الأبرص يقول:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
سلكن غميرًا دونهن غموض(٢٥)

ويوافق شاعر شاعرًا آخر في صدري بيتين، فيقول امرؤ القيس:

كأني لم أركب جوادًا للذة
ولم أتبطن كاعبًا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل
لخيلي كري كرة بعد إجفالِ(٢٦)

ويوافقه في صدري هذين البيتين عبد غوث، فيقول:

كأنني لم أركب جوادًا ولم أقل
لخيلي كري نفسي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل
لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا(٢٧)

ولننظر إلى هذا التطابق بين هذين البيتين الأول من معلقة امرئ القيس والثاني من معلقة طرفة بن العبد، الأول:

وقوفًا بها صحبي عليّ مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمّل (٢٨)

والثاني:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم

يقولون لا تهلك أسى وتجلّد[٢٩]

البيتان لشاعرين مختلفين والكلمات متطابقة ما عدا الكلمة الاخيرة من كل بيت ولكنها تعطي المعنى ذاته في كلا البيتين.

بعد أن أوردنا القليل من الأمثلة على توافق الشعراء، نعود للإجابة عن التساؤل المطروح سابقًا، فنقول قد يرد شطر بيت أو تتطابق معاني بيت بأكمله وألفاظه، أو بيتين عند شاعرين، ولم يعب أحد على أي من الشاعرين أو يصفه بالسرقة، فالعرب قد اعتادوا الاستعانة بعبارات يرددونها وغدت جزءًا من لغتهم، وكثيرة هي الكلمات التي تقولها العرب و تتكرر لدى الشعراء، وعلى سبيل المثال قولهم: ألا ليت شعري، أبيت اللعن، ألا عم صباحًا، ألا من مبلغًا عنيّ، واحرَّ قلبي، يا لهف قلبي، يا صاح، لعمرك، لعمري ... .

ويقول المسيب بن علّس:

وإني لأمضي الهمَّ عند احتضاره

بناج عليه الصيعرية مكدم

ويقول طرفة بن العبد:

وإني لأمضي الهمَّ عند احتضاره

بعوجاء مرقال تروح وتغتدي[٣٠]

ونعود لشعر ابن لعبون، ونقول إن كان ما أورده من توافق معانٍ وكلمات هو من باب توارد الخواطر فهذا دليل عبقريته، وإذا كان من باب الاقتباس فهذا من باب ثقافته وسعة اطلاعه وثقته بنفسه وكلتا الحالتين له. فقد تمكن ابن لعبون من إعادة سبك شواهد الشعر العربي في لهجة عامية بسيطة سهلة المعنى نالت استحسان الكثيرين.

التكرار:

يكرر ابن لعبون عبارات معينة أو شطر بيت، ومثال ذلك ترديده لتعبير «حي المنازل» في مطالع عدد كبير من قصائده ومنها:

حـي المـنـازل بـديم خـزام
تحـيـة الجـار للجـاره

حـي المنـازل وهـن صـفـوف
أنـحـب عـليـهـن وأهـلـهـنـه

حـي المنـازل تحـيـة عـين
لمصـافح النوم سـهـرانـه

وكان جرير بن عطية الخطفي قد ابتدأ إحدى قصائده بهذا المطلع نفسه بقوله:

حـي المـنـازل لا نـبـتـغـي بدلاً
بـالدار دارًا وبـالجـيـران جـيـرانًا(٣١)

كما وكرر ابن لعبون أكثر من شطر بيت في أكثر من قصيدة فقال:

ويـا مـي لـي بـك مـن قـديم مـودة
وصل الـى انحـل الدلى من وذومـهـا

وفي قصيدة أخرى:

ويـا مـي لـي بـك مـن قـديم مـوده
وصـل الى انحـلت جـمـيـع المرايـر

وقد يكرر شطرين في بيتين:

ضـحـوك اللمى مـدمـوجـة السـاق كـالقنا
خـفـوق الحـشـا مـرتج الأرداف مكسـال

الـى قلت هـاتـي حـاجـة لـي ودنّقت
تـنـثـر لـهـا مـثـل الشـمـاريخ مـيّـال

وفي قصيدة ثانية يقول:

ضحوك اللمى مدموجة الساق كالقنا
هضوم الحشا مرتج الأرداف مهياف
الى قلت هاتي حاجة لي ودنّقت
تنثر لها ظليل سافٍ على سافٍ

كما وكرر قوله:

واللي يرى ضد الوفا ما يذوقه
يدن به من نازح البعد دقاق
واللي يرى ضد الوفا ما يذوقه
يدق به من نازح الفكر دقاق

التكرار عند شعراء الجاهلية:

تشابه معاني وتكرار كلمات الشعراء انتبه له الأدباء وحتى الشعراء أنفسهم وذلك منذ قديم الزمن، وهذا ما جعل زهير بن أبي سلمى يؤكد تلك الحقيقة بقوله:

ما أرانا نقول إلا معارا
أو معادا من لفظنا مكرورا(٣٢)

وربما كان وراء هذه الإعارة والتكرار توافق مفردات الشعر واتفاق مراميه فالألفاظ لها معان معينة محددة ومواضيعهم محددة ومنهلهم واحد يغترفون منه.

وقد سبق ابن لعبون من فحول الشعراء من كرر تعابير وشطراً وبيتاً كاملاً تقريبًا أكثر من مرة. فقد كرر امرؤ القيس أكثر من شطر بيت له أكثر من مرة، ومن ذلك:

وقد أغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل(٣٣)

وقوله:

وقد أغتدي والطير في وكناتها
وماء الندى يجري على كل مذنب(٣٤)

وقوله:

وقـــد أغـــتـــدي والـطـيـــر في وكـنـاتـهـــا

بـمـنـجـــرد عـــبـل الـيـــدين قـــبـــيـض[٣٥]

وقوله:

لـه أيـطـلا ظـبـي وســـاقـــا نـعـــامـــة

وإرخـــاء ســـرحـــان وتـقـــريب تـتـــفل[٣٦]

وقوله:

لـه أيـطـلا ظـبـي وســـاقـــا نـعـــامـــة

وصـــهـــوة عـــيـــر قـــائـم فـــوق مـــرقـب[٣٧]

ويقول أيضًا:

فـــعـــادى عـــداء بـين ثـور ونـعـــجـــه

دراكـــا ولـم يـنـضـح بـمـاء فـــيـــغـــسـل[٣٨]

ويقول أيضًا:

فـــعـــادى عـــداء بـين ثـور ونـعـــجـــه

وتـيـس شـبـوب كـــالـهـشـيـمـة قـــرهـب[٣٩]

بل كرر بيتًا بأكمله تقريبًا:

ضـلـيـع إذا اســـتـــدبـرتـه ســـد فـــرجـــه

بـضـــاف فـــويق الأرض لـيـس بـأعـــزل[٤٠]

وفي قصيدة ثانية يقول:

وأنت إذا اســـتـــدبـرتـه ســـد فـــرجـــه

بـضـــاف فـــويق الأرض لـيـس بـأصـــهـب[٤١]

الكنايـــة:

عمد ابن لعبون إلى الكناية للتعبير عمّا لا يصرح به عفة أو بلاغة، وتجدر الإشارة إلى أن ما نعدّه غير لائق من تعابير اليوم ربما لم يكن كذلك وقتذاك، وما يقبله مجتمع من تعابير قد لا يقبله مجتمع آخر.

يتمادى ابن لعبون، بصريح الوصف حتى إذا ما رأى أنه كاد يتجاوز الحد استعان بالكناية ليضفي على البيت بقية من حشمة كقوله:

والبطن والخصر والنهدين
والعنق والعين واوجانه
والورك والساق والفخدين
من بينهن فلقة الدانه

وصف ابن لعبون هذا ليس بحاجة إلى تعليق. ومثال آخر قوله:

واياامها اللي عطت بقبال
يوم التجني وافاعيله
يا ليت يا عالم بالحال
من دق شاله على الشيله

وفي هذا تمنيه من الله أن تلتقي الشالة وهو غطاء رأس الرجل (عمامة، كوفية، غترة، شماغ وغيرها) مع الشيلة وهي غطاء رأس المرأة، وفي هذا كناية، فالشال والشيلة لا يلتقيان إلاّ في حالات معينة منها العناق.

ويقول:

محصنات ما علقهن الدبق
ما كشف غراتهن كود الابريق
دوحة البرهام وظلال الغوق
من قعد في ظلها ما فك ريق

فما علقهن الدبق في البيت الأول كناية عن حسن السمعة والسيرة وما فك ريق في البيت الثاني تعني لم يحصل على شيء لأن البرهام والغوق من الأشجار الباسقة ذات ظلال ولكنها غير مثمرة. ويقول أيضًا:

صلاة الله مني والسلاما
على من فيه بالغفران فازي
عفيف الجيب ما داس الملاما
ولا وقف على طرق المخازي

و«عفيف الجيب وما داس الملاما ولا وقف على طرق المخازي» في البيت الثاني كلها تعني الطهارة والعفة.

استدراكاته الأدبية:

امرؤ القيس:

وتظهر براعة ابن لعبون في الوصف وانتقاء الكلمات وربطها بمعانيها جلية واضحة في شعره، فها هو يصف شخصًا مدبرًا هاربًا تتبعه أطراف ثوبه فيقول:

وأقفى مصَنِّرٌ كن جاكات شاله
جلمود صخر حطه السيل من عال

إنه تضمين واضح لشطر بيت مشهور لامرئ القيس، وهذا ما قد يجعل أحدهم يعلق على عجز هذا البيت بأنه لامرئ القيس، وكأنني بابن لعبون يجيبه بكبرياء الواثق من نفسه: نعم إنه لامرئ القيس الذي وصف حصانه بأنه:

مكر مفر مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل[٤٢]

وهذا الوصف ليس بدقيق فعندما يحط السيل صخرًا من عل يهوي به إلى القاع لا كرّ له ولا فر.

لفتاته الذهنية:

يبدع ابن لعبون، ويأتي بالجديد في ما لم يسبق إليه، ففي هذين البيتين يناجي أطلال حبيبته ويتعداها إلى الصدى فيقول:

أسـايل حـجـار الدار عن نزل حـيّـهـا

ولا جـابني ملتمّ الاحـجـار بسـوالي

اسـأل الصـدى: يا للعـجب هل لهم تالي؟

قـال الصـدى: يا للعـجب هل لهم تالي؟

يسأل ابن لعبون أحجار الدار فلا تجيب ولن تجيب سؤاله، وهذه حقيقة الأطلال ويسأل الصدى ولابد للصدى من أن يجيب وهذه حقيقة أخرى، ولكن كيف كانت إجابة الصدى على تساؤل ابن لعبون؟

إنها لفتة ذهنية غير مسبوقة فقد كرر الصدى ما سمعه من ابن لعبون، وهذه طبيعة الصدى يردد ما قيل «يا للعجب هل لهم تالي؟» وهذه اللفتة – كما نظن – لم ترد في شعر شاعر نبطيًا كان أو فصيحًا سبق ابن لعبون أو عاصره.

ولفتة ذهنية أخرى لم أجدها عند شاعر آخر قول ابن لعبون:

فلو يممـوني باسـفل اللحـد قـبله

وجـوني لقـوني يمة الشـرق داير

إنها لفتة ذهنية أخرى غير مسبوقة فلم نسمع بعاشق حتى بعد مماته يستدير جثمانه الى جهة أحبته. إنه تصوير يفوق كل تعبير فقد تملك الحب ابن لعبون قلباً وجسداً. لقد ابدع ابن لعبون في هذا البيت أيما إبداع.

ومن الصور البيانية التي ربما لم يسبق ابن لعبون إليها قوله:

كن طيـة ثوبهـا فـوق الارداف

الهـوا والماي من فـوق الغـريف

إنها من لفتات ابن لعبون الذهنية وصوره البديعة إنها صوت وصورة كما يقال في وقتنا الحاضر.

ومن تشبيهات ابن لعبون البديعة وصفه لوميض البرق بحركة يد الدفافة فهو يقول:

صـــــوت من الفـــــرقــــا بليل لعى به
والبـــرق مـــثل كـــفـــوف دقــاقــة الطار

ومرة أخرى يصف البرق بتصفيق العذارى فيقول:

وبرق ســـرى به كن عـــالي رفـــيـــفـــه
ايدين العــذارى حين تصــفق بالاكــفــاف

ويصف ابن لعبون لنا منازل أحبته من بعيد بل يصورها بقوله:

يـا مـنـازل مـي فـي ذيـك الحـــــــزوم
قـــبلة الفـــيـــحـــا وشـــرق عن سنام
في ســـراب عن جـــوانبـــهـــا يحـــوم
طافـــحـــات مـــثل خـــبـــز في يدام

يقول الأديب حسين سرحان (٤٣) عن هذا الوصف إنه من غرائب أوصافه، فهو يذكر رسماً يقوله ببساطة وهو لا يلهث، فكيف ترى المرق إذا طفح فيه الخبز، وتنفش، وأنت تنظر إلى الرسوم من بعيد والآل (السراب) يلعب بها، فيصعدها ويخفضها - يدنيها ويبعدها - أتجد أدق وأوعى وصفاً من هذا الوصف.

إنها من لفتات ابن لعبون الذهنية وصوره البديعة التي تتراءى أمام ناظريك تشبيهاً دقيقاً وصادقاً من واقع البيئة.

تضميناته البلاغية:

وتعدت اقتباسات ابن لعبون من الشعراء إلى القرآن الكريم والحديث الشريف فقد استعان بهما في شعره وحسبه بها من استعانة، كقوله :

جـــــانـــا يـتــــــخـنـطـل
يمـــشــــي عــــلـــى الـــطـــل

بيـــــــر مـــــــعـطـل
وقـــصـــر مـــشـــيـــد

وهذه من قوله جلت قدرته: (بئر معطلة وقصر مشيد)(٤٤).

وقوله يصف حربًا:

ترمي شـــررها مـــثل صـــفـــر جـــمـــالـه
والبـــيض تنخى والمناعـــيـــر ذلال

وهي من قوله عز وجل: (إنها ترمى بشرر كالقصر. كأنه جمالة صفر)(٤٥).

وقوله أيضاً:

تسـمـع نـدا زجـر الملك في صـفـوقـه
قـضى القـضـا والتـفت السـاق بالسـاق

وفي هذا البيت تضمين من قوله عز شأنه (والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذٍ المساق)(٤٦).

ومن الحديث الشريف قوله وصفًا للحواجب والعيون والخدود فيذهب بذلك بعيداً في ما استشهد به في قوله:

حـــدر الحـــواجب لميع ســـيـــوف
والســـــيـف بـظـلالـه الجـنـه

وهذ تورية بديعة مأخوذة من الحديث النبوي الشريف «الجنة تحت ظلال السيوف»(٤٧) وابن لعبون، غفر الله له، أراد بهذه التورية معنى آخر وهو أن تحت الحواجب عيونًا تلمع كالسيوف لشدة سوادها وبياضها وفي ظلالها وتحتها خدود كالجنة.

استشهاداته الخفية:

يستعين ابن لعبون بأمثال عربية يضمنها شعره مباشرة أو يستعيض عنها بما يصوغه من كلمات تفيد معناها من طرف خفي قد لايفهمها عامة الناس ولا يلتقطها إلاّ الضليع بلغة العرب وآدابها، فقد ذكر ابن لعبون رجالاً بأسمائهم

وأحياناً بكناهم وبكلمات من قصائدهم تدل عليهم أو بنسبهم إلى بلدانهم، وعلى ذلك نستشهد بالآتي:

تستشهد العرب عند ذكر الوفاء بالسموأل فتقول فلان «أوفى من السموأل» أو «كوفاء السموأل» ويستعين ابن لعبون بذلك بقوله:

إن واعـــــدنيّ بـالـوصـل فـي دجى الـلـيـل

يافن كـمـا تافي عـهـود الـسـمـوّل

بشكل مختصر لطيف خفي، يؤكد ابن لعبون أن ما يقوله في محبوبته مي هو عين الصواب فيقول:

مـقـال فـيـه مـا قـالت حـذامـا

وشـمـس الحق تبـزغ بـامـتـيـازي

وكأن ابن لعبون وباختصار يقول:

إذا قـالـت حـذام فـصـدقـوها

فـإن القـول مـا قـالت حـذامُ

يعرج ابن لعبون على ذكر شاعر فحل في طرف بيت من رباعية ومن طرف خفي لا يكاد يحس به أحد فيقول:

لاقت ولاقني الـعـمـاهيج بسـعـاد

خـراعب اللي وصـفـهن بان بسـعـاد

والـيـوم يوم اشـفـيت قـالن بسـعـاد

ركبن لي خـيل التـصـاديد برخـوت

إنها من روائع ابن لعبون ودليل فطنته وذكائه، فها هو يصف ملاقاته للبنات الجميلات (العماهيج) وهن مستبشرات سعيدات (بسعاد الأولى) ولكنه عندما أهم بما لا يردن أوقفنه عند حده وقلن حسبك (بس عاد الثالثة) ولكن ما اراد بـ بسعاد الثانية؟ لقد ذهب ابن لعبون بعيداً، فمن ذا الذي وصف الخراعب ببان بسعاد؟ إنه

من استهل قصيدته ببانت سعاد إنه كعب بن زهير بن أبي سلمى صاحب البردة على من أهداها السلام.

واستشهاد خفي آخر في هذه المرويعة لشاعر معروف:

وبقيت طرب به بالاحباب ما سل
عن لذة الكندي على ماي ماسل
حيث الهوى ماصول والغضي ماسل
لسيوف صده والوصل غير مبتوت

في هذه المرويعة ذكر خفي لامرئ القيس، فطرب ابن لعبون مع أحبته وأنسه معهم جعله لا يسأل (ماسل الأولى) عن لذة الكندي وهو امرؤ القيس مع حبيبتيه أم الحويرث وأم الرباب بماء مأسل (ماسل الثانية).

ويذكر ابن لعبون الشاعر محسن الهزاني بنسبته إلى بلدته الحريق بقوله:

اترعن كاس الهوى لي واندفق
كاس عذري الهوى راعي الحريق

بديع اللغة:

طرز ابن لعبون قصائده وزينها بحلل بديع اللغة الجميلة ففي قصائده الجناس والطباق والمقابلة والاستعارة والكناية وغيرها، وأبدع في الاستهلال والاختتام وربما أغرق في الصنعة وتكلف، ومع ذلك بقيت قصائده جميلة سلسة.

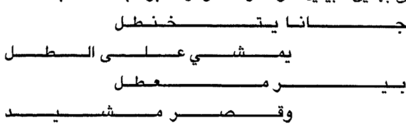
ويتكرر البديع في شعر ابن لعبون، ومن ذلك بديع الجناس الكامل في قوله:

غانيات غانجات لي تروم
كنهن في كنهن بيض النعام

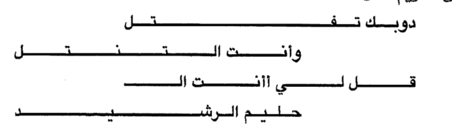
كنهن الأولى عامية بمعنى كأنهن والثانية خدرهن. والأمثلة على هذه كثيرة في ثنايا قصائده.

ارتجاله للشعر:

كثيرًا ما يرتجل ابن لعبون الشعر حال الحاجة إليه، ومن ذلك أنه كانت تربطه صداقة مع شاعر البحرين عبد الجليل الطباطبائي[٤٨]، وكانا يتراسلان شعرًا ولم ير أحدهما الآخر، وعندما ذهب ابن لعبون إلى البحرين قصد منزل صديقه، وكان الشاعر عبد الجليل في صدر المجلس والمجلس مليءٌ بالناس، فما كان من ابن لعبون إلاّ أن جلس في طرف المجلس على مضض منه، وعندما قام صاحب المجلس لغرض له داخل المنزل وعاد، مر على ابن لعبون وهو لم يعرفه، فانتهز ابن لعبون مروره فنطق بهذين البيتين مازحًا ومستفزًا ومختبرًا نباهة صاحبه:


جانا يتخنطل ... يمشي على الطل
بير معطل ... وقصر مشيد

وهنا انتبه عبد الجليل لهذا الضيف، وذكر بهذين البيتين ابن لعبون وشعره وظنه هو بعينه، فرد عليه بشعر وبنفس الوزن والفكرة التي اقتبسها ابن لعبون من القرآن الكريم فقال:


دوبك تفتل ... وأنت التنتل
قل لي أأنت الـ ... حليم الرشيد

وعندها تعارف الشاعران واحتفى عبد الجليل بضيفه الشاعر ابن لعبون وقرّبه منه في صدر المجلس.

ابن لعبون والشعراء اللاحقون:

وإذا كانت خواطر ابن لعبون قد تواردت مع من ذكرنا ممن سبقه من الشعراء أو توافقت معانيه مع معانيهم، فما عسانا أن نقول مع توارد خواطر شعراء لاحقين لابن لعبون مع معانيه وكلماته ولفتاته الذهنية؟. إن من جودة شعر

ابن لعبون ما جعل فحول شعراء العربية الذين أتوا من بعده يؤيدونه على صحة معانيه، ومن ذلك الأمثلة التالية:

أحمد شوقي:

يقول ابن لعبون:

وصلك إلا رامه عزيز تمنع

وهو مثل بقل الدوح ينبت بالاطلال

ويقول أحمد شوقي:

أحرام على بلابله الدوح

حلال للطير من كل جنسِ(٤٩)

بدر شاكر السياب:

يقول ابن لعبون في التفاتته الذهنية غير المسبوقة:

أسايل حجار الدار عن نزل حيّها

ولا جابني ملتمّ الاحجار بسوالي

اسأل الصدى: ياللعجب هل لهم تالي؟

قال الصدى: ياللعجب هل لهم تالي؟

ويأتي الشاعر البصري بدر شاكر السياب وكأنه يحاكي التفاتة ابن لعبون الذهنية فيقول:

«أصيح بالخليج:

يا خليج

يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى!

فيرجع الصدى

كأنه النشيج:

يا واهب المحار والردى ..

يا خليج» (٥٠)

****

الهوامش

(١) ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون)، ص ٤٨٣.

(٢) أبو العلاء المعري (سقط الزند)، ص ١٩٧.

(٣) ابن الرومي

(٤) أبو العلاء المعري (اللزوميات)، ص ١٣.

(٥) مسكين الدارمي

(٦) الفرزدق

(٧) عبد الكريم الحقيل (منهل المستفيد من الشعر المفيد)، ص ٢٩.

(٨) ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص ١٦١.

(٩) ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص ١٧١.

(١٠) ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص

(١١) مهدي محمد ناصر الدين (ديوان جميل بثينة)، ص٦٧.

(١٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ١٣٢. وصدر البيت هذا قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أصدق كلمة قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

(١٣) عبدالعزيز الغزي (الشعرفصيحه وشعبيه موهبة)، صحيفة الرياض، العدد ١٠٤٧١ في ١٦/١٠/١٤١٧هـ الموافق ٢٣/٢/١٩٩٧م.

(١٤) كعب بن مالك الأنصاري ص ٧٣.

(١٥) سحيم بن مصعب

(١٦) عبدالكريم الحقيل (منهل المستفيد من الشعر المفيد)، ص ١٢٤.

(١٧) فاروق شوشة (عشرون قصيدة حب)، ص ٥٠.

(١٨) فاروق شوشة (عشرون قصيدة حب)، ص ٨٨.

(١٩) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص١٤٦.

(٢٠) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ٣٠.

(٢١) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ١١١.

(٢٢) ديوان أبي الطيب المتنبي

(٢٣) عبد الله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط) ج١، ص ٢١٣.

(٢٤) أبو عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني (شرح المعلقات السبع)، ص ١٠٣.

(٢٥) ديوان عبيد بن الأبرص

(٢٦) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١٢٧.

(٢٧) ديوان عبد غوث

(٢٨) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (شرح المعلقات السبع)، ص ١١١.

(٢٩) شرح القصائد العشر، ص٥٦.

(٣٠) المصدر السابق ص ٦١.

(٣١) ديوان جرير، دار بيروت، ص ٤٩٠.

(٣٢) شوقي ضيف (العصر الجاهلي)، ص ٢٢٦.

(٣٣) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١١٨.

(٣٤) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٤٠.

(٣٥) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٩٧.

(٣٦) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١١٩.

(٣٧) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٣٣.

(٣٨) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١٢٠.

(٣٩) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٤٢.

(٤٠) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١٢٠.

(٤١) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٣٨.

(٤٢) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١١٩.

(٤٣) حسين سرحان، اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون، مجلة العرب، ص ١٠٦٧، ربيع الأول ١٣٨٨هـ – حزيران ١٩٦٨هـ.

(٤٤) الحج: آية ٤٥.

(٤٥) المرسلات: آية ٣٢-٣٣.

(٤٦) القيامة: آية ٢٩.

(٤٧) حديث صحيح رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي والحاكم في مستدركه عن أبي موسى الأشعري، انظر صحيح الجامع للألباني رقم ١٥٣٠– ٣١١٧.

(٤٨) عبد الله بن عبد المحسن الجمان، مقابلة شخصية في عام ١٣٩٩هـ، الرياض.

(٤٩) ديوان أحمد شوقي

(٥٠) ديوان بدر شاكر السياب (أنشودة المطر) ص١٧٨.

الفصل السادس

الأمثال والحِكم عند ابن لعبون

المثل هو تعبير بألفاظ جزلة يقصد منها بلوغ معانٍ معينة بأقصر جمل وأبلغ لغة. وعادة ما تكون الأمثال الشعبية لها نفس المغزى والمعنى لما يقابلها من الأمثال الفصحى ولا تختلف عنها إلاّ في مفردات عامية يمكن تفصيحها بسهولة.

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ابن لعبون من استشهاد بمثل سار على ألسنة الناس، سواءً في نجد أو الزبير أو الساحل، أو ما استحدثه ابن لعبون من أمثال وصاغها شعراً، أو حكمة صاغها أو نقلها شعرًا موزونًا سار على ألسنة الناس في عموم المنطقة. يكاد ابن لعبون يتميز من بين شعراء النبط بكثرة أمثاله وحكمه، لقد أثرى ابن لعبون تراثنا الأدبي الشعبي بفيض من الأمثال والحكم، فقد صهر تجاربه وخبرته في حياته القصيرة، وبثها بين أبيات قصائده، والأمثلة على ذلك كثيرة.

الأمثال:

يعمد ابن لعبون أحياناً إلى لفت انتباه من يستمع إليه أو يقرأ شعره باستخدام كلمات تنبه إلى ما سيورده من أمثال ومن ذلك ذكره لكلمات منها: مِثل أو تقول أو تقل أو كما. وعلى سبيل المثال نورد هذه المجموعة من الأمثال والحكم التي وردت في شعر ابن لعبون.

«كما لهبة النار»:

زل المزاح وراح صبري حطيبه

من جادل ركّب على عضاي منشار

عجاب لعاب ولاني لعيبه

وان قاربك قربه كما لهبة النار

«مثل كفوف دقاقة الطار» «ما حولي مدار ودوار»:

أمسى الوصل ينقاد منه بسبيبه

واليوم ما حولي مدار ودوار

غيبت لرضاه النجم في مغيبه

والبرق مثل كفوف دقاقة الطار

«دوس النعال»:

رنة الخلخال تحدث بك وجل

مع كمالك ما استحيت من الرجال

واهل ذاك البيت من هذا النزل

داستك خفراتهم دوس النعال

«كما طعس الرمال»:

عن سفاهك في هواهم لا تسل

يامحمد ما بقي فيك احتيال

توبة لله عن ذيك النجل

والردوف اللي كما طعس الرمال

«ترى الأرواح يسرى عليها ويراح»:

خذ ما ترا لك ترى الأرواح

يسرى عليها ويراحِ

«يا مال سلال الأرواح»:

قـــــالـت مـــــــلاوي عـلـى مـــــا راح
يـــا مـــــــــال ســـــــــــلال الأرواحِ

«أسطى من الضرغام» «أقطع من الصمصام» «أكرم من الديم»:

صــــغـــــرت بـعــــــينك ياعظيـم العظايم
من اســـــود النقطة حـــــدر دارة الجــــيـم
اصطى من الضـــرغـــــام وامـــضـى عـــزايم
واقطع من الصـــمـــصـــــام واكـــرم من الديم

«حظي يقص السيف» «يشرب من الماي بكفوفه»:

عـلـمي بـهـم في لـيـــــالي الصــــــيف
يـوم البـــــــخت نـاشــــــــر نـوفــــــــه
ايـام حـــظـــي يـقـص الســـــــــــــيف
يـشــــــــرب من الماي بكفـــــوفــــــه

اشتملت قصيدة ابن لعبون الذائعة الصيت والتي مطلعها:

ذا حس طار أو ضـــمـــــيـرك خــفـــوقـــه
يـدق بـــه مـــن نـــازح الـفـكـر دقـــــــــاق

في معظمها على أمثال وحكم وما زال الناس يرددون أبياتاً من هذه القصيدة للاستشهاد بها ومن هذه الأمثال:

«تذكر بها عيش ما تذوقه» «ياعونة الله اليوم تقسيم الأرزاق»:

تـذكـــــر بـهـــــا عـــــيش مـــــا تـذوقـــــه
ياعـــــونـة الله يـوم تـقــــســــــيم الأرزاق

«العبد عبد هافيات عموقه» «ان جاع باق عمومته» «ان شبع ماق»:

العـــبـــد عـــبـــد هافـــيـــات عـــمـــوقـــه
إن جـــاع باق عـــمـــومـــتـــه وان شـــبـع مـــاق

«الحر حر يرفعنه سبوقه»:

الحـــــر حـــــر يرفـــعنه ســـبـــوقـــه

والبـــوم يلعى بين الأســـواق خـــفـــاق

كما اشتملت قصيدته المعروفة والتي مطلعها:

يا عـــبـــيـــد من قـــصت يمينه شـــمـــالـه

يشـــوف فـــعلـه ذاك عـــدل ولـو مـــال

اشتملت على الكثير من الأمثال، ففي البيت الأول «يشوف فعله عدل ولو مال» ومنها «لا ناشد عما جرى له ولا سال»:

اقـــرب قـــريب لـه الـى شـــاف حـــالـه

لا نـاشـــد عـــمـــا جـــرى لـه ولا ســـال

«يا بادي بالقول هذا بداله» «قول بدل قول» «مال عوض مال» «القول واجد والحكي عند الأفعال» «الصج يبقى والتصنف جهاله» «الجد ما لانت مطاويه بتفال»:

يـــا بـــادي بـــالـقـــــــــول هـذا بـدالـه

قـــول بدل قـــول ومـــال عـــوض مـــال

والـكل مـنـا لـو يـطـاوع مـــــقـــــالـه

الـقـــول واجـــد والحـكـي عنـد الأفـــعـــال

الصج يبـــقى والتـــصنف جـــهـــالـه

والجـــد مـــا لانت مطـاويه بتـــفـــال

«طيزين هو ويا رفيقه بسروال»:

يوم اســـتـــقـــروا عند راعي الوكـــالـه

حـــيـــثـــه مـــدير للقنازع وفـــتـــال

والـــكـــل هـــذا رايم ذا وذا لـــه

طيـــزين هو ويا رفـــيـــقـــه بســـروال

«ما صابه مثل ما جا الزناتي بالأمثال» «أرخص بنفس لا عليها ولا له» «كجلمود صخر حطه السيل من عال»:

يرجى السعد منهم وذا من هباله

وصابه مثل ما جا الزناتي بالامثال

أرخص بنفس لا عليها ولا له

غابط بها عمره على كن وظلال

واقفى مصرٍ كن جاكات شاله

جلمود صخر حطه السيل من عال

«كنه على وجنتي فوه» «تقول ذي حال سعلوه»:

وأزخصت دمع عليه اغلوه

كنه على وجنتي فوه

تشوف حال بها غلوه

تقول ذي حال سعلوه

«قوي عين ومشوه»:

واليوم يوم انهم ملوه

قالوا قوي عين ومشوّه

ما ادري متى ما رد حلوه

تنزل ظعوني على جوّه

«سدره وانتم عصافير»:

ابو صباح ريف ركب معايير

هو زبن مضيوم جلا عن دياره

جابر لكم سدره وانتم عصافير

لا ضيم عصفور لجا في جواره

«كم خادم لك وهو مخدوم»:

كم خادم لك وهو مخدوم

تتلى ظعونه وتتلي له

واليوم صارت خيال حلوم

والعز طفيت قناديله

«يجيب كيله بمنديله»:

عقب الفهد تاخذ الفيوم

يجيب كيله بمنديله

شومي رماك القدر بسهوم

عقب التعلي نزلتي له

«دود على عود»:

باتن حذاي العاذلات الهواهي

في سد باب من بحور الهوى هي

ركبن به يشدن دود على عود

والنفس ميدان الهوى هي

«ما بها كود الهبني»:

على دار بشرقي البراحه

تمخلت ما بها كود الهبني

لكن بها عقب ذيك الشراحه

الى مريت باسم الله جني

«ادق من الندم يا الورق سني»:

أبات الليل في رجوى صباحه

وأدق من الندم يا الورق سني

على فــــقـــــدي لغـــــزلان الملاحــــــه
طويلات المعـــــانق ســــــفـــــــهني

«ذا الخبز ما هوب من ذاك العجين»:
يا شـــــــرني بالملامــــــه وجلسن
عند راسي كـــــالخـــــضــــاري له رطين
عـــــــاذلاتي في هواها ويخـــــــسن
ذا الخـــبـــز مـــا هوب من ذاك العـــجين

«ألطم كما تلطم الشيعة» «راعي الهوى زايده مقطوع» «قلبه يعلق بشريعه»:
ياعلي ذا لي شـــــهـــــر واســـــبــــوع
ألطم كـــمـــا تلطم الشـــيـــعـــــه
راعي الـهــــــوى زايده مــــــقـطوع
قلبــــــه يعلق بشـــــريعـــــــه

«راعي الهوى دايم مسبوع»:
دونك ثويبي مـــــــزوع مــــــزوع
فـــتق ظفـــوري بتـــرقـــيـــعـــــه
راعي الهــــوى دايم مـــســـبــــوع
بالليل تكثـــر ســـعـــاســـيـــعــــه

«مثل الحلوم» «كنهن في دار ابن عوام عام» «شبعة المسكين بايام الصرام»:
ياسنين اللي مـــضـت مــــثل الحلوم
كنهن في دار ابـن عـــــوام عــــــام
هل غـــريم الشـــوق يشــــبع منك يوم
شـــبـــعـــة المسكين بايام الصـــرام

«لم الهدوم»:
أو تلمين الشـــــمـل لم الهـــــدوم
ياليـــالي السعـــد عـــودن بالتـــمـــام

أو تردين لبعض ذيك الهموم

والعرب والكل في ذيك الخيام

«لا فيه حول ولا قوه»، «كبير قوم وهم ذلوه»، «اطفوا بهجرانهم ضوّه»:

طفل بزور الهوى تلوه

لا فيه حول ولا قوّه

كبير قوم وهم ذلوه

واطفوا بهجرانهم ضوّه

«لا حلال ولا حرام»:

والهاوي من هواهن محروم

غير وصل لا حلال ولا حرام

«يسقى شراب من سراب» «مطلق الكفين»:

قل عسى يفداه من لا هو عريب

وان وعد يسقى شراب من سراب

عند ابو مالك ملاذ للمريب

مطلق الكفين مأمون الجناب

«مثل الفهد ما صاد جاب»، «بالعطا مثل الرباب»:

ما مدحته غير هو نعم الصحيب

ابلج مثل الفهد ما صاد جاب

انت عين الكل يا سقم الحريب

بالوطيس وبالعطا مثل الرباب

«كم ادخل الحبس من مظلوم» ، «وما جاك من وادي سيله»:

إن جاك مثلي كثير هموم

يلوم حظه فقولي له

كم ادخل الحبس من مظلوم

وما جاك من وادي سيله

«ما بك من الثنتين وحده»:

ابغى اتعصى امشي ولا اقوى يا عواد

مابك من الثنتين وحده يا عواد

تنشد لنا ركب نكيف يا عواد

مسومل عقب اهل مي مبهوت

«ما تذرى الطحين»:

اطلقت يمناي ملوي الرسن

وقطعت بوصالها طول السنين

واظن رياح الهوى لي نسنسن

في ربوع كان ما تذرى الطحين

«ما ينفع المذبوح طولة قناته»:

تذكر مراكيض لك وهيهات

ما تنفع المذبوح طولة قناته

«سهام غارات المقادير عجلات»، «ما ظنها المظلوم تسبق دعاته»:

وسهام غارات المقادير عجلات

ما ظنها المظلوم تسبق دعاته

ما احلاك يا عصر غوانيه طربات

حيث المها بوصالهن مطرباته

«مد الحبل في ذمّهم واحتطب به»:

يطلق ابن لعبون العنان لذم أقوام فيقول:

أهل العمايم والنمايم والاصحاب

مد الحبل في ذمهم واحتطب به

فقوله مد الحبل في ذمهم واحتطب به كأنه يقول بالعربية «حدث ولا حرج» وسامح الله ابن لعبون وغفر له، فقد نهانا الشرع المطهر عن ذم العمائم أو التطاول عليها وعلى من تعمم بها.

«مثل القرع يفسد الى كثر لبه»:

ويمعن في ذمهم ويشبههم بالقرع الذي يفسد عندما يكبر:

رجـــالهم مـــا يســـفـــه الاّ الى شـــاب

مـــثل القـــرع يفـــســـد الى كـــثـــر لبـــه

«الى ظهر تلقاه دبه»:

ضـــيـــاغم عند الخـــواندات واطواب

والى ظـهـــر لـلـبـــر تـلقـــاه دبـه

«الطالب ارهى من المطلوب»، «مغالب الله مغلوب»:

وان قـــال شـــيخ فـــانا مـــحـــســـوب

عـــبـــد لعـــيـنـاتـهـــا نـوبـي

الـطـالـــب ارهـــى مـــن المـطـلـــوب

ومـــغـــالـــب الـلـه مـــغـلـوبـي

«مثل الذهب طاح مضروب»، «ابرد الى ذقته من الثلج مذيوب»:

وتحـــيـــة مـــثل الذهب طاح مـــضـــروب

في كف مـــحـــتـــاج ولا له مـــعـــازيب

وابرد الى ذقـــتـــه من الثـلج مـــذيوب

شـــربة ضـــحى خـــامس على حنة النيب

«صبر أيوب»:

للمنتـــخي ســـتـــر العـــمـــاهيج مندوب

إن علقت غـــمـــس الليـــالي كـــلاليب

اللي صبر عند البلا صبر ايوب

يوم الغواني ذاهلات الجلابيب

«ما حد يسد السيل عنك بعباته»، «ان كان عندك غير قلبك فهاته»:

امك وابوك وكل ذيك القرابات

ما احد يسد عنك السيل بعباته

ياما اجزعه دمع جرى بالمداجات

إن كان عندك غير قلبك فهاته

الحِكَم:

كما برع ابن لعبون بالاستشهاد بالأمثال وابتدع الجديد فيها، نراه قد طرّز شعره بالحكم مما شاع لدى العامة وسكبه شعرًا، أو مما اكتسبه من خبرته ومعاناته خلال رحلته القصيرة في الحياة ما جعله خبيرًا بصروفها وتقلباتها. وكما تناثرت الأمثال في قصائد ابن لعبون تناثرت الحكم. وعلى سبيل المثال سنورد أبياتاً من قصيدتين تتمثل فيها حكمته:

أرى الدار ما توفي مواضي وعودها

ولا عادها اللّي كان فيها يعودها

وأرى الدّار لي غدّارةٍ تمنع الوفا

غرورٍ وتنقض ما مضى من عهودها

لك الله ما تبقى على حال واحد

ولا ينعرف صكاتها من سعودها

شقاها على طول الليالي ملازم

والاسعاف ما تبقي على ما يفودها

هي العلة الصمّا هي المحنة التي

تحير النواظر في معاني ركودها

ألا يا غــريم صـــار فـــيـــهـــا مـــولـع

دع الدار تفـعـل مـــا تشـــا من حـــقـــودهـا

الى أقـبـل سـعـدها قـابـلـه ضـد مـــا بـهــا

من الســود أنحــوس الليــالي وكــودهـا

ولا تـامن الـصكات فــيــهـــا فكم لـهـــا

تجـاوز عن الـعـادات مـجـرى حـدودهـا

تسـاعـد بـهـا من سـاعـفت لـه ولا بقت

على حـالـة شـاف الطنا من كـمـودهـا

فكم حـاذق مـا نـال فـيـهـا مـراده

ولا طاوعت له في مــجــاري سنودهـا

وكم ضـاقت الحـيـلات فـيـهـا على الذي

نشـا مـا نشـا فـيـمـا نشـا بـه حـسـودهـا

وكم طاوعت من لا لـهـا فـيـه صـال

جـبـان وترخص مـا غـلا من نقـودهـا

فـيـالله عــلام الظواهر ومـا خـفي

ومـا حل باضـمـار الليـالي وسـودهـا

ينصـاك من لا يقـدر اليـوم حـيلـه

ولا بـه على صكات بقـعـا ردودهـا

رجـا منك تفـريج لما حل بالحـشـا

بحـالات عـسـرات تشـعب عـدودهـا

ومن توبته نستشهد بهذه الأبيات:

كل شيٍّ غَـــيـــرْ رَبِّكْ وَالـعَـمَـلْ

لُو تَـزَخْـرَفْ لكْ مَـرَدّهْ للزَّوالْ

مَـا يـدُومَ العِـزْ عَـزْ الّلهْ وَجَلْ

فِي عَـدَالٍ مَـا بَدا فِـيـه المَيالْ

وَالـذى يَـنْـقَـــــادْ بِـزْمَـــــامَ الأمَـلْ

لا تـغْــبْطَـهْ فِى زَغَـــاتِيـــرَ الهَــبَـــالْ

اسْــتــغْــفــر اللّهْ عَنْ كــثْــرَ الزّلَلْ

وَاسْـــتِـــعِينْ أعنَـايتـــهْ فِى كلّ حَـــالْ

تَـوبَـةَ المِغْــــتَـــــرْ حَــــاطْ بِه الأجَـلْ

بَـالعَـــجَلْ يَا ايّهـــاَ الرّاجِى مُــحَـــالْ

بَـادرِهْ مَـــا دَامْ لِكْ فـــهـــا مَـــهَلْ

فَـــالْمَنَـايَا رَايحَـــاتٍ بِكْ عَـــجَـــالْ

وَاسْـــألْ اللّى يَسْــتِـجِـيبْ المْنْ سَـالْ

هُو يجِـيـبِكْ مِـحـتَفٍ بِكْ حِـيثْ قَـــال

إسْـــألَهْ بَارسَـــالْ مَـــا جـــاء الرُسُلْ

وأَسْــمَـــةَ المخْـــزُونْ في عِلْمَـــهْ تَـعَـــالْ

والمــــلائــكـــة الــكـــرام اهـــل المحـــل

واوليــــاه الـواصلين بـه الحــــبــــالْ

يَسْـــمَح اللّي فَـــاتْ في وَقْتْ الجَـــهَلْ

وَاسِع الغُـــفْـــرانْ وانْ ضَـــاقْ المجَـــالْ

الـعَـــفُـــو وَالصّـــفحْ هُو للصّـــفْح أهلْ

وَالـكَـرَمْ وَالجـــوُدْ جُـــــودهْ وَالنّـوَالْ

غَـــــافِـــــرَ الـزّلاّتْ حَـيً لَـمْ يَـزَلْ

لَوْ ذُنـوبَكْ رَاجِـــحَـــاتٍ بَالجـــبَـــالْ

يَا هَل التّـــقْـــوى وَيَا ضَـــافِى الفَـــضلْ

تَـوبــةً لِـى مِـنْ عَـطَـايَـاكَ الجـــــزَالْ

مِـنْ روايْح رَحْــــمَـــتِكْ عَـلّ ونَــهَلْ

لأهْلْ حُــسْن الظّنْ بِكْ يَا ذَا الجَـــلاَلْ

والســــمـــوحَـــةْ فـــيك دوم لـم تـزل

جَـــمْلَة الأقْــدَامْ وقَــــبْــــر يـهـــالْ

فـــانّ ذَا الدنْيَـــا كـــمَـــا وصف المثَلْ

وَالحـيـــاة أبهَـــا كـمَـا طَيف الخـيَـالْ

والـعـــــزيزْ أبـهَـــا يـذِلْ وينخـــذلْ

يبْـتلى فـيــهَــا وَمـــا فِـيــهـــا وبالْ

كمْ رَأينَا مِنْ نِعِـــيـمٍ وَأضــمَـــحَلْ

مَعْ حـــبِــيبٍ نَازلٍ فِــيــهـــا وَشَــالْ

يَاعــــديم الرأىْ لُوهِى بـالـعَــــقْلْ

مَـا سـوَتْ عِنْدي عَلى بَخْـتِكْ عـــقَــالْ

مــخلـفـــةْ بـالـعـــون عن زَهْـر النَّفلْ

لُو تِـزَخْـــرَفْ لِكْ مَـــــرَدهْ لـلـزُّوالْ

****

الفصل السابع

ثقافة ابن لعبون وفحول الشعراء

من العلامات المتميزة لمعظم شعر ابن لعبون أنه متين الصياغة بعيد الدلالة وعباراته معبرة مؤدية لمدلولاتها وربما كان ذلك لسعة اطلاعه وخاصة قراءاته لفحول الشعراء، والجاهليين منهم على وجه الخصوص، وتأثره بأسلوبهم ونفسهم حتى حاكاهم وعارضهم وأخذ من معانيهم وضمّن كلماتهم واستعان بمفرداتهم.

إن من يتصفح ديوان أمير شعراء النبط محمد بن لعبون يلفت انتباهه الصلة الوثيقة بين أشعاره وأشعار فحول شعراء الفصحى، الجاهليون منهم والإسلاميون. فمما لا شك فيه أن محمد بن لعبون واسع الثقافة ملم بالتاريخ ضليع باللغة متمكن من مفرداتها مطلع على عيون الشعر العربي. وهذا ما جعل مفرداته جزلة المعنى عريقة الأصول وقصائده متينه البنيان.

لقد أدرك الشعراء والأدباء هذه الحقيقة ووصفوا ابن لعبون بمختلف الأوصاف وخلعوا عليه الألقاب كمتنبي النبط وشبهوه بعمر بن أبي ربيعة (١) وأمير شعراء النبط وقارنوه بجرير(٢) وقال بعضهم عنه بعد «ابن لعبون لا يلعبون»(٣).

إن هذه النعوت والألقاب التي أطلقها أدباء وشعراء اختلفت مشاربهم ولكنهم اتفقوا على وضع ابن لعبون في مكانه الذي يليق به في عالم شعر النبط وشعرائه.

إن ما ذكر عن ابن لعبون يسترعي الانتباه ويستحق الوقوف عنده لسبر أغوار شعره بتفحص وروية، ولعل ما قمنا به من لمّ شتات ما وصلنا من شعره سيوفر الفرصة للباحثين لقراءة شعر ابن لعبون بمختلف رواياته بين دفتي كتاب واحد.

ابن لعبون: جزالة مفرداته اللغوية:

يتميز شعر ابن لعبون بثراء مفرداته اللغوية العربية التي لها شروحاتها في معاجم اللغة ووردت في أشعار أصحاب المعلقات وفحول الشعراء العرب وربما حسبها القارىء عامية ولكنها عربية الأرومة استخدمها ابن لعبون وبسطها ليفهمها من حوله. لقد سعى ابن لعبون إلى استقامة وزن وقافية قصيدته وأداء معناها وإن كان ذلك على حساب مفردات اللغة ورسمها الإملائي وضوابطها النحوية، لذا فقد يضطر إلى حذف حروف من الكلمة أو زيادة حروف عليها وقد يأتي بالجديد وقد يدمج كلمتين في واحدة.

وربما اضطر ابن لعبون لابتداع أو ابتكار مفردات لا وجود لها في قواميس اللغة أو مفردات العامة ومن ذلك قوله:

ومجاملين عن هوى كل خرعوب

ومفارقين للطرب والغوانيب

فكلمة خرعوب: هي المرأة الجميلة، أما الغوانيب فهي كلمة ابتكرها ابن لعبون ويقصد بها الغواني(٤).

ابن لعبون والمتنبي: التشابه والاختلاف:

يقول الأديب خالد بن سعود الزيد(٥) إن الأديب الراحل خالد بن محمد الفرج ترك الكثير من الآثار الأدبية منها مقالة بعنوان «ابن لعبون متنبي النبط» جاء فيها وصف ابن لعبون بأنه كالمتنبي في متانة شعره وجريانه على الألسنة مجرى الأمثال.

إن مقولة الأديب خالد بن محمد الفرج «ابن لعبون متنبي شعر النبط» لم تأت من فراغ. ولكن لماذا وصفه بمتنبي شعر النبط؟ إن وصف ابن لعبون بمتنبي النبط جعلني أبحث وفي عجالة عن أوجه التشابه بين الشاعرين، ابن لعبون والمتنبي، وبعدها وجدت نفسي أبحث عن الاختلافات بينهما أيضاً. إن هذا الموضوع يستحق أن يُفرد له مُؤلف وليس مقالة مختصرة.

إن استعراض حياة ابن لعبون وسيرته ومقارنتها بحياة أبي الطيب المتنبي وسيرته وتصفح شعر ابن لعبون وتصفح شعر المتنبي تجيب عن هذا التساؤل.

ولإبراز أهم ملامح التشابه والاختلاف بين الشاعرين المتنبي وابن لعبون أذكر الامثلة التالية:

١- الثقافة والاعتداد بالنفس:

يعتمد كلا الشاعرين على أسس قوية منها قوة الشخصية وسعة الثقافة والاطلاع. فكلا الشاعرين معتد بنفسه ولهذا الاعتداد أكبر الأثر في شعرهما.

٢- عصر المتنبي وعصر ابن لعبون:

يتفق عصر ابن لعبون وعصر المتنبي بسيادة الصراع وانتشار الفتن وكما ساد الأعاجم والعبيد في وقت أبي الطيب سادوا في وقت ابن لعبون وكما كان للمتنبي موقف منهم كان لمحمد بن لعبون موقفٌ متشابهٌ.

٣- نزعة القوة:

المتنبي وابن لعبون يتفقان بالإيمان بالقوة فكما مجّد المتنبي شبيب الذي ثار على كافور استثار ابن لعبون ابن عمه الشيخ ناصر بن راشد ليثور على ابن زهير.

٤- التصدي:

كان المتنبي قويًا في التعبير عن نفسه ولا يأبه لمن حوله وكذا كان ابن لعبون قوي الحجة نافذ الطعنات، وكانت كلمات ابن لعبون ككلمات المتنبي تحقق كل معانيها لما لها من قوة تعكس حدة قائليها ونفاذ طعناتهم.

٥ - السعي إلى السلطة:

لقد جد المتنبي للزعامة وأخذ السلطة أما ابن لعبون فإنه وإن زج نفسه في أتونها إلا أن السلطة لم تكن هدفاً له.

٦- الغرض من المدح:

مدح المتنبي واستجدى في شعره ومدح من طمع في نيله، ومدح أشخاصًا ثم هجاهم، وقد اعترف المتنبي بمدحهم أقوامًا لا يستحقون المدح وأنه مدحهم ليأخذ منهم، ومن ذلك قوله:

إذا الفــــضل لم يرفـــعك عن شكر ناقص

على هبـــة فـــالفـــضل في من له الشكر(٦)

أما ابن لعبون فنجده يختلف عن المتنبي فهو لم يمدح تزلفًا ولم يمدح أحداً ثم يهجوه كما فعل المتنبي، وبهذا تميز ابن لعبون عن المتنبي في وضوح مبدئه وصدق شعره.

٧- القوة في الغزل:

التغني بالقوة في مواقعها لا ضير فيها ولكن المتنبي وابن لعبون لم يتركا ذكر القوة والسيوف والقتل بل استمدا منها صورًا حتى في الغزل، فالمتنبي يقول:

كم قـــتـــيل كـــمـــا قـــتلت شـــهـــيـــد

لبـــــيض الطلى وورد الخـــــدود(٧)

وبنفس القوة يتغزل ابن لعبون فيقول:

حـــــدر الحـــــواجب لميع ســـــيف

والســـــــــــيف بظلاله الجنه

ابن لعبون وامرؤ القيس:

الاقتباسات كلمات ومعاني:

يأخذك ابن لعبون بعيدًا وأنت تقرأ قصائده وكأنك تقرأ معلقات ولكن بلهجة عربية عامية. ومثالاً للمعاني الأصيلة لشعر ابن لعبون سنلقي بعض الضوء على

تشابه مفرداته وتشابه معانيه مع أحد اصحاب المعلقات وهو الملك الضليل امرؤ القيس، وتشابه بعض قصائد ابن لعبون بل ومعارضاته لبعض قصائد امرىء القيس واستدراكاته عليه، تدعو لدراسة هذا الشاعر المفلق وتلمس المعاني المبتكرة في شعره ومقارنتها بشكل أوسع مع شعر امرئ القيس وغيره من فحول الشعراء. ومثال لذلك ما ورد في قصيدة ابن لعبون اللامية التي مدح بها ابن عمه أحمد بن ضاحي بن عون المدلجي والتي مطلعها:

تعاليلك يا سلمى تعاليل جهالي

وليفك عليل بالهوى دوم للتالي

تلمس فيها متانة الشعر الجاهلي ونفسه، ومن يقرأ أو يسمع هذه القصيدة لا يخامره شك أنه يحاكي منظوم شعراء الجاهلية وبخاصة امرؤ القيس. ومثال ذلك هذان البيتان:

ضحوك اللمى مدموجة الساق كالقنا

خفوق الحشا مرتج الاعجاز مكسالِ

اذا قلت هاتي حاجة لي ودنقت

تنثر لها مثل الشماريخ ميالِ

إن معنى ومفردات هذا البيت خير دليل على تشابه نفس ابن لعبون مع صور لهذا البيت لامرىء القيس:

إذا قلت هاتي ناوليني تمايلت

عليّ هضيم الكشح ريّا المخلخل(8)

وحتى ريا المخلخل لا يتركها ابن لعبون تمر هكذا دون أن يطرز بها بيتا من شعره فها هو في مربوعة له يقول:

ارفق فلي فيهن ريا المخلخل

مبري سهمها بالضمير المخلخل

لا واعلى يجلي عضاي المخلخل

دهر مرض في غيّها يا سباهي

عارض ابن لعبون قصائد لامرئ القيس واستدرك على بيته المشهور:

مكر مــفــر مــقــبل مــدبر مــعــاً

كــجلمــود صــخــر حطه الســيل من عل[٩]

فكما وصف امرؤ القيس سرعة حصانه في هذا البيت فقد وصف ابن لعبون شخصًا هاربًا ترفرف جاكات ثوبه من سرعة عدوه في بيت مشابه له في المفردات ومختلف عنه في المعنى:

واقــفى مــصــرٍكن جــاكــات شــالـه

جلمــود صــخــر حطه الســيل من عــال

وعندما قيل لابن لعبون إن عجز البيت من امرىء القيس، قال نعم هو له، ولكنه أخطأ في استشهاده به لوصف حصانه، فجلمود الصخر إذا حطه السيل من عل لا يكر ويفر ويقبل ويدبر وإنما يأتي هاويًا داويًا. ألا ترى أن ابن لعبون استدرك على امرئ القيس ما لم يستدركه أحد قبله.

وذكر ابن لعبون الشاعر امرأ القيس في شعره بكنيته بالكندي في رباعية من رباعياته منها قوله:

بقــيت طرب بالاحــبــاب مــاسل

عن لذة الكندي على مــاي مــاسل

ليت الهــوى مــاصــول والغــضي مــاسل

لسـيــوف صــده والوصل غــيــر مــبــتــوت

يقصد ابن لعبون بالكندي امرأ القيس وماسل الأولى تعني لا أسأل والثانية مأسل اسم موضع ماء، وابن لعبون استشهد بهذا الموضع حيث امرئ القيس يلتقي بأحبته هناك بقوله:

وكــدأبك من أم الحــويرث قــبلهــا

وجــارتهــا أم الرباب بمــاسل[١٠]

أما ماسل الثالثة فتعني لم يسل سيوف الصد.

ابن لعبون والمنخل اليشكري:

ربما تأثر ابن لعبون بالمنخل اليشكري ونحا منحاه في وصف جدائل أو غرائر محبوبته بأنها كالحيات فيقول المنخل:

يعكفن مثل أساود الـ
تنوم لم تعكف لزور[11]

وابن لعبون يشبه الجدائل بالعرابيد فيقول:

ومجدلات الغضى من فوق
ردفه عرابيد حيات

ابن لعبون والأعشى:

يقول ابن لعبون:

مع صحصح كنه قفا الترس مقلوب
طرب به الجني على فقده الذيب

يقول الأعشى:

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة
للجن بالليل في حافتها زجل[12]

بلاغة مطالع قصائد ابن لعبون:

ابن لعبون ولبيد بن ربيعة:

تتجلى عبقرية ابن لعبون وسعة ثقافته واطلاعه باهتمامه في اختيار مطالع قصائده وانتقاء كلماتها. ولسبر أغوار هذه العبقرية سأستشهد بمطلع أهم قصائده وهي توبته. لقد اجتهد ابن لعبون وأبدع في اختيار مطلع القصيدة ليتناسب مع عظمة وجلال موضوعها وليتوّجها به وهو يتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ويتوب إليه.

استعان ابن لعبون بثقافته الدينية المتأصلة في نفسه وثقافته الأدبية والشعرية التي تملأ وجدانه ليجعل من «أصدق كلمة» مطلعًا ليحاكيها في توبته. بحث عن هذه الكلمة فوجدها في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قول لبيد «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» وبحث في ذاكرته الشعرية فوجد قول لبيد ابن ربيعة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل(١٣)

وجد ابن لعبون الكلمة والبيت فأعاد صياغة المعنى وبحث عن قصيدة أخرى للبيد تقول:

إن تقوى ربنا خير نفل
وبإذن الله ريثي وعجل(١٤)

وبهذا صدر قصيدته بمعنى البيت الأول من قصيدة لبيد وعارض القصيدة الثانية للبيد وجعل من قافية صدر مطلعها قافية صدر قصيدته، وإليك مطلع قصيدة ابن لعبون:

كل شيء غير ربك والعمل
لو تزخرف لك مرده للزوال

أو لعل ابن لعبون اطلع على قول الحارث بن عباد:

كل شيء مصيره للزوال
غير ربي وصالح الأعمال(١٥)

ابن لعبون وجرير:

ذكرنا كيف تميزت مطالع قصائد ابن لعبون باستهلال يلفت انتباه سامعيه ويشدّهم إليه. إن لاختيار هذه المطالع دورًا كبيرًا في نجاح القصيدة وذيوع صيتها فهي كما يقول المثل العامي: «الرمح على أول ركزه» ومما لا شك فيه أن ابن لعبون قد أدرك هذه الحقيقة ولذا تعمد انتقاء مطالع قصائده، فكلمات مثل: يا منازل، ويا، وياذا، وقال، وقالت، ونح، وغيرها تثير عند سماعها ولأول وهلة فضولاً لمعرفة ما بعدها.

ومن خلال قراءات سريعة لمطالع شعراء العربية نجد أن ابن لعبون قد جارى فحولهم في هذا المجال ومن أولئك جرير، فقد استهل جرير عدداً من قصائده بكلمات مثل: حي المنازل، وحي الديار، وألا حي المنازل، وألا حي الديار، وحيوا الديار. وكما كرر جرير مطالع قصائده كذا فعل ابن لعبون، فهل هذا إعجاب به أم توارد خواطر.

وإليك أمثلة من قول جرير في هذه المطالع:

حي المنازل بالأجزاع فالوادي
وادي المنيفة إذ تبدو مع البادي(١٦)

ويكرر المطلع بقوله:

حي المنازل بالأجزاع غيرها
مر السنين أباد وآباد(١٧)

وقوله:

حي الديار على سفي الأعاصير
استنكرتني أم ضنت بتخبيري(١٨)

ألا حي المنازل بالجناب
فقد ذكّرن عهداً بالشباب(١٩)

ألا حي الديار وإن تعفّت
وقد ذكرن عهدك بالخميل(٢٠)

وأخيراً:

حيوا الديار وأهلها بسلام
ربع تقادم أو صريع خيام(٢١)

****

الهـوامــش

(١) خالد سعود الزيد

(٢) عبدالله بن خالد الحاتم (أمير شعراء النبط)، مجلة البيان، العدد ٢، سنة ١٩٦٢م

(٣) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج٢، ص ٣٠٩

(٤) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج٢
طلال السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة) ج٢

(٥) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (قصيدة ابن لعبون على قافيتي الباء من المسحوب .. وقيمتها الدلالية)، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٤٠٢، ٦ جمادى الأولى ١٤١٦هـ.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي

(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي

(٨) مصطفى عبدالشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ١١٥.

(٩) مصطفى عبدالشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ١١٩.

(١٠) مصطفى عبدالشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ١١١.

(١١) المنخل اليشكري: شوقي ضيف (العصر الجاهلي)، ص ٢٢٨.

(١٢) الأعشى، شوقي ضيف (العصر الجاهلي)، ص ٣٥٣.

(١٣) ديوان لبيد، دار صادر، ص ١٣٩.

(١٤) ديوان لبيد، دار صادر، ص ١٣٢.

(١٥) عبد العزيز الغزي (الشعر فصيحه وشعبيه موهبة). الحارث بن عباد.

(١٦) ديوان جرير، دار بيروت، ص ١٠٩.

(١٧) ديوان جرير، دار بيروت، ص ١٠٥.

(١٨) ديوان جرير، دار بيروت، ص ١٩٢.

(١٩) ديوان جرير، دار بيروت، ص ٢٠.

(٢٠) ديوان جرير، دار بيروت، ص ٥٠٨.

(٢١) ديوان جرير، دار بيروت، ص ٤٢٦.

****

الفصل الثامن

الأماكن والأسماء في شعر ابن لعبون

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ابن لعبون من ذكر اسم علم تصريحًا أو تلميحًا أو كنية، أو من معلم جغرافي أو بلد أو نهر أو وادٍ أو جبل أو أثر جرياً على عادة شعراء العرب، ويحدد ابن لعبون بعض الأماكن من خلال تحديد ما يحيط بها من معالم.

الأماكن:

تكرر عند ابن لعبون وصف الأماكن وخاصة تلك التي تربطه بمحبوبته. تغنى ابن لعبون بربوع الزبير وذكر مراتعها ومرابعها وحزومها وما بداخل البلد من أحياء وما يحيط بها من براري ومواقع وآثار وأطلال (الشكل ١٧).

يعد ابن لعبون أكثر الشعراء التصاقاً بالزبير وتغنياً بها وقد ذكر في شعره معالم بالزبير لم يأت شاعر قبله وحتى وقتنا الحاضر على ذكرها وترديدها.

يصف ابن لعبون بل يحدد منازل ميّ (الزبير) ويعرّفها ليستدل بها من لا يعرفها فيقول:

يا منازل ميّ في ذيك الحزوم
قبلة الفيحا وشرق من سنام

فالفيحاء هي البصرة وسنام جبل معروف بين الزبير والكويت وهو للزبير أقرب.

ويذكر مواقع أخرى حول الزبير فيقول:

حـــــي المــــنــــــازل يمـــــين اطـــــلال

شـــــــرق العــــــقــــــيلة الى هيـله

العقيلة وهيله مسميات لمناطق بين الزبير وطرف خور عبد الله المعروف عند أهل الزبير بالمجدم والخوير.

ويذكر موضعًا آخر قرب الزبير فيقول:

فـــــوق الأمـــــيلح قطين خـــيــــام

مــــــضـــــــروبة دار مـــــا داره

والأميلح أو المويلح موقع إلى الجنوب الشرقي من الزبير ويعرف لدى أهل الزبير بالمويلحات.

يصف ابن لعبون منازل حبيبته «مي» ويحدد موقعها تحديداً فيقول:

يـا منـازل ميّ عن قـــــبـــــة حــــسن

من يســـــار وعن قـــــبــــر طلحـــة يمين

وقبة حسن يقصد بها قبر الحسن البصري، رحمه الله، وقبر طلحة هو طلحة ابن عبيدالله، رضي الله عنه، وكلاهما دفنا في الزبير، الأول في المقبرة المعروفة باسمه، والثاني خارج الزبير على قارعة الطريق المتجهة إلى البصرة.

ويأتي ابن لعبون على ذكر مواقع بعينها وأحياء باسمها مثل: ديم خزام [1]، الكوت، البقشة وخابور وغيرها، ومن ذلك قوله:

حـي المنــازل بـديم خـــــــــــزام

اتحـــــــيــــه الجـــــار للجـــاره

ويقول :

حـي المنــازل علـى الخـــــــابــور

من حـــوض فلوان الى البــــقـــشـــة

الكوت وخابور، حوض فلوان، البقشة [٢] وهي أسماء أماكن بالزبير.

ويستغرق في وصفه لمواقع في جزيرة العرب فيذكر منها نجد وهيت وطويق وعفيف وتيماء والأحقاف وعُمان فيقول:

يا هل العيرات مامنهن عجاف

رابيات بنجد في هيت وريف

من جبل تيما الى حد الاحقاف

من خشوم طويق لبطانة عفيف

هايتات كالمها زرق الخفاف

من بنات عمان ممشاهن خفيف

ويقارن بين الشام والقطيف:

بالبعاد وكيف يقضى بايتلاف

حاجة بالشام ناس بالقطيف

ويذكر ابن لعبون أماكن وقرى في نجد منها الصفرات والبير، ومن ذلك في إحدى نقائضه لابن ربيعة:

واقفيت تشتم للصفرات والبير

تقول عود جيتي خساره

ولا تغيب ثادق بشكل خاص وسدير ونجد بشكل عام عن خاطر ابن لعبون فيذكرها ويدعو لأهلها فيقول:

علمي بهم قطن على جو ثادق

ساقاها مرنات الغوادي ركومها

ويأتي على ذكر سدير بقوله:

الى جيت في وادي سدير فخلّها

تذب العفا ما فوقها الا وسومها

وفي مدحه للأمير أحمد بن محمد السديري يذكر الغاط بقوله:

عـــامـــدات نجـــد من بعـــد المســـاف

خـــاصـــات الغـــاط من نجـــد المريف

ويذكر ابن لعبون بلدة ديلم التي انتقلت لها ميّ فيقول :

يا مــــال نجم حـــــداه نجــــوم

يـــدق ديـــلـــم ومـــن هـــي لـــه

ديلم من بلاد عربستان على حدودها مع العراق وكانت ديلم وقتذاك أكثر سكانها عرب وحكمها عرب من قبيلة الخليفات.

وتمضي السنون التي عاشها ابن لعبون في دار ابن عوام (الزبير) سريعة، ويتحسر على ذلك بقوله:

يا سنين لي مـــضت مـــثل الحلوم

كنهن في دار ابن عـــوام عـــام

وفي الكويت ذكر وارة مفاخرًا فقال:

عن المجـــد انشـــد ولد يام ومطيـــر

وانشـــد جـــمـــاجم روســـهم عند واره

وفي البحرين يأتي على ذكر جال الرفا ع:

ليت أهلنا واهل مي جـــمـــيع

نازلين على جـــال الرفـــاع

وذكر البصرة في إحدى نقائضه لابن ربيعة:

ولولا حـــمـــود هو وداود شـــاله

مـــا استـــملك البـــصـــره وبذله للأمـــوال

ويأتي ابن لعبون في قصيدة له على ذكر شط العرب بقوله:

لو رمـــيت به الذي لك من خـــصـــيم

مـــا جـــرى شط العـــرب غـــيـــر الدمـــوم

واستشهد بعذوبة النيل فقال:

وبحـــــر جناه الدر واحلى من النيل
اضحى بعينه كالسراب يتحول

وينسب ابن لعبون رجال لبلدانهم كقوله:

اترعن كاس الهوى لي واندفق
كاس عذري الهوى راعي الحريق

وراعي الحريق إشارة إلى الشاعر محسن الهزاني، وهو من بلدة الحريق بنجد.

الأسماء:

الأنبياء:

ورد في شعر ابن لعبون ذكر لأسماء عدد من الأنبياء، منهم إمامهم وخاتمهم محمد بن عبد الله عليهم وعليه أفضل الصلاة والتسليم، فقد اختتم ابن لعبون بذكره والصلاة والسلام عليه في عدد من قصائده. واستشهد بذكر عدد من الأنبياء بما اتصفوا به من صفات غدت مضرب المثل، ومن الأنبياء الذين ذكرهم: يعقوب ويوسف وأيوب ويونس وذكر ابن مريم كناية عن عيسى، عليهم جميعاً وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والتسليم.

ومن ذلك قوله:

يا ركب ما سرتوا بيوسف ليعقوب
قبل الفجر ينباج والليل غربيب

الملائكة:

كما ذكر ابن لعبون أسماء ملائكة منهم هاروت وماروت وجبريل وميكائيل.

ومن ذلك قوله:

ينضا البراقع عن لمى فيه مردل
ماي الحياة وبين اشافيه مردل

عسل بهن وساحر الطرف مردل

من شك ما هاروت لحظه وماروت

النساء:

ميّ وهيلة:

ردد ابن لعبون ذكر أسماء نساء منها ما هو مستعار ومنها ما هو حقيقي. ومن الأسماء التي رددها ابن لعبون كثيراً ميّ الذي قيل إنه اسم من تعلق بها قلبه لأول مرة وهي مي المطيرية في بلدة ثادق قبل خروج ابن لعبون منها، وبعد ذلك استعان باسم مي كاسم مستعار لكل من تعلق قلبه بهن أو غازلهن.

لقد طغى ذكر ميّ على كل الأسماء وكادت لا تخلو قصيدة من قصائده من ذكرها. وابن لعبون عندما استعان باسم ميّ جرى كعادة شعراء العرب الى اللجوء إلى تسميات استعاروها لأحبتهم ولسان أحدهم يقول:

أسميك سعدى في نسيبي تارةً

وآونة اسما وآونة لبنى

حذارًا من الواشين أن يسمعوا بنا

وإلاّ فمن سعدى لديك ومن لبنى

وهي حال ابن لعبون وإلا فمن هي مي؟ إنه اسم استعان به ابن لعبون لمناجاة حبيبته.

يذكر أن الاسم الحقيقي لميّ هو هيلة، وعندما يئس من الفوز بها صرح باسمها علانية بقوله:

والله لولا الحيا واللوم

لا صيح واقول يا هيله

أخريات:

وتكررت أسماء نساء في شعر ابن لعبون منها ما كان كنية لشخص مثل لطيفة (أخو لطيفة)، وضحى (ولد وضحى)، مريم (أخو مريم). وردد أسماء نساء

ربما استعان بها لتلطيف قصائده مثل قوت، سعاد، زينب، هند، ليلى، هياء، قماشة، ساره. أما اسم سلمى فقد ذكره وقصد به الدنيا والعامة وخاصة النساء يقلن «صكته سليمى» و«سليمى الغايرة» وسليمى هو تصغير سلمى.

. ومن الأسماء التي رددها اسم فريجة الذي قيل إنه اسم ربابته التي كان يلجأ إليها «لتفرّج» همومه، ويبثها لواعجه وأشجانه وغرامياته[٣]. ومن قائل إنه اسم إمرأة دفافة (ضاربة دف)[٤].

أمراء ووجهاء :

ذكر ابن لعبون رجالاً معروفين تركوا أثراً في حياته وحياة من حوله منهم الأمراء والوجهاء والشعراء. جاء ابن لعبون على ذكر أسمائهم صريحة أو مكناة أو تلميحاً وتعرض لهم في شعره ذكراً أو مدحاً أو هجاء. لقد ذكر ابن لعبون أسماء رجال مدحهم مثل محمد بن ثاقب (أبو إبراهيم) وضاحي العون وابنه أحمد أو أحمد بن محمد السديري وأبومالك وأولاد سالم وجاسم أو قاسم.

ومن المسؤولين العثمانيين في العراق ذكر الوالي العثماني في بغداد وهو داود باشا وذكر كاظم آغا المتسلم العثماني على البصرة، وربما قصده بقوله راعي الوكالة.

ومن شيوخ الكويت ذكر الشيخ جابر بن عبد الله الصباح مرة باسمه جابر، ومرة أبو صباح، وأخرى أخو مريم. ومن آل سعود ذكر مقرن، وتركي، وثاقب، ومن أمراء المنتفق ذكر حمود بن ثامر السعدون وابن صلال من فرسان المنتفق.

شعراء:

ومن الشعراء الذين عاصروا ابن لعبون ونادمهم وذكرهم في شعره عبدالله بن ربيعة وابن جلق. وقد ردد ابن لعبون اسم صديقه وغريمه ابن ربيعة بأكثر من اسم وكنية منها عبدالله، وعبيد، وابن ربيعة، وربما قصده بقوله ابن عايد، كما وذكر زيد الربيعة أخا الشاعر ابن ربيعة.

أشار ابن لعبون إلى رجال مثل استشهاده بالسموأل أو بذكر ما يدل عليهم من طرف خفي كقوله: خراعب اللي وصفهن (بان) بسعاد يقصد به كعب بن زهير بن أبي سلمى، رضي الله عنه وفي هذا إشارة إلى قصيدته بانت سعاد، وقوله: (عن لذة الكندي على ماي ماسل) ويقصد بالكندي هنا امرأ القيس، وقوله أيضًا: (كاس عذري الهوى راعي الحريق) ويريد به محسن الهزاني. وذكر الزناتي خليفة بقوله: (وصابه مثل ما جا الزناتي بالامثال).

مجهولون:

واستشهد بذكر أسماء لأشخاص غير معروفين لدينا أو ربما لا وجود لشخوصهم وذلك لما اقتضته ضرورة القصيدة مثل سلامة وصالح حراش وأخو قوت وفهد.

أما عبداللطيف الذي ورد في إحدى قصائده فليس المراد به اسمًا وإنما عبدٌ للطيف أي محبوبته.

وأسماء كرر مناداتها أو الاستعانة بها في عدد من قصائده ربما رمزًا أو لأشخاص حقيقيين مثل عواد وعلي اللذين اختلف الرواة في حقيقتهما ومن خلال قراءة قصائد ابن لعبون يكاد ينحصر ذكر علي في قصائده المغناة وخاصة تلك التي ربما نظمها وهو في البحرين . أما عواد فيكاد ينحصر ذكره في طوال القصائد وفي المهمات الصعبة وكأنه صديق حميم وأمين سر مؤتمن ينتدبه لتقصي أخبار مي وطواريها .

الكنى:

عمد ابن لعبون إلى الكنية عند ذكره لعدد من الأشخاص مثل: أخو لطيفة، أخو مريم، أبو صباح، أبو مالك، أبو سالم، أبو إبراهيم، بنت بنقير، ابن عايد، راعي الوكالة.

ذكره نفسه:

ذكر ابن لعبون نفسه في عدد من قصائده مرة باسمه صريحاً «محمد» أو استعار بذلك كقوله ابن حمد أو ابن مدلي (مدلج) ومرة ذكر ابن لعبون، وربما قصد نفسه بقوله أخو لطيفة، وكذلك راعي المنظوم وبارع الزين.

الزهوروالنباتات:

ومن الأزهار والنباتات الموسمية والبرية العطرة الرائحة ذكر ابن لعبون الجثجاث والرمث والحزا والزهر والشيح والقيصوم والبختري والخزامى وغيرها. ومن ذلك قوله:

ولا تحسب الجثجاث والرمث والحزا

والشيح والقيصوم عطّة هدومها

****

الهـــوامــش

(١) يرى كثير من الناس أن اسم ديم خزام هو أصلاً دم خزام وأطلق على الموقع الذي دارت فيه رحى معركة الجمل حيث عقر جمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها المسمى «خزام». ولكن هذا ليس بصحيح ويفند الصانع والعلي (إمارة الزبير بين هجرتين)، ج٤، ص ٢١٥ هذا الرأي لأسباب عدة أهمها:

أ – ليس لهذه الرواية سند تاريخي.

ب – أن جمل عائشة، رضي الله عنها، يدعى عسكرًا وليس خزامًا.

ج – لم تنحصر معركة الجمل في مكان واحد بل شملت مساحة شاسعة في المنطقة.

ويفسر الصانع والعلي تسمية الموقع بديم خزام أن هنالك طريقتين لزراعة الحنطة الأولى ديمًا ويسمى بعلاً اعتمادًا على الديم أو المطر، والثانية سيحًا ويعتمد على الري وكان أحد المزارعين واسمه خزام زرع حنطته ديمًا واختار هذا الموقع وكان منخفضًا تتجمع فيه مياه الأمطار وأصاب خيرًا بينما تلف زرع أصحاب السيح في ذلك الموسم فقال الناس «ديم خزام غلب سيح الجماعة» وذهبت مثلاً وسمي الموقع بديم خزام.

(٢) البقشة اسم مكان في الزبير وأصلها بخشة كلمة عثمانية تعني الحديقة أو البستان.

(٣) فريجة قيل إنه اسم ربابة ابن لعبون: عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ٢٨٩، خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ج١، ص١٤٤، حسين سرحان (اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون) مجلة العرب، ج٩، سنة ٢، ربيع الأول ١٣٨٨هـ، ص ١٠٦٨.

(٤) فريجة قيل إنه اسم لامرأة دفافة (قارعة دف)، أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (لماذا خرج ابن لعبون من الزبير ومتى خرج؟)، صحيفة الجزيرة يوم ١٩٩٥/٩/٩م.

****

الفصل التاسع

معارضات الشعراء لشعر ابن لعبون

ذاع صيت ابن لعبون وانتشر شعره بين الناس في مختلف البلدان وتسابق الشعراء في سلك ما ابتدعه من فنون الشعر واتباع مدرسته وعارضوا جل قصائده وتنافسوا في ذلك. لقد تأثر عدد كبير من فحول شعراء النبط في عصر ابن لعبون وبعده بشعره ورددوا اسمه واقتبسوا من معانيه واستعانوا بمفرداته وتضمين أبيات وشطور من شعره، ومن أبرز أولئك الشاعر عبدالله بن ربيعة وعبدالله الفرج وعبدالمحسن الطباطبائي ومحمد بن عبدالله القاضي وغيرهم.

وباختصار سنورد أمثلة على معارضات الشعراء لعدد من قصائد ابن لعبون والمهملة وذات القوافي.

القصائد:

قصيدة:

اللهْ عَسَى بَرْقٍ سَرَى يَأبن عَايِدْ
مُوضِى بُروقهْ مخلِفَات المَواعِيدْ
والى صدَقْ جِعْلهْ يِمينَ الْفَرايِدْ
هامِي ربابهْ نَازحٍ في تخاديدْ

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ٥٤) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٢ بيتاً يعاتب فيها الشاعر محمد بن فوزان مطلعها:

كثر الحكي ما لنا بالعوايد
وانت تدري يا محمد فلا زيد

الاولـــى طـــرف عـــن الخـلـــق نـــايـــد

لـولا حكـايـا بـعض الـنـاس مـــــقـــــاريـد

ورد ابن فوزان (ديوان الفرج ص٥٤) على عبدالله الفرج بقصيدة عدد أبياتها ٢٦ بيتاً مطلعها:

اهـلاً عـــــدد مـــا هـللـوا بـالمسـاــايـد

أو عـــد مـــا ركّب ســرى يخـبط البـيـــد

أو عـــد مـــا يهـتـــاش خـــوص الجـــرايد

أو عـــد مـــا ضـجـت غـــروب المعـــاويد

قصيدة:

يـا مـنـــازل مـيّ فـي ذيـك الحـــــــزوم

قـــبلة الـفـــيـــحـــا وشـــرق عن سنام

في ســـراب عن جـــوانبـــهـــا يـحـــوم

طافـــحـــات مـــثل خـــبـــز في يدام

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص١٣٧) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٥٣ بيتاً مطلعها:

هـل عـــرفت الـدار خـــافـــيـــة الرســـوم

او منـع عـــرفك لـهـــا منـهـــا الـهـــدام

أقـــفـــرن برســـومـــهـــا ايام الحـــســـوم

وأبعـــدن سكانـهـــا عـــبـــر العـــوام

قصيدة:

فَـــلا َذْر نُورْ الشَّـــمْسْ والـشَـــمْسْ خَـــدِّكْ

ولا الـقَـــمَـــرْ الـسَّـــيَّـــارْ يَومْ أنْتْ سَـــاير

عليْـــهَـــا مَـــلامي كَلّمَـــاَ ذَر شـارِقْ

وَعْـــتب كِـبِـيـــرٍ حِـيْـــثـــهْ امْ الكَبَـــايِرْ

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ٥٩) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٤٤ بيتاً ومطلعها:

تفكرت بالدنيا وشفت العبابر
ومن عاش في الدنيا يشوف العبابر

وبيحت مما هالني السد بعدما
غشى القلب مر لاجي فيه حاير

وقد استعان الفرج في هذه القصيدة بكثير من معاني ابن لعبون ومفرداته ومن ذلك قوله:

عليهن ملامي كل ما ذر شارق
وعتب كبير كل ما سار ساير

قصيدة:

ألا يا بارق يوضى جناحه
شمال وأبعد الخلان عني

على دار بشرقي البراحه
أقفرت ما بها كود الهبني

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٤٧) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٣ بيتاً ومطلعها:

علامي ما امل من النياحه
وفشر السد مفجوع كمني

وطرفي ما يوني بانسفاحه
وفي طيب الكرى ما هو متهني

قصيدة:

يَا مَنَازِلْ مَيْ عَنْ قُبَّةْ حَسَنْ
مِنْ يسَارْ وعَنْ قَبرْ طَلْحَةْ يمِينْ

في ربوع كل مـــا فـــيــــهـــا أسن

في ديار كل مـــا فـــيــــهـــا حـــزين

عارض هذه القصيدة الشاعر عبدالمحسن الطباطبائي بقصيدة مطلعها:

هـل عــــــرفت الـدار يـا نـافـي الـوسـن

او مـنـع عـــــرفك لـهــــا طـول الـسـنـين

وذكر ابن لعبون في هذه القصيدة إشارة إليه بقوله:

واعـــتــبـــر في قـــول من قـــال يـخـسـن

«ذا الخـــبـــز مـــا هـوب من ذاك الـعـــجـين»

لقول ابن لعبون:

عــــــاذلاتـي فـي هـواهـا و يـخـــــسـن

هـا الخـــبـــز مـــا هـوب من ذاك الـعـــجـين

وعارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٤٤) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٤ بيتاً ومطلعها:

طـال ليـلـي من جـــفـــا جـــفـني الوسن

عن نـظـيــــــر الـعـين وابـديـت الـكـنـين

أرقـنـي مـن عــــــقـب مـــــا ونـسـن

في فـــــروع الـدوح ورق ســـــاجـــــعين

واستخدم الفرج الكثير من معاني ابن لعبون ومفرداته في هذه المعارضة ومن ذلك قوله:

وحـلـفـن لـي بـالحـــــسين وبـالحــــــسن

قلـت بـالـســـبـطـين مــــا عــــوّل ولـين

وقول ابن لعبون:

وحـلـفـن لـي بـالحـــــسين وبـالحــــــسن

قلـت حـــاشـــا مـــا نـطـيـع المجـــرمـين

وختم معارضته بما ختم ابن لعبون قصيدته إلا أنه استبدل ردّن في بيت ابن لعبون في راحن بقوله:

واحـــــمــــــد الله يـوم راحـن وافلـسن

والـثـنـا لـلـه رب الـعـــــــالمـين

قصيدة:

تَعـــالِلك يَا سلمى تَعـــالِيل جـــهَّـــال

ولِيـــفِكْ عليلٍ بالهَـــوى دَوم للتُّـــالـيِ

ومَن سَـــالمَكْ سَلمىَ صــفَـــا البَين حِــزبه

وَمَن طَاَوَلَكْ طَاَلَتْ لَيـــالِيــــهْ بِعـــوَالِي

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٠٤) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٣ بيتاً وأخذ مي من ابن لعبون بقوله:

تحــــملت يا مي العنا منك عـــزالـي

ولا طعت بك باللوم عـــمي ولا خــــالي

وقــضــيت انا لي بك زمـــان على المدا

وانا كـــان قـــبل اهواك يا مي مـــا آلي

هذا وقد استعان الفرج في معارضته بالكثير من مفردات ابن لعبون ومعانيه بما في ذلك استخدامه لاسم مي.

قصيدة:

هَـل الـدارْ يَـا عَــــــــوَّادْ إلاَ مَـنـازِلْ

سَـبـارِيتْ يَا عَـوّادْ خِـفْـيَتْ رسُـومــهَـا

يلوحْ السَّنَا فـيــهَـا كـمــا لاَحْ زرْقَــهْ

عَلى خَـــدْ مَي مِنْ بقـــايَا وشــومـــهـا

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٢٧) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٤ بيتاً ومطلعها:

هل الدار الا خافيات رسومها

وهل شاخص في الحي الا رسومها

عواف تلوح أطلالها في عراصها

كما لاح بكفوف العذارى وشومها

وقد ضمن الفرج شطور أبيات من ابن لعبون واستعان بكثير من مفرداته ومعانيه ومن ذلك: تبصر خليلي هل ترى من ظعاين وختم قصيدته بتضمين شطر من بيت من أبيات قصيدة ابن لعبون ويذكره باسمه بقوله:

فالى جيتها دعها لقولة محمد

تذب العفا ما فوقها الا وسومها

وذلك لقول ابن لعبون:

إلىَ جِيتْ فِي وَادِي سِدَيرٍ فَخَلَّهَا

تَذُبُّ الْعَفا ماَ فَوقَها الا وُسُومَهَا

قصيدة:

خَلاً السَّفْحْ يَاعَوَّادْ ما فِيهْ من هَلَهْ

عُقْبْ خبرْنَا بهْ غَيْرْ راك وَصفْصافِ

عَفَتْهَ البوَادي وارْعَج الرِّيحْ وَاخْتفى

خِفْيتَ رسُومهْ كما دَارٍ بالاحقافِ

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص٨٩) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٦٠ بيتاً ومطلعها:

على السفح للتسليم يا ركب عوجا في

عسى بانحراف العيس لي مشف اوشافِ

دعوني اوادع بالنفودين منزل

حبيبي ومعهد يا ركب بدر الانصافِ

وفي معارضته هذه استعان الفرج بجل معاني ومفردات ابن لعبون والإشارة إليه بالاسم ومن ذلك قوله:

ثليله الى دنق بقوله محمد

تنثر لها ظليل ساف على سافي

ومحمد هو ابن لعبون لقوله:

إلَى قَلْتْ هَاتِي حاجَةٍ لِي وَدَنْقَتْ

تَنثُر لَهَا ظِلِيلْ سَافٍ عَلىَ سافٍ

وعارضها في قصيدة أخرى (٣٢ بيتاً ص ٩١) مطلعها:

خليلّي عوجا لي على المنزل العافي

لعلي ارى التسليم مشف لي وشافي

دعوني أوادع باللوى لي منازل

حبيب عفت يا ليتني مثلها عافي

وفي هذه القصيدة يستشهد وبطرف خفي في ابن لعبون بقوله:

وعصر تقضى يوم ثوبي على الهوى

حواشيه ما احتاجت كما قيل للرافي

لقول ابن لعبون:

أجَاذِبْ رِدَاهَا يَومْ ثوبِي من الهَوى

جِديدٍ وَلا احْتَاجَتْ حواشِيهُ للرّافي

وعارضها الفرج (ديوانه ص ٩٤) في قصيدة ثالثة (عدد أبياتها ٣٢ بيتاً) يقول مطلعها:

الله لحد بيحت ما كان خافي

وأفضيت سد طالما عز ينشاف

مستحكم بالعون هذا الجوى في

الله يمد المبتلي منه بالطاف

تضمنت الكثير من معاني ابن لعبون ومفرداته.

قصيدة:

يَا رَكْبْ مـا سـرتوا بيُـوسِفْ لِيـعْـقـوبْ

قَـبْل الفَـجِـرْ ينبَـاج وَالْلِيلْ غِـرْبِيبْ

مِـقـدَارْ مـا يَفْـرَغْ مِنْ الكَاسْ مَـشْـرُوبْ

تَـرَيَّضُــوا يَـا رَكِبْ مَنْـتُمْ اجَــانِيبْ

عارض هذه القصيدة عدد من الشعراء منهم عبدالله الفرج ومحمد العبدالله القاضي، فقد عارض عبدالله الفرج (ديوانه ص١١) عارض هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٨ بيتاً ومطلعها:

بـالـلـه يـا ركـب تـعـنـى بمـكـتـــوب

حــاوي ســلام مــا حــوتـه المكاتيب

مــا افــتــر عــمــا جــانس الرد مــقلوب

الا وهـو يفــضـح عــقــود الرعــابيب

كما وعارض هذه القصيدة محمد العبدالله القاضي (الأزهار ص ٤٢) في قصيدة تتكون من ٤٥ بيتاً بعث بها إلى الأمير أحمد بن محمد السديري ومطلعها:

يـالـلـه قـــربـوا كـل مـنـجــوب

هـجن تفــوج افــجــوج نكد الدباديب

مع زمــرة الـويـلان عــامـين مــحـســوب

يـرعن زهر قــفــر حــمـى المغــاليب

قصيدة:

مــا طَرَقْ فــوقْ الْوَرَقْ يَـابِـنْ جلَـقْ

زُورْ كَـف فَــوقْ كَـف مــا يِلِيـق

كلمَــا هَبُّ الْـهــوا لِهْ واصْـطفَقْ

حَـمَّلهْ بِفْــرَاقــهُمْ مَــا لا يطيقْ

عارض هذه القصيدة عدد من فحول شعراء النبط وقد كانت معارضتهم محكمة لدرجة التبس أمر نسبة معارضاتها على بعض الدارسين إلى قائليها، ومن ذلك نسبة معارضة الطباطبائي إلى ابن لعبون مرة (الصفراني) ونسبتها إلى ابن مسلم (الظاهري) مرة أخرى، ومن هذه المعارضات نورد هذه الأمثلة:

عارض هذه القصيدة محمد بن عبدالله القاضي بقصيدة (٣٣ بيتاً - الأزهار ص٣٠) بقوله:

هبت ارياح الفـراق واللى برق

بارق من صوب ساعات المضيقْ

كلما غـرب دجى ليل غسق

كل هم جاه من فج عميق

وعارض القصيدة أيضاً إبراهيم بن محمد القاضي بقصيدة (الظاهري) مطلعها:

بادرن العوق والبوم اصطفق

في هوانا لين سوى له طريق

وعارضها الشريف ابن منصور بقصيدة (الظاهري) أخذ من ابن لعبون بعض معانيه ومفرداته ومن ذلك قوله:

لفتة الغزلان وبطون السلق

حملن القلب حمل ما يطيق

وعارض القصيدة أيضاً محمد بن مسلم بقصيدة (٤٣ بيتاً الحاتم ج٢ ص١١٠) بقصيدة مطلعها:

ما شدا البلبل بصوت او نغق

ازرق الطيجان بالدوح الوريق

او تقلقل صوت رعد او برق

بارق الا واشرقني في البريق

ويأتي ابن مسلم على ذكر ابن جلق في قصيدته بقوله:

او يـراكـم فـي مـنـامـكـم ابـن جـلـق

خـذ ثلاث سنين سكر مـا يفـيق

ويذكر ابن لعبون بقوله:

ليت ابن لعبـون منجـوب العـمق

شـايف ذيك الجـوازي يوم سـيق

كـان فـارقـه العـزا والا شـهق

شـهـقـة من حـرها يمشي شـريق

ولو يشـوف اخـدودهن وقت العـرق

كـان زهد الورد والراح العـتـيق

أما الشاعر عبدالمحسن الطباطبائي (الصفراني ج٤، ص ٣٢) فقد عارض هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٥ بيتاً ومطلعها:

يـا مـنـازل مـي فـي ذيـك الـبـلـق

عـافـيـات مـا بقي فـيـهـا صـديقْ

في سـراب لايح مـثـل البـهـق

طافـحـات دورها مـثـل الغـريقْ

نسب الصفراني هذه القصيدة إلى ابن لعبون وضمها الظاهري مع قصيدة ابن مسلم. وفي رواية «بودي» يا منازل هند بدلاً من منازل مي وهذا هو الأصح، ومما يؤكد أنها ليست من شعر ابن لعبون ما ذكره ناظمها الطباطبائي حول ابن لعبون وابن جلق بقوله:

لـو مـحـمـد مع نديمه بن جلق

صـابهم مـا صـابني صـاروا رقـيقْ

ليت هو من صـافح عـصـرهم واعـتنق

واحـتظى من كـيـفـهم بفك ريقْ

قصيدة:

أرى الدار مـــا توفي مـــواضي وعـــودها

ولا عـــادها اللّي كـــان فـــيـــهـــا يعـــودها

وأرى الدّار لي غــــدّارةٍ تمنـع الوفـــــا

غــرورٍ وتنقض مــامــضى من عــهــودها

عارض هذه القصيدة الشاعر عبدالله الفرج في رثاء إحدى قريباته (ديوانه ص٣٩) بقصيدة عدد أبياتها ٨٢ بيتاً ومطلعها:

ارى الدار مـــا توضي ليـــالي ســعــودها

وهل شـــابهـــا غـــيـــر اتلع الجـــيـــد رودها

تعـــفت وهي مـــا ناوحت صـــوب مـــزنه

ولا زلزلتــــهـــــا كـــالمدافع رعـــــودها

ورثى عبدالمحسن الطباطبائي (الرشيدية ج٢ ص ٢٥٠) الشاعر عبدالله الفرج بقصيدة تتكون من ٧٦ بيتاً ومطلعها:

سل الدار عن مـــا ســـال دارس عــقـــودها

لهـــا ضـــاع يا عـــثـــمـــان واسط عــقــودها

بقـــايا لهـــا رسم يضـــاهي بحـــيـــهـــا

مـــراجـــيع وشم في مـــعـــاصم عنودها

لم يكتف عبدالمحسن الطباطبائي بمعارضة قصيدة ابن لعبون بل استهلها بتضمين عجز من بيت من قصيدة ابن لعبون في قوله:

مـــضى ذا بمودة الشـــيـــخ نرسم ونرخ

سل الدار عن مـــا ســـال دارس عــقـــودها

وفي القصيدة إشارة خفية إلى ابن لعبون في البيت:

فـــلا جـــالت بســـاحـــاتهـــا الهند هندها

ولا ينجلي من قـــولتك كـــود كـــودها

لقول ابن لعبون:

الى أقبل سعدها قابله ضد ما بها

من السود أنحوس الليالي وكودها

قصيدة:

سقى صوب الحَيا مِزنٍ تِهَامَا

عَلَىَ قَبْرٍ بِتَلعاتْ الحَجَازي

يِعطْ بْهَا البَخْتْرىْ والخْزَامَى

وتَرْتَعْ فِيهْ طفَلاَتْ الجوازي

عارض هذه القصيدة عدد من الشعراء ومنهم الشاعر الكبير عبد المحسن الطباطبائي بقصيدة عدد أبياتها ٥٩ بيتاً ومطلعها:

سقا سحب الطها ديم الخزاما

ثمان مستهل الذيل يازي

ملث من مراويح الغماما

على شاطيه ينحاز انحيازي

وقد أورد الأديب عبداللطيف البابطين في مخطوطته وفي طبعتها الأولى هذه المعارضه منسوبة إلى ابن لعبون ، في حين إن الطباطبائي يذكر في هذه المعارضة الشاعر ابن لعبون بقوله:

دهاني ما دهى ذرب الكلاما

ابن لعبون من خطب المرازي

قصيدة:

لو باتمنّى قلتْ يَاليتْ منْ مَاتْ

حَيثْ الطَّرَبْ ووْصَال الأحبَابْ فَاتهْ

ويـقْلِـب الحــــزْن الطَّـويـل الذُّى فَـــاتْ
يـنْصـــاهْ فِـى قَلْـب الخلِـى واعِـــــداتـهْ

عـارض الشـاعـر عبـدالله الفرج (ديـوانه ص ٢٩) هذه القصـيدة بقصـيدة عدد أبياتها ٣٩ بيتاً ومطلعها:

مـــا بال منهــوم بالاحـــبـــاب مـــا بات
الا بليل النابغي في مـــبـــاتـــه
ومـــســهـد يشكي التـجـافي وليـعـات
مـــا زال مـــالوم الحـشـا في شكاتـــه

قصيدة:

عـــلامـــه مـــا ينابيني عـــلامـــه
ويخـــفي مـــا بقلبـــه من غـــرامـــه
ويخلف سنة العـــشـــاق عنهـــا
ومـــثله مـــا يغـــابي في كـــلامـــه

عـارض عبـدالله الفرج (ديـوانه ص ١٣٣) هذه القصـيدة بقصـيدة عدد أبياتها ٤٥ بيتاً ومطلعها:

على دار نعت فـــيـــهـــا الحـــمـــامـــه
وسلسل مـــدمـــعي خـــافي العـــلامَـــةْ
وقـــفت بحـــيـــهـــا واذكى غـــرامي
هـزار ناح في ذيك العـــــدامـــــةْ

قصيدة:

قـــــالـتْ فـــــريجَـــــةْ لِوَرْقٍ نَـاحْ
يَـــامَـــــــالْ ســـلاَّل الأرْواحِ
يَـــالْـوُرقْ عَـطْـنـى هَـواكْ وَشَـــــــاحْ
وَاعْطِيكْ طَوقِي ومِـــسْـــبَـــاحِي

عارضهما الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ٣٦) بقصيدة عدد أبياتها ١٥ بيتاً ومطلعها:

حـــي المــنـــازل وهـــن طـــلـــوح
حي الذي رســـمـــهـــا مـــاحي
حـــمـــام يا اللي لعى بصـــدوح
حـــاد على الدوح مـــا ياحي

ويأتي عبدالله الفرج على ذكر ابن لعبون من خلال استشهاده بحب ابن لعبون لابن ضاحي بقوله:

حـــبي لهـــا مـــا يريد شـــروح
حب بن حـــمـــد لاحـــمـــد الضـــاحي

قصيدة:

حَـــيٍّ المـــنــــازِلْ وهـــنّ طْـــلُـــولْ
تِحِـيَّــةَ الصَّــاحِبَ أصــحَـــيــبَـــهْ
وَقِـفْ علـيـــهِـنْ عَـــرض وَطُـول
وَقْـــفَـــةْ مـــحَـــمَّـــدْ عَلىَ الخـــيـــبـــهْ

عارض عبدالله الفرج (ديوانه ص ١١٤) هذه القصيدة بقصيدة تتكون من ١٢ بيتاً حوت الكثير من مفردات ومعاني ابن لعبون ومطلعها:

قـــال المـعـنـى يا مــــلا واطـولْ
لـيل الـعـنـا ومـــفـــارق الـغـــالي
مـــا أقـــوى على فـــرقـــا زريف الطولْ
الجـــــادل الـلـي هـو هـوى بـالـي

قصيدة:

يا عْـبَـيْـدْ منْ قَـصَّتْ يمِينهْ شـمـالِهْ
يِشُـوفْ فِـعلهْ ذَاكْ عَـدْلٍ ولـو مَـالْ

أحْسِبْ رِفِيقِي يسْتحِي مِنْ طلاَلهْ
وَاثْرَهْ إلىَ شَاف المْوالِيمْ خَيَّالْ

عارضها الشاعر محمد بن عبدالله القاضي (الأزهار ص ٩) بقصيدة عدد أبياتها ٤٨ بيتاً ومطلعها:

الصبر محمود العواقب افعالهْ
والعقل اشرف ما تحلت به الحالْ
والصمت به سر سعد من ينالهْ
والهذر به شر وشوم وغربالْ

كما واستعان عبدالله الفرج (ديوانه ص ١١٧) بمعنى بيت ابن لعبون في هجائه لمحمد بن فضل بقوله:

قصيت يا محمد يمينك بيسراك
وادعيت نفسك عرضة للغرابيل
ما جزت عمن هو بالآداب مولاك
عبدالله المنشي رياض التعاليل

ومثال آخر يأخذ محمد بن مسلم معنى بيت ومفرداته من شعر ابن لعبون ليصدر به قصيدة له بقوله:

حنا عصافير وابا زيد سدره
الى ضيم عصفور تلاجا بجنابه

وهذا مأخوذ من قول ابن لعبون:

جابر لكم سدره وانتم عصافير
لا ضيم مضيوم لجا في جواره

قصيدة:

حي المنازل وهن اصفوف
انحب عليهن واهلهنه

ومن ألطف معارضات الشعراء لشعر ابن لعبون ما نظمه عبدالله بن جابر حينما رأى فتاة في الرمضاء تمشي حافية القدمين في قصيدة مطلعها:

غنى القميري مرصوف

غاط على الشمس مكتنه

ويضمن في قصيدته أبياتاً كاملة من قصيدة ابن لعبون ومن ذلك قوله في البيت الثالث:

يا كيف ابا صف وهو موصوف

مهرة شريف ومعتنه

وفي البيت التاسع يضمن بيتاً آخر بقوله:

والجن وسطه تدق دفوف

والبوم يلعي عليهنه

المهملة:

قصيدة:

أحْمد الْمحمُودْ مَا دَمْعٍ هَمَلْ

أوْعَددْ مَا حَالْ وَادِلِهْ وسِالْ

أوْ عَددْ مَا وَرَدْ وُرَّادَ الدَّحَلْ

اوْ رِمِى دَلْوهْ ومَا صدَرْ ومالْ

تبع عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٣٥) الشاعر ابن لعبون في نظم المهملات فنظم ٣٤ بيتاً من المهمل ولكنه لم يتبع ابن لعبون في القافيتين بل عمد إلى المروبع ومطلعها:

احمد الله عد ما حاول وسام

واحد رام العلا دوم وسام

احمده واوحده دوم عدد

ما دعاه لحام اولاد وسام

كما وتبع ابن لعبون في نظم المهملات عدد من الشعراء مثل فهد بورسلي وعبدالله الدويش الذي يقول في مطلع مهملته:

حل ما حلل وكل ما هو حلال

لا رعا الله كل محروم وحدود

حرم المحروم لو طال السؤال

ما علاك اللوم والله الودود

المروبعات:

قصيدة:

مرْجَلْ غرَامكْ عنْد أهلْ مَي جَاشي

وَاغْضبتْ فِي قَولِي عَذولِي وجاشِي

لاَ تستسِبيسْ إنْ حَجّبُوهَا يَا عَوّادْ

إنْ كانْ جَاشِكْ بَالْهَوَى مِثلْ جَاشِي

جارى عبدالله الفرج الشاعر ابن لعبون في معظم فنونه وفي المروبعات نظم الفرج (ديوانه ص ٧٣) مروبعة عدد أبياتها ٣٠ بيتاً ومطلعها:

يا علي وان نابك من أمر النوى شي

عنّز على مولى السحاب النواشي

فان كان ما تقوى العزا عن ظبا الخال

بع بالهفا نفسك بسوق النواشي

وفي هذه المروبعة الكثير من معاني ابن لعبون ومفرداته وفيها أيضاً إشارة إلى حب ابن لعبون لقوله:

اهوى غزالٍ بحليّه ما أحسن

لا مي ابن مدلج ولا قوت محسن

آه على اللي ينعش الروح محسن

فيما مضى واليوم وين انتعاشي

ذات القوافي:

مـــــا لـــونّ ياقَـلْـبٍ دوىَ * بِــهْ جـــراحِ

بِـهُــدَاك لِي مَــا تَرْ عــوي * قَــولْ نـصاحْ

يَا قَلْب لـو هَــبَ الْــهَـــوَى * لِــكْ ونــاح

بَالكْ تجِـــيــــبـــةْ يَالغَـــوِي * ويْن مـا رَاحْ

تبع عبدالله الفرج (ديوانه ص ٣١) الشاعر ابن لعبون في نظم ذوات القوافي فنظم قصيدة تتكون من ٩ أبيات ومطلعها:

القــول قــاله مـحكم الجــيــفــان * بابيــات

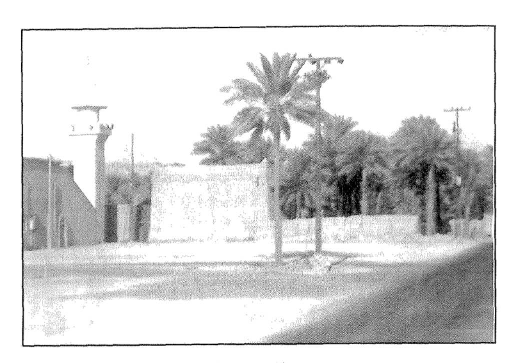
للـي غــرامـــه ينعش المحـــزون * كــالـقــوت

بيض يقــولن للفــتى الـولـهــان * من مــات

في حــبـــهن مــبـــهت ويكون * مــبـــهــوت

****

صور وأشكال
الباب الأول



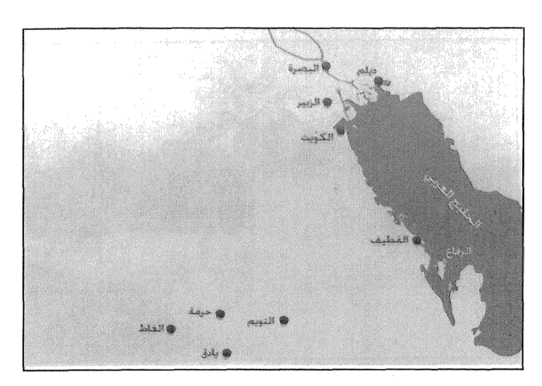
(الصورة ١)

صورة حلة الماجدية في بلدة ثادق حيث منزل الشيخ حمد بن لعبون وفي هذه البلدة كان مسقط رأس الشاعر ابن لعبون وفيها ترعرع.



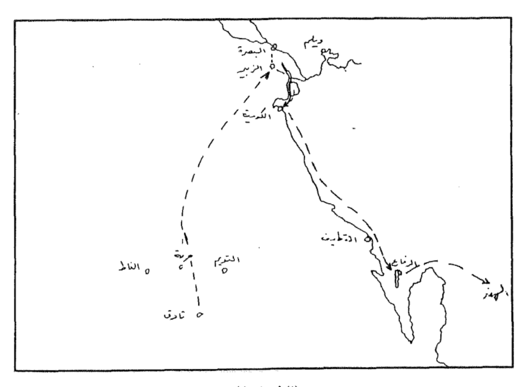
(الصورة ٢)

حلة المنيزلة في بلدة ثادق حيث أمضى ابن لعبون طفولته وفيها نبغت موهبته الشعرية.



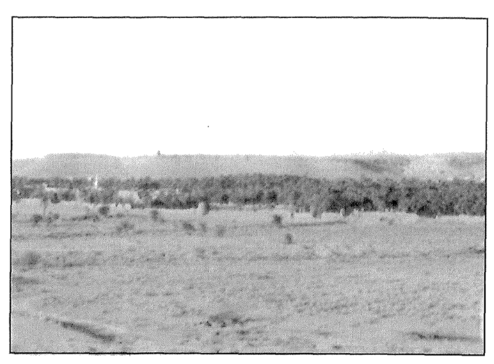
(الشكل ٣)

خريطة لبعض المواقع التي وردت في شعر ابن لعبون



(الشكل ٤)

خريطة تبين أهم البلدان التي سافر إليها ابن لعبون



(الصورة ٥)

جو ثادق الذي دعا له ابن لعبون بالمرنات غوادي ركومها.

١٢٤٦

وفي هذه السنة ليس فيها الا حوادث عادية . وفيها هرب مشاري بن عبد الرحمن من الرياض مغاضبا للامام تركي
وقصد منديل ابن غيثان رئيس الملاعبة من مطير وطلب منهم النصر فابوا عليه ورحلوا عنه وقصد عنيزة للغرض نفسه فرفضوا
مساعدته ثم سار الى الشريف محمد بن عون في مكة فاكرمه وطلب منه المساعدة فابى عليه واقام عنده الى سنة ١٢٤٨ حيث
رجع لينفذ جريمته كما سيأتي بيانه بموضعه

١٢٤٧

هذه السنة كسابقتها ليس فيها من الحوادث ما يوجب الذكر
وفيها توفي محمد بن حمد بن لعبون المدلجي الوائلي الشاعر المشهور توفي في بلد الكويت وكان اشهر شعراء المتأخرين (النبطي)
واكثرهم من الشعر الجيد المقبول ولا يزال يتمتع بقصب السبق الى الان

١٢٤٨

وفي هذه السنة توفي فيصل الدويش وتولى بعده رئاسة مطير ابنه محمد المكنى ابو عمر [illegible]
وفيها قبل مشاري بن عبد الرحمن من الحجاز وقصد المذنب القرية المعروفة في القصيم وطلب من رؤسائها ان يركبوا معه
الى الرياض ليسترضوا الامام تركي عليه فقصدوا الامام تركي وشفعوا فيه فرضي عنه واكرمه وانزله في بيت واجرى
عليه كفايته

١٢٤٩

وفي هذه السنة حصل خلاف بين اهل القطيف وبين اهل جزيرة العماير فتغلب اهل الجزيرة على اهل القطيف
وانضمت رئيس سيهات ابن عبد الرحيم مع امراء البحرين عدوان [illegible] ويساعدونه اذا [illegible] الامام تركي

(الشكل ٦)

صورة لما ذكره المؤرخ مقبل الذكير عن ابن لعبون



(الصورة ٧)

ساحل البحر أو السيف قريباً من نقعة البحر حيث دفن ابن لعبون.



الصورة ٨

مجلس الأمة الكويتي



(الصورة ٩)

بقايا المستشفى الأمريكي



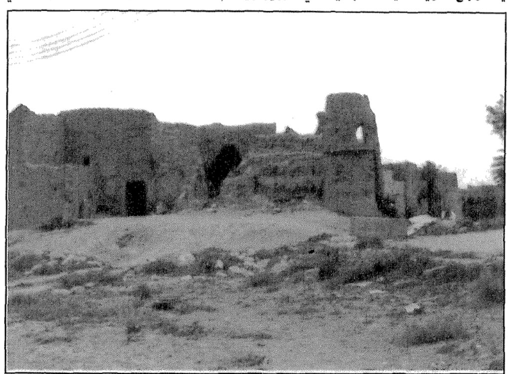
(الصورة ١٠)

ديوانية البدر غدت الآن متحفًا وقبل قرن وثلاثة أرباع القرن أمضى ابن لعبون فيها زمنًا بعد وصوله للكويت من الزبير



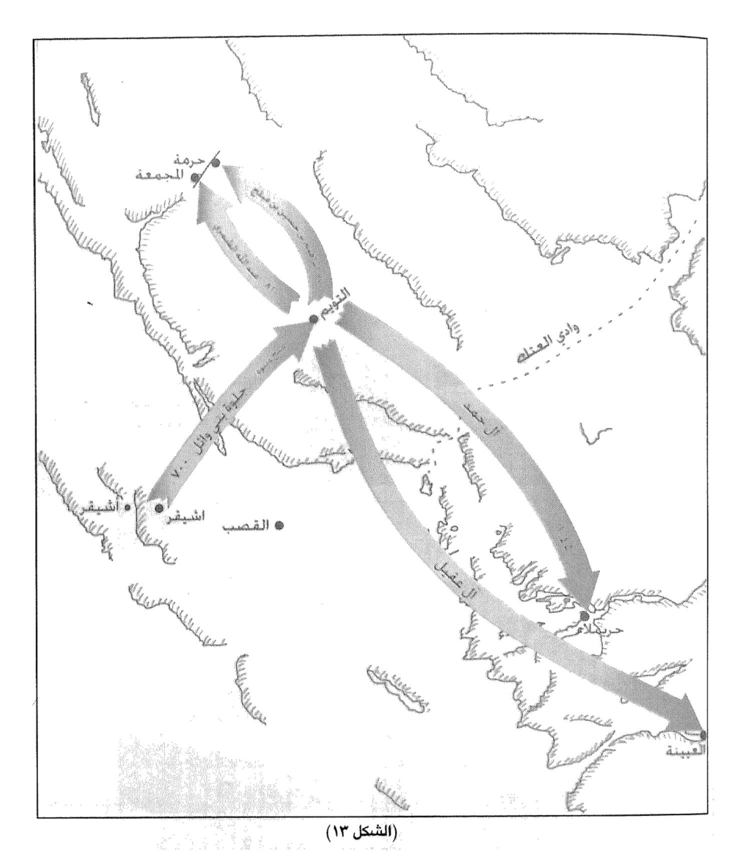
(الصورة ١١)

على هذه الدكات داخل ديوانية البدر وخارجها مقابل البحر جلس ابن لعبون يسترجع ذكريات أيامه الجميلة في الزبير وينظم القصائد متغنياً بها وبمحبوبته ميّ.



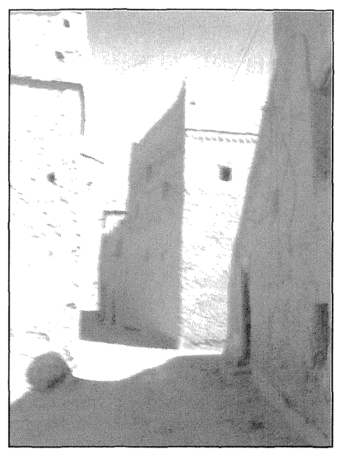
(الصورة ١٢)

بلدة أشيقر حيث كانت بلدة للوهبة وبني وائل يتقاسمون البلد ويتناوبون الخروج إلى القلاة، الى أن أغلق الوهبة بوابات البلدة في وجه بني وائل فغادروها قرابة مطلع القرن الثامن الهجري ليبنوا لهم مجداً في سدير



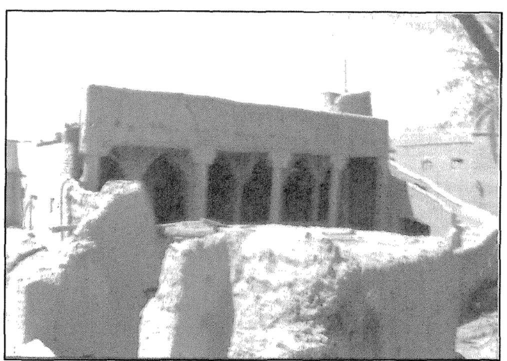
(الشكل ١٣)

خريطة تبين تفرق بني وائل بعد انتقالهم إلى بلد التويم عقب خروجهم من أُشيقر



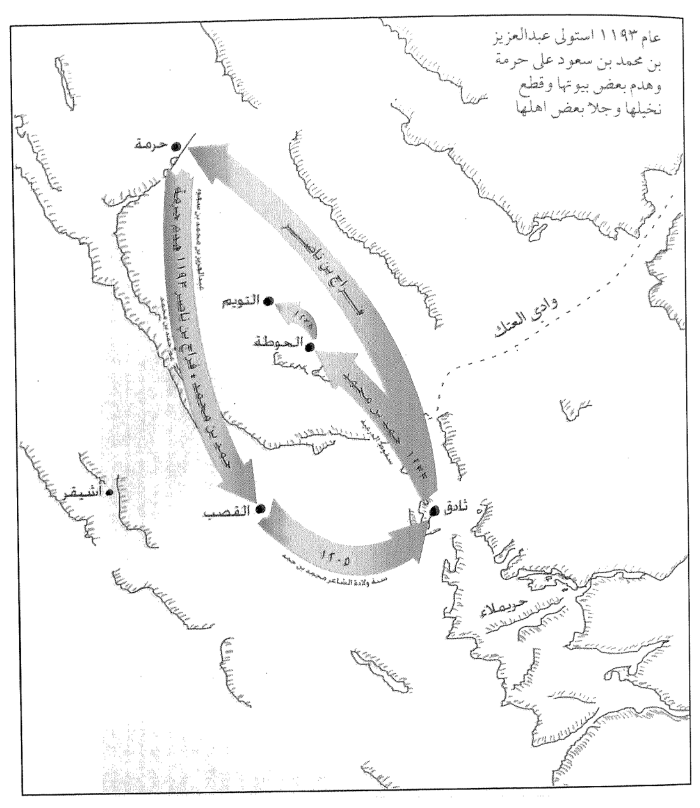
(الصورة ١٤)

بلدة حرمة التي أسسها الجد إبراهيم بن حسين بن مدلج عام ٧٧٠ هـ تقريبًا



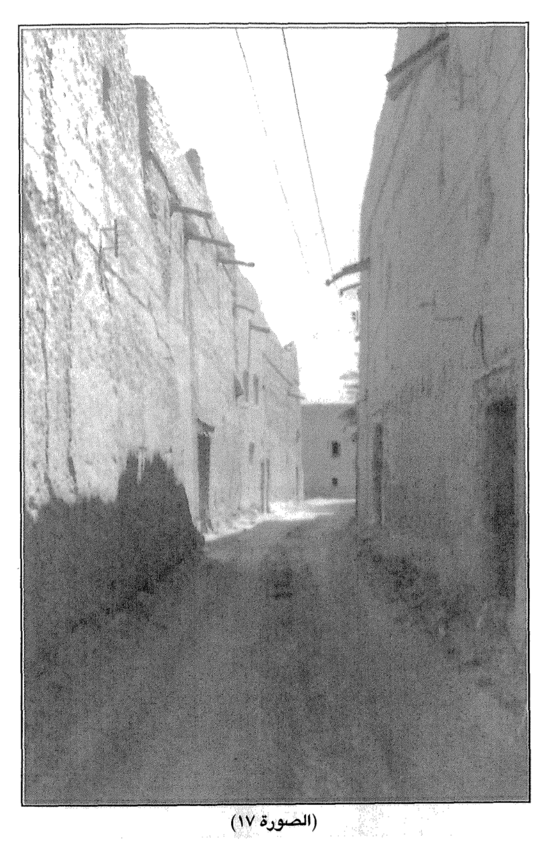
(الصورة ١٥)

بلدة حرمة التي عمَّرها الجد إبراهيم بن حسين بن مدلج عام ٧٧٠ هـ تقريبًا



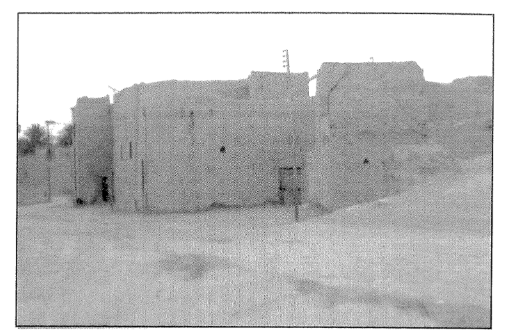
(الشكل ١٦)

خريطة تبين نزوح عائلة ابن لعبون بعد أحداث عام ١١٩٣هـ وتنقلها بين بلدان نجد قبل الاستقرار ببلد الجدود التويم



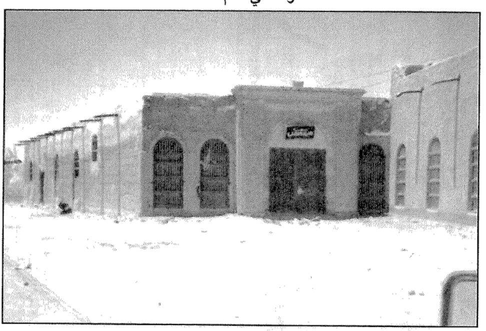
(الصورة ١٧)

بلدة حرمة بلد الآباء والأجداد كانت مهوى قلوب أفراد عائلة ابن لعبون بعد نزوحهم عنها بعد أحداث عام ١١٩٣هـ



(الصورة ١٨)

بلدة القصب المحطة الأولى في طريق نزوح عائلة ابن لعبون بعد خروجها من حَرْمَة في عام ١١٩٣هـ



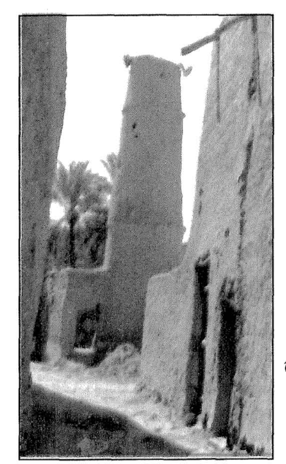
(الصورة ١٩)

سبق الشاب ابن لعبون عائلته في الهجرة من بلدة ثادق فقصد الزبير في عام ١٢٢٢هـ وهو ابن السابعة عشرة وأمضى فيها ريعان شبابه وتغنى بربوعها وأطلالها وأيام أحبته فيها. وهذه مدرسة النجاة الأهلية إحدى مناهل العلم في الزبير



(الصورة ٢٠)

بلدة حوطة سدير التي انتقلت إليها عائلة ابن لعبون في عام ١٢٣٣ وبعد خمس سنوات من الاستقرار في هذه البلدة تركتها العائله إلى بلد الجدود بلدة التويم



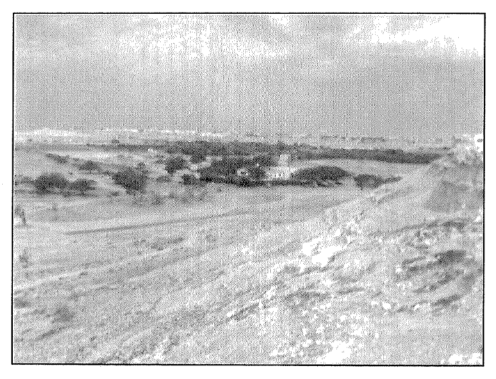
(الصورة ٢١)

بلدة التويم التي عمرها الجد الأكبر لآل مدلج كانت خاتمة النزوح والترحال واتخذها الشيخ حمد بن محمد بن لعبون سكنًا له ولعائلته وذلك في عام ١٢٣٨ بعد رحلة استغرقت حوالي نصف قرن



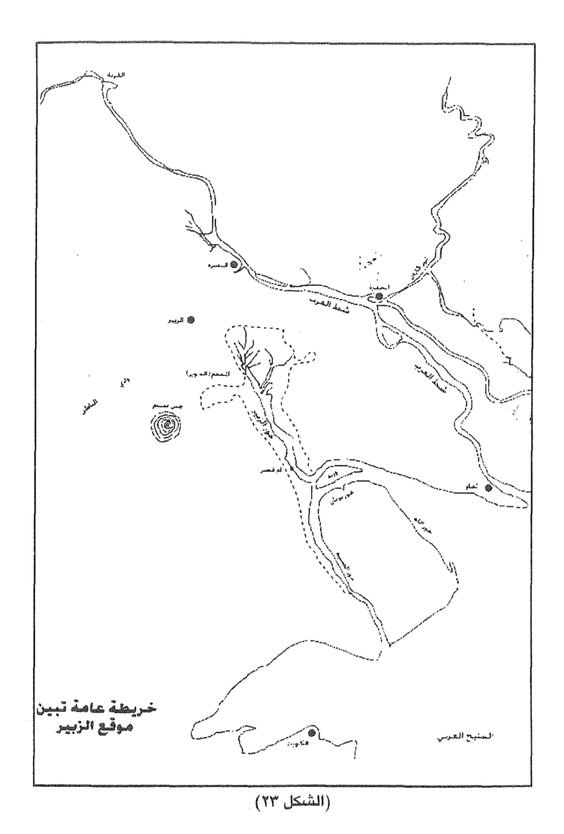
(الصورة ٢٢)

الزبير ثغر نجد وعلى أطراف جزيرة العرب وعند طرف الخليج وتخوم البادية ومشارف البصرة اختارها أهل نجد واتخذوا منها بلدًا ووجدوا فيها بديلاً لنجد فهي نجد الصغيرة



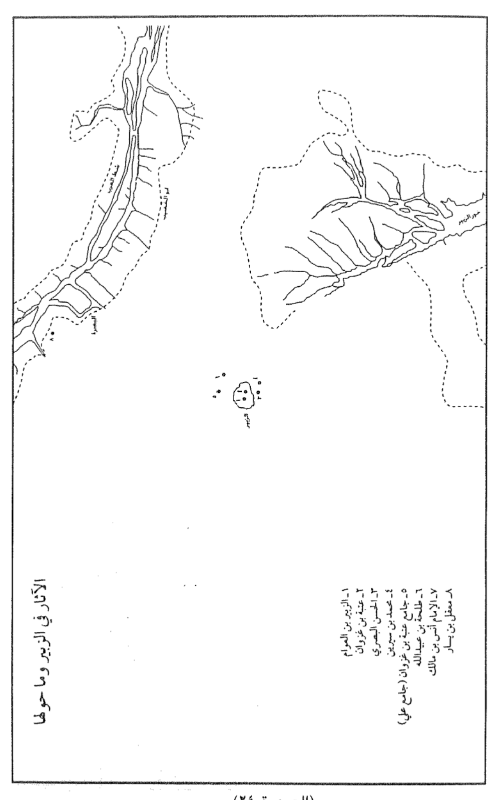
(الصورة ٢٥)

جال الرفاع بالبحرين والذي تغنى به ابن لعبون في قصيدته المشهورة «يا علي صيح بالصوت الرفيع» وما زالت هذه القصيدة تغنى.



(الشكل ٢٣)

الموقع الجغرافي للزبير على أطراف الجزيرة العرب وعند طرف الخليج العربي وبين الكويت والبصرة وبادية جنوبي العراق أضفى عليها أهمية استراتيجية

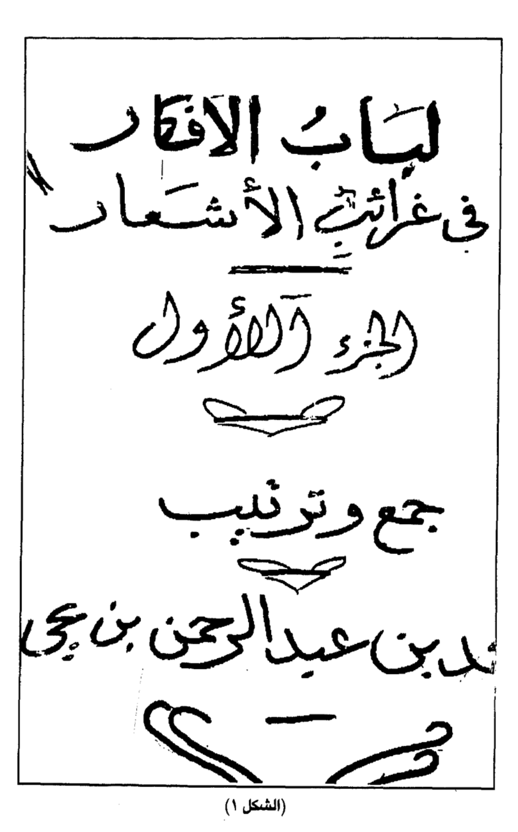


(الصورة ٢٤)

انتشار عدد من قبور بعض الصحابة والتابعين أضفى على الزبير صبغة دينية.

صور وأشكال

الباب الثاني



(الشكل ١)

صورة لغلاف مجلد «لباب الأفكار في غرائب الأشعار» لجامعه محمد بن عبدالرحمن بن يحيى رحمه الله.

منشورات مكتبة النهضة.

رياض – المملكة العربية السعودية

من الشعر النجدي

ديوان

ابراهيم ابن جعيثن

ومحمد العبدالله العوني

جمعه محمد العبد الرحمن اليحيى

رتبه وفسر بعض الفاظه

عبدالله بن خالد الحاتم

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة لهما

١٣٧٢ هـ و ١٩٥٣ م

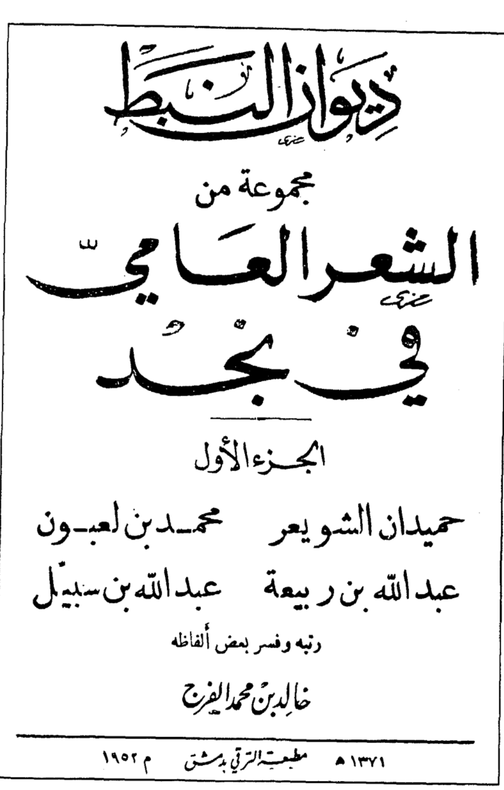
دمشق : المطبعة العمومية

(الشكل ٢)

صورة غلاف ديوان إبراهيم بن جعيثن ومحمد العبدالله العوني لجامعه محمد العبدالرحمن اليحيى ومرتبه ومفسر بعض الفاظه عبدالله بن خالد الحاتم.

(الشكل ٣)

نموذج لشعر ابن لعبون من مخطوط سليمان الدخيل رحمه الله.


ديوان النبط

مجموعة من

الشعر العامّي

في نجد

الجزء الأول

حميدان الشويعر محمد بن لعبون

عبد الله بن ربيعة عبد الله بن سبيّل

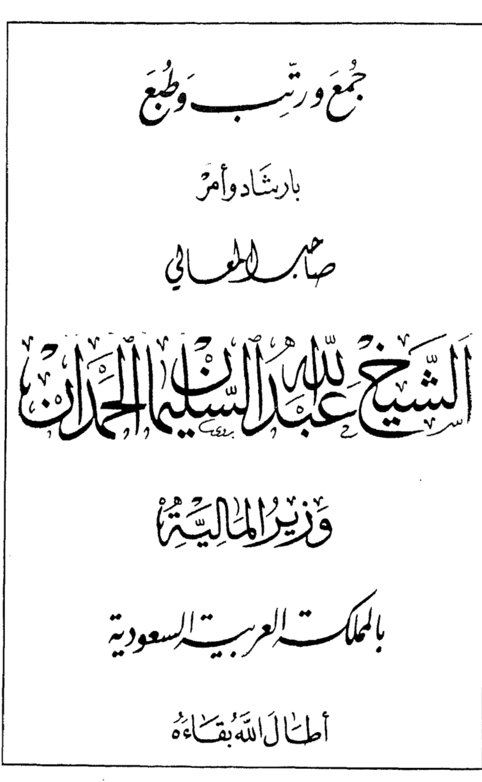
رتبه وفسر بعض ألفاظه

خالد بن محمد الفرج

١٣٧١ هـ مطبعة الترقي بدمشق ١٩٥٢ م

(الشكل ٤)

صورة غلاف الجزء الأول من مجلد «ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد» لمرتبه ومفسر الفاظه خالد بن محمد الفرج.



(الشكل ٥)

صورة تنويه جامع ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد بإرشاد وأمر الوزير عبدالله بن سليمان بجمع وترتيب وطبع الديوان.

خيار ما يلتقط من الشعر النبط

الجزء الاول

لجامعه وملتقطه

عبدالله بن خالد الحاتم

● الطبعة الثانية ●

١٣٨٧ هـ — ١٩٦٨ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

دمشق ـ المطبعة العمومية

(الشكل ٦)

صورة غلاف الجزء الأول من مجلد «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» لجامعه وملتقطه عبدالله بن خالد الحاتم.

ديوان

النبط الحديث

للشاعر الشعبي الأديب

سعد بن حمد بن حريول

من قبيلة سبيع

الرياض - المملكة العربية السعودية

محمد بن علي بن سرحان

المقدمة بقلم
صالح بن حيدر

الشرح بقلم
زُيد بن عبد العزيز بن فياض

(الشكل ٧)

صورة غلاف ديوان سعد بن حمد بن حريول بشرح زيد بن فياض.

منقول

محمد بن حمد بن لعبون

يا منازل مي في ذيك الحزوم	قبلة الفيحا وشرقي عن سنام
عن سرابٍ في جوانبها يحوم	طامحات مثل خبز في يدام
يستبين بها الخبير بها رسوم	دارساة كنهن دق الوشام
ما بكت فيها من الفرقا اغموم	من نظير العين الا عن غرام
من هموم في قلوب في جسوم	في بيوت في الكوير في ظلام
عوضت عنها الضغاين بالهزوم	وا تجاوب البوم عن سجع الحمام
غيرت فيها القفار نغير النجوم	وتبدلت فيها بعين لن تنام
دار مي يوم مي الحي تقوم	قومة المأموم من خلف الامام
في عمر دونك مبانيها هدوم	من مراويح الهبايب والغمام
كل عيش غير عيشك ما يدوم	يوم وصلك بالكرايم والكرام
اسال الاطلال عنهم يا غلوم	يخبرونك وابينين يا غلام
كيف ابا اسلى من تحت ذيك الهدوم	صامتين ما يردون الكلام
يوم مي تحسب الدنيا تدوم	وان عجات الصبا دوم دوام
في نعيم تحسبه لزم لزوم	مثل منزلنا على ديم الخزام
يوم مي تورتك خد به وشوم	يفضح البارق في جنح الظلام
كنه القنديل بالزيت المخدوم	شبته دايا ترا عند المنام
غانيات غانجات لو تروم	كنهن في كنهن بيض النعام
فالهوادي من هواهن المحروم	غير وصلي لا حلال ولا حرام

يا سنيت

(الشكل ٨)

نموذج لشعر ابن لعبون بخط حمد بودي رحمه الله.

قالت آفريحه وثعي من يوم ... يلدا لها الفن وتشيله
همام ياللي يدير الحوم ... من فوق بنوب ظليله
علام تطرب بنوحك دوم ... ونقول واجب قلبي له
قصيدة قافها معلوم ... بالله يالورق من هي له
يالورق مالك بطرق اللوم ... تجلي بذا الفن وتشيله
أن جا ان صيدك تريد النوم ... ما فيه يالورق من حيله
ما شفت آنا آمس تشوف اليوم ... والله يعينك على الليله
وتذوق ما ذقت بالميشوم ... يا لوّاق خلي وفقدي له
مشفاع دمعي عليه آركوم ... مثل الدوالي هماليله
يغشان دونه لمبع انجوم ... برّاق ناصيه وآكليله
يا راعي العشق يا محجوم ... مثلي الى فات عزّي له
دلاله آرخص عليه السوم ... من عقب ما هوب مغلي له
القول والحيل هو والشوم ... يعداج واللوم ياهيله
من عقب شيخ العرب والروم ... مغني المفاليس من نيله
زبن المجلى محجا المضيوم ... يوم المداريع تثلي له
جم خادم له وهو مخدوم ... يبري الضعيف ويثلي له
وانتي علا هودج مزموم ... ومن الغوا له جهاجيله
واليوم صارت خيال احلوم ... والعز طفيت قناديله
عقب الفهد تاخذ القيوم ... يجيب جيله آمنديله
ماذا ابحق ولا معلوم ... عقب المناعير تمضي له
والمال عند العجم مركوم ... مار الضيغا ما أبوالي له

(الشكل ٩)

نموذج لشعر ابن لعبون بخط عبداللطيف بن سعود البابطين سلّمه الله.

محمد بن حمد لعبون

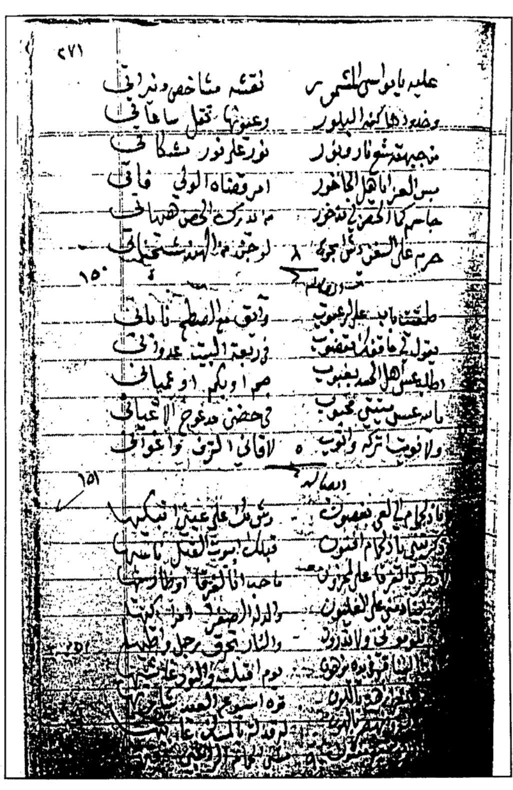
١	ما طرق فوق الورق يا بنا جلق	٢٠	يا علي صيح بالصوت الرفيع
٢	هل الدار يا عواد [illegible]	٢١	قال الذي [illegible]
٣	[illegible]	٢٢	قال الذي [illegible]
٤	[illegible]	٢٣	الا يا برق [illegible]
٥	[illegible]	٢٤	[illegible]
٦	[illegible]	٢٥	[illegible]
٧	[illegible]	٢٦	[illegible]
٨	[illegible]	٢٧	[illegible]
٩	[illegible]	٢٨	[illegible]
١٠	كل شي [illegible]	٢٩	حي المنازل بين [illegible]
١١	[illegible]	٣٠	حي المنازل [illegible]
١٢	يا منازل [illegible]	٣١	حي المنازل [illegible]
١٣	يا منازل [illegible]	٣٢	حي المنازل [illegible]
١٤	[illegible]	٣٣	حي المنازل [illegible]
١٥	حي المنازل [illegible]	٣٤	حي المنازل [illegible]
١٦	حي المنازل [illegible]	٣٥	حي المنازل [illegible]
١٧	قالت اذكر [illegible]	٣٦	حي المنازل [illegible]
١٨	قالت اذكر [illegible]	٣٧	[illegible]
١٩	قالت اذكر [illegible]	٣٨	حي المنازل [illegible]

(الشكل ١٠)

من فهرس مجموعة حمد بودي بخطه رحمه الله

(الشكل ١١)

نموذج لشعر ابن لعبون بخط عبدالله بن محمد الفاخري سلمه الله.



(الشكل ١٢)

نموذج لشعر ابن لعبون من مجموعة عبدالرحمن بن إبراهيم الربيعي رحمه الله

١٧٠

قالت العذال يرجون الجواب . يا هبيل الراي ذا عار وعيب

عذبوني بدهرتهم والكذاب . مثلهم لا المثل حلو كالطيب

كل ما رنيت ذهن القلب ذاب . يا ملا ربيت من معنك القريب

لربي تذله عسى يعطا الكتاب . في شماله من يمينه يا المجيب

قلت انا ارحياة سواق السحاب . ما اجيب لعنيكم لو هو حبيب

(الشكل ١٣)

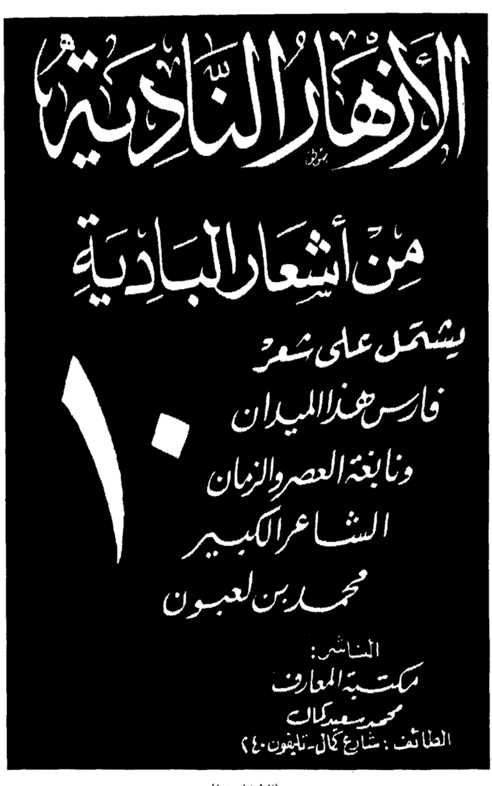
شعر ابن لعبون بخط الأديب أنستاس الكرملي

يا هلا امبرات عن دار التلاف
من ديار كلما منها تنهاف
له جبة ناعقب اهل مجي نساف
عقب زالت الزوالي والحاف
شف منازل مي في ذيك الهضاف

من عفا الله عنه يردف لدريف
يا ركب وبلا امن سبق لسيف
بطنه عوت الماي بالماي الفنيف
النمد والجوخ سفو لي بسنيف
يا حرائش ان كان لحتاج نمريف

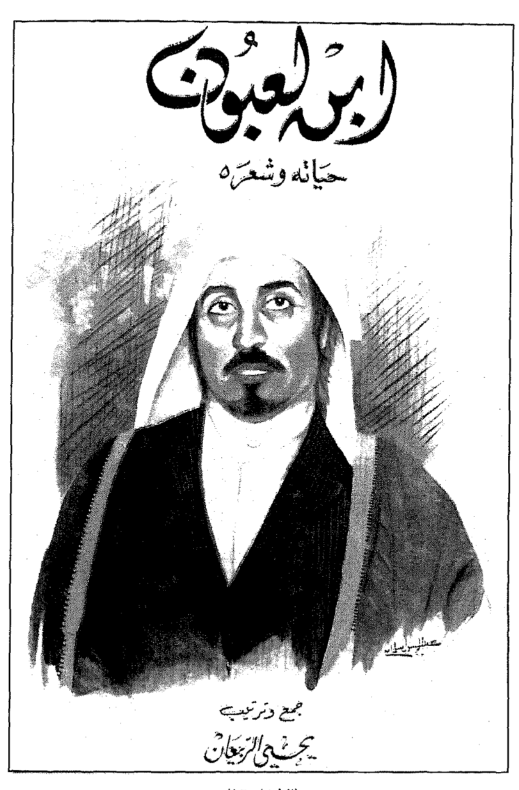
(الشكل ١٤)

نموذج شعر ابن لعبون الذي حصل عليه المستشرقان سوسن وهوبر .



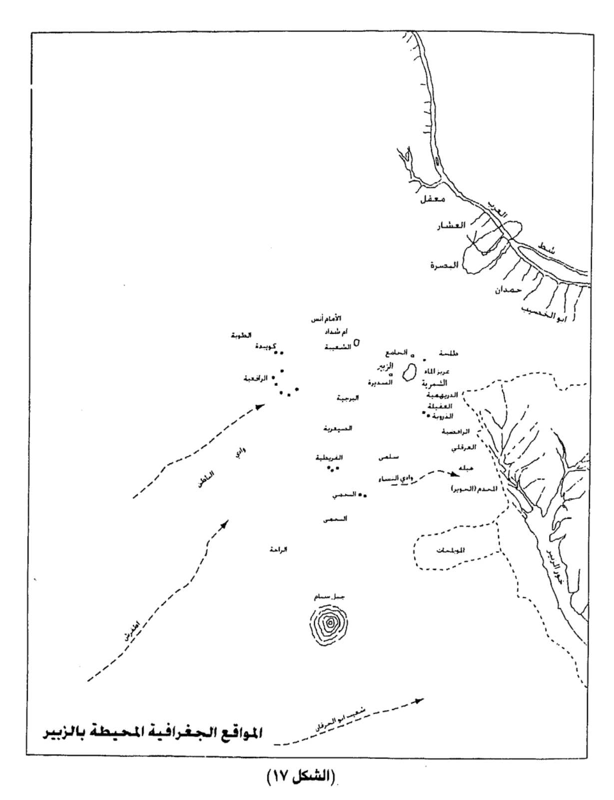
(الشكل ١٥)

صورة غلاف الجزء العاشر من مجموعة «الأزهار النادية من أشعار البادية» التي نشرتها مكتبة المعارف لصاحبها محمد سعيد كمال بالطائف.



(الشكل ١٦)

صورة غلاف كتاب «ابن لعبون حياته وشعره» جمع وترتيب يحيى الربيعان.



(الشكل ١٧)

خريطة تبين أهم المواقع المحيطة بالزبير والتي ذكر ابن لعبون بعضها في قصائدة التي تغنى بها.

مصادر
الكتاب

مصادر الكتاب

المراجع العربية:

المخطوطات:

١ - سليمان السكيت/ بدون اسم، سليمان الحديثي، الرياض.

٢ - سليمان بن صالح الدخيل/البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم، بغداد.

٣ - عبدالرحمن بن إبراهيم الربيعي/ البحر الزاخر من شعر الأوائل والأواخر، مجموعة مركز ابن صالح الثقافي بعنيزة، القصيم.

٤ - عبدالرحمن بن محمد بن يحيى/ لباب الأفكار في غرائب الأشعار، مجموعة عبدالله بن خميس وسليمان الحديثي، الرياض.

٥ - عبداللطيف بن سعود البابطين/ طرائف الكلام من شعر العوام، الزبير ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

٦ - عبدالله بن محمد الفاخري/مجموعة الفاخري، الرياض.

٧ - فهد بن خالد بن عيسى الصويغ/ بدون اسم، أحمد بن فهد العريفي، حائل.

٨ - محمد بن حمد بودي/ مجموعة بودي، عبدالله بن محمد الفاخري، الكويت.

٩ - مقبل الذكير/ العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية، بغداد.

متفرقات:

١ - مجموعة المستشرق البرت سوسن، هولندا.

٢ - مجموعة المستشرق تشارلز هوبر، فرنسا.

٣ - مجموعة أنستاس الكرملي، بغداد.

مقابلات شخصية لرواة وجمّاع وحفّاظ:

١ - إبراهيم اليوسف، الرياض.

٢ - أحمد الجارالله، الكويت.

٣ - حصة بنت عبدالعزيز اللعبون، الزبير - الرياض.

٤ - خالد سعود الزيد، الكويت.

٥ - رضيمان بن حسين الشمري، الرياض.

٦ - عبدالرزاق العدساني، الكويت.

٧ - عبدالعزيز بن سعود البابطين، الكويت.

٨ - عبداللطيف بن سعود البابطين، الزبير - الرياض.

٩ - عبدالله بن عبدالمحسن الجماز، الرياض.

١٠ - عبدالله بن محمد الفاخري، الرياض.

١١ - عبدالله بن محمد بن خميس، الرياض.

١٢ - مبارك بن عمرو العماري، البحرين.

١٣ - محمد الغنام، ثادق.

١٤ - محمد بن علي الشرهان، الرياض.

١٥ - منصور الخرقاوي، الكويت.

١٦ - ناصر بن حمد اللعبون، سدير.

١٧ - هيا بنت عبدالله بن حمد بن لعبون، الرياض.

١٨ - يوسف بن حمد البسام، الدمام.

مطبوعات:

١ - إبراهيم بن صالح بن عيسى/ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٦م.

٢ - أبوالبقاء العكبري/ ديوان أبي الطيب المتنبي، بيروت: دار المعرفة.

٣ - أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري، ابن لعبون في الزبير، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠٦٠ تاريخ ١٤١٨/٣/١٥هـ - ١٩٩٧/٧/١٩م. الرياض.

٤ - أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري، ابن لعبون في الزبير، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠٦٧ تاريخ ١٤١٨/٣/٢٢هـ - ١٩٩٧/٧/٢٦م. الرياض.

٥ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ ابن لعبون عنزي وليس دوسريًا، صحيفة الجزيرة، ١٤١٦/٧/٤ هـ.

٦ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ ابن لعبون والبكاء العاطفي، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠٢٥ في ١٤١٨/٢/٩هـ.

٧ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ ابن لعبون وذات القناع، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٩٩٧ في ١٤١٨/١/١١هـ.

٨ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ ابن لعبون ومي والغزل المبكر، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠١٨ في ١٤١٨/٢/٢هـ.

٩ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ إخراج ابن لعبون من الركام، صحيفة الجزيرة، ١٤١٦/٣/٣٠هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٢٦م.

١٠ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ البائية وقيمتها الدلالية، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٤٠٩ بتاريخ ١٤١٦/٥/١٣ هـ. ١٩٩٥/١٠/٧م.

١١ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ أوزان ابن لعبون وألحانه، صحيفة الجزيرة، ١٩٩٥/٩/١٦م.

١٢ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ قصيدة ابن لعبون على قافيتي الباء من المسحوب .. وقيمتها الدلالية، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٤٠٢ ١٤١٦/٥/٦هـ.

١٣ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ لماذا خرج ابن لعبون من الزبير؟ ومتى خرج، صحيفة الجزيرة، ١٩٩٥/٩/٩م.

١٤ - أبو زكريا يحيى بن علي الكريزي/ شرح القصائد العشر، بيروت: دار الجيل.

١٥ - أحمد المحيطيب/ الفنون الشعبية في المنطقة الشرقية، مجلة القافلة، الظهران.

١٦ - أحمد بن فهد العلي العريفي/ معجم الشعراء الشعبيين، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

١٧ - أحمد شمس الدين، (تحقيق)/ سقط الزند - أبو العلاء المعري، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١٠هـ /١٩٩٠م الطبعة الأولى.

١٨ - إيليا الحاوي/ الشعر العربي المعاصر، بدر شاكر السياب، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٣م.

١٩ - بادي فيحان المصري/ حول جريسي اليماني وعلاقة ابن لعبون بالدواسر - تعقيباً على مقال ابن عقيل، صحيفة الجزيرة، ١٤١٦/٥/٩هـ.

٢٠ - تاريخ حمد بن محمد بن لعبون الوائلي الحنبلي النجدي/ مطبعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ.

٢١ - حسن سعيد الكرمي/ قول على قول، الأجزاء ١، ٢، ٣. بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

٢٢ - حسين بن غنام/ تاريخ نجد، تحقيق ناصر الدين الأسد، الجزء الأول، مطابع الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٣ - حسين سرحان/ اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون، مجلة العرب، جزء ٩، س٢، ربيع الأول ١٣٨٨هـ، حزيران (يونيو) ١٩٦٨م.

٢٤ - حسين سرحان/ اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون، مجلة العرب، ج٩، السنة الثانية، ربيع الأول ١٣٨٨هـ - الموافق حزيران ١٩٦٨م.

٢٥ - حمد الجاسر (تحقيق)/ بنو وائل ونسب آل مدلج- حمد بن محمد بن لعبون، مجلة العرب جزء ٧ و٨ س ١٦، محرم وصفر ١٤٠٢هـ /نوفمبر و ديسمبر ١٩٨١م.

٢٦ - حمد الجاسر/ ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد، القسم الأول، صحيفة البلاد السعودية العدد ١٢٠١ تاريخ ٢١/١٠/١٣٧١هـ.

٢٧ - حمد الجاسر/ ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد، القسم الثاني، صحيفة البلاد السعودية العدد ١٢٠٢ تاريخ ٢٢/١٠/١٣٧١هـ.

٢٨ - حمد بن محمد بن لعبون/ تاريخ ابن لعبون، الطائف: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ.

٢٩ - خالد سعود الزيد/ خالد الفرج: حياته وآثاره، مقالة «ابن لعبون متنبي النبط» ص١٨٣، ط٢ الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٠م.

٣٠ - خالد محمد الفرج/ ابن لعبون متنبي النبط، الكويت: مجلة البيان، العدد السابع، أكتوبر ١٩٦٦.

٣١ - خالد محمد الفرج/ ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد، الجزء الأول، القاهرة: المطبعة العربية.

٣٢ - خالد محمد الفرج/ ديوان عبدالله الفرج في شعره العامي النبطي، الطبعة الثانية، دمشق، ١٣٧٣هـ (طبعة ذات السلاسل - الكويت).

٣٣ - خليف بن سعد الخليف/جواهر الشعر الشعبي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٤ - خير الدين الزركلي/ الأعلام: قاموس تراجم، الجزء السادس، ط ٢.

٣٥ - ديوان السيد عبدالجليل الطباطبائي، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٥هـ، القاهرة.

٣٦ - ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني وقصائد أخرى نبطية، دار الكتب المصرية، الطبعة الرابعة ١٣٨٤هـ.

٣٧ - ديوانية شعراء النبط/من شعر النبط لمجموعة من الشعراء، الجزء الأول، الكويت.

٣٨ - سعد بن راشد الشليل/ من قصائد المرثيات في الشعر النبطي من الشعراء والشاعرات، الجزء الأول، الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٣٩ - سعد بن عبدالله الصويان/أدب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقين، ١-٤ حلقات ، صحيفة الحياة، العدد ١٢٢٧٢ الى ١٢٢٧٥ في ١/١٠/١٩٩٦م إلى ٤/١٠/١٩٩٦م.

٤٠ - شفيق الكمالي/الشعر عند البدو، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٤١ - صادق محمد أحمد بخيت/ الأنباط والشعر النبطي في مدخل تاريخي موجز، الكويت: مطابع الهدف.

٤٢ - طلال بن عثمان المزعل السعيد/ الشعر النبطي: أصوله، فنونه، تطوره، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨١م.

٤٣ - عبد الله بن ناصر بن إبراهيم الزير/ جواهر الكلام من شعراء الزبير الكرام، مطبعة دار المجد، دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤٤ - عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي/ مقدمة ابن خلدون، دار العودة، بيروت.

٤٥ - عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز عمر العلي/ إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ - ١٤٠٠هـ، الجزء الأول، الكويت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٤٦ - عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز عمر العلي/ إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ - ١٤٠٠هـ، الجزء الرابع، الكويت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٧ - عبدالعزيز بن سعود الغزي/ الشعر فصيحه وشعبيه موهبة، جريدة الرياض، العدد ١٠٤٧١ في ١٦/١٠/١٤١٧هـ الموافق ٢٣/٢/١٩٩٧م.

٤٨ - عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ ابن لعبون .. الوجه الآخر .. صراعه مع ابن زهير، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ٨٤٠٧ في ١١/٥/ ١٤١٦هـ الموافق ٥/١٠/١٩٩٥م.

٤٩ - عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ ابن لعبون .. وائلي عنزي، مجلة الحرس الوطني، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٥م.

٥٠ – عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ ابن لعبون جسر النبط إلى الفصحى، المجلة العربية، ص ٤٠، العدد ٢٢٥، شوال ١٤١٦هـ الموافق مارس ١٩٩٦م.

٥١ – عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ أنساب القبائل ليست مجالاً لمحاورات فكرية يا دكتور، مجلة الحرس الوطني، ربيع الآخر ١٤١٧هـ الموافق أغسطس – سبتمبر ١٩٩٦م.

٥٢ – عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ شعر النبط في جزيرة العرب انتشاره وتطوره، ج ١ صحيفة المدينة، العدد ١٢٢٩٧ في ١٩ رجب ١٤١٧هـ الموافق ١٠ ديسمبر ١٩٩٦م.

٥٣ – عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ شعر النبط في جزيرة العرب انتشاره وتطوره، صحيفة المدينة، ج٢، العدد ١٢٢٩٨ في ٢٠ رجب ١٤١٧هـ الموافق ١١ ديسمبر ١٩٩٦م.

٥٤ – عبدالكريم بن حمد الحقيل/ منهل المستفيد من الشعر المفيد، الرياض: مطابع الفرزدق،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥٥ – عبداللطيف سعود البابطين، تحقيق عبدالله بن خميس/ من عيون الشعر الشعبي أو طرائف الكلام من شعر العوام ، مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٦ – عبداللطيف سعود البابطين، ترتيب وشرح د. مرسل فالح العجمي/ من روائع الشعر النبطي أو طرائف الكلام من شعر الأعلام، مطابع الخط، الكويت، ١٩٩٤م.

٥٧ – عبدالله العلي الزامل/ أضواء على الأدب الشعبي: مقارنة الشعر العربي الفصيح والشعر النبطي المليح، الجزء الأول، جدة، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر.

٥٨ - عبدالله العلي الزامل/ من الأدب الشعبي، الرياض: الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة، ١٣٩٨ هـ.

٥٩ - عبدالله بن خميس/ الأدب الشعبي في جزيرة العرب ، الرياض: مطابع الرياض، ١٣٧٨هـ.

٦٠ - عبدالله بن عبدالرحمن البسام/ علماء نجد خلال ستة قرون، الجزء الأول، مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ١٣٨٩هـ.

٦١ - عبدالله بن عبدالكريم المعجل/ حوطة سدير (سلسلة هذه بلادنا)، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م، الرياض.

٦٢ - عبدالله بن محمد بن خميس/ الأدب الشعبي في جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.

٦٣ - عبدالله بن محمد بن خميس/ رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصله الفصيح. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٦٤ - عبدالله خالد الحاتم/ أمير شعراء النبط: محمد بن لعبون، الكويت: مجلة البيـان، العدد الأول، أبريل ١٩٦٦.

٦٥ - عبدالله خالد الحاتم/ أمير شعراء النبط: محمد بن لعبون، الكويت: مجلة البيـان، العدد الثاني، مايو ١٩٦٦.

٦٦ - عبدالله خالد الحاتم/ خيار ما يلتقط من شعر النبط، جـ١، ط٢، دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٦٨م.

٦٧ - عبدالله سعود الصقري/ من نوادر الأشعار.

٦٨ – عبدالله عبدالعزيز الدويش/ الفن والسامري، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م الكويت.

٦٩ – عبدالله عبدالعزيز الدويش/ الفنون الشعبية: الفريسني، العرضة، الحداء، الهجيني، مطابع القبس التجارية، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م الكويت.

٧٠ – عبدالله عبدالعزيز الدويش/ ديوان الشاعر حمد عبداللطيف المغلوث، ذات السلاسل، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م الكويت.

٧١ – عبدالله عبدالعزيز الدويش/ مختارات من أعلام شعراء النبط، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م الكويت.

٧٢ – عبدالمحسن بن عثمان أبابطين/ المجموعة البهية من الأشعار النبطية، ط ٣، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٧٣ – عثمان بن عبدالله بن بشر/ عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧٤ – علي الحمد الصفراني/ من البادية، الجزء الحادي عشر.

٧٥ – علي الحمد الصفراني/ من البادية، الجزء الرابع، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، القاهرة.

٧٦ – عمر أبي النصر (تحقيق)/ اللزوميات : لزوم ما لا يلزم - أبو العلاء المعري، بيروت : دار الجيل، ١٩٦٩م.

٧٧ – عيسى بن سلمان الخليفة/ روضة الشعر: الشعر النبطي، القسم الأول، وزارة الإعلام، المنامة، البحرين، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٧٨ – عيسى بن سلمان الخليفة/ روضة الشعر: منتخبات من الشعر النبطي والعربي، الطبعة الثانية، طبع على نفقة الشيخ سلمان بن حمد الخليفة حاكم البحرين، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٧٩ - غسان حسن أحمد الحسن/ الشعر النبطي النشأة والبداية، مجلة المنهل، العدد ٥١٣، المجلد ٥٥، رمضان، ١٤١٤هـ/ فبراير- مارس ١٩٩٤م.

٨٠ - غسان حسن أحمد الحسن/ الشعر النبطي خصائصه ومصطلحاته، مجلة المنهل، العدد ٥١٥، المجلد ٥٥، شوال - ذو القعدة ١٤١٤هـ/ أبريل - مايو ١٩٩٤م.

٨١ - غسان حسن أحمد الحسن/ الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية، مؤسسة الثقافة والفنون، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

٨٢ - غسان حسن أحمد الحسن/ الشعر النبطي، مجلة المنهل، العدد ٥١٤ المجلد ٥٥، ذو الحجة ١٤١٤هـ/ مايو ١٩٩٤م.

٨٣ - فاروق شوشة/ أحلى ٢٠ قصيدة حب في الشعر العربي، مكتبة مدبولي. القاهرة ١٤٠٦هـ./١٩٨٦م.

٨٤ - فايز موسى الحربي/ أشعار قديمة تنشر لأول مرة مع تنبيهات هامة لبعض الأخطاء التاريخية في كتب الأدب الشعبي، الجزء الأول، الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨٥ - فضل بن عمار العماري/ ابن لعبون .. دوسري، مجلة الحرس الوطني، العدد ١٥٦، ربيع الأول ١٤١٦هـ الموافق أغسطس ١٩٩٥م.

٨٦ - فضل بن عمار العماري/ الحديث ذو شجون عن ابن لعبون، مجلة الحرس الوطني، شعبان ١٤١٦هـ الموافق يناير ١٩٩٦م.

٨٧ - فهد حمد أحمد المغلوث/ حمد المغلوث الشاعرية والعذوبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨٨ – فهد محمد الفردوس/ ديوان ابن فردوس، الكويت، مطابع دار السياسة.

٨٩ – لبيد بن ربيعة العامري (ديوان)، بيروت: دار صادر.

٩٠ – مجلة التراث الشعبي/قاموس الآلات الموسيقية، – السنطور، العدد١٠، السنة السابعة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، وزارة الإعلام، بغداد.

٩١ – مجلة العرب/ مؤرخو نجد، الرياض، السنة الخامسة، الجزء التاسع، ربيع الأول ١٣٩١هـ، ص ٧٨٥– ٧٩٩.

٩٢ – مجلة العرب/ مؤرخو نجد، الرياض، السنة الخامسة، الجزء العاشر، ربيع الثاني ١٣٩١هـ، ص ٨٨١– ٨٩٣.

٩٣ – مجهول/ ديوان الدرر اليتيمة، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة التاسعة، الرياض.

٩٤ – مجهول/ منتخبات من الشعر النبطي لأشهر شعراء نجد، لا ذكر للمؤلف أو الناشر أو المطبعة أو سنة الطباعة.

٩٥ – محمد الباتل الحيدل/ الشعر النبطي تسميته وبناؤه، دارة الملك عبدالعزيز، العدد ٢، ص ١٧٨–٢٠٦، محرم – صفر – ربيع الأول، ١٤١٢هـ.

٩٦ – محمد بن إبراهيم بن صالح الهطلاني/ديوان الدر الممتاز من الشعر النبطي القديم والألغاز، الجزء الثالث، مكتبة الموسوعة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، عنيزة، القصيم.

٩٧ – محمد بن أحمد الثميري و محمد بن عيد الضويحي/ الفنون الشعبية في الجزيرة العربية، المطبعة العمومية بدمشق، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

٩٨ – محمد بن سعد الرقراق/ لمحات من ماضي الزبير، الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٩٩ - محمد بن سعد بن حسين/ أمير شعراء النبط، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٩٧٨، تاريخ ١٤١٧/١٢/٢١هـ.

١٠٠ - محمد بن سعد بن حسين/الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد آثاره الأدبية، ج١، مطابع اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠١ - محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي/ ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام، مطبعة السنة النبوية، القاهرة.

١٠٢ - محمد بن عبدالله الحمدان/ ديوان السامري والهجيني، دار قيس للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، الرياض.

١٠٣ - محمد بن عبدالله الحمدان/ ديوان السامري والهجيني، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، الرياض.

١٠٤ - محمد بن عمر بن عقيل/ أوزان الشعر العامي بلهجة أهل نجد والإشارة إلى بعض ألحانه وفيه دراسة علمية تحليلية لعلم العروض، مازن للطباعة، ١٤١٢هـ، أبها، المملكة العربية السعودية.

١٠٥ - محمد بن ناصر العبودي/ الأمثال العامية في نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

١٠٦ - محمد سغيد كمال/ الأزهار النادية من أشعار البادية، جـ ٦ يشتمل على: جميع شعر الشاعر الكبير المشهور محمد العبدالله القاضي، الطائف: مكتبة المعارف.

١٠٧ - محمد سعيد كمال/ الأزهار النادية من أشعار البادية، جـ١٠ يشتمل على: شعر فارس هذا الميدان ونابغة العصر والزمان الشاعر الكبير محمد بن لعبون، الطائف: مكتبة المعارف.

١٠٨ - محمد سعيد كمال/ الأزهار النادية من أشعار البادية، جـ١٢ يشتمل على أشعار: الشاعر الكبير محسن بن عثمان الهزاني والشاعر الكبير سليم بن عبدالحي الأحسائي، الطائف: مكتبة المعارف.

١٠٩ - محمد علي الهاشمي/ كعب بن مالك الأنصاري الصحابي الشاعر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١١٠ - مروان قباني (دراسة)/ كتاب المدهش- أبي الفرج جمال الدين بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت: الطبعة الأولى ١٤٠١هـ /١٩٨١م.

١١١ - مسعود بن سند بن سيحان/ التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية، الجزء الثاني، ص ٢٤٠ - ٢٤٩ ط ١٩٦٩م الكويت.

١١٢ - مطلق بن محمد البادي/ الأنوار الهادية من أشعار البادية، ديوان ابن بادي، (روائع من الشعر الشعبي القديم والجديد) الجزأين الأول والثاني، الطبعة الرابعة.

١١٣ - مهدي محمد ناصر الدين (تحقيق) ديوان جميل بثينة، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١١٤ - مهدي محمد ناصر الدين (شرح)/ ديوان جميل بثينة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، بيروت.

١١٥ - نافل علي هادي الحربي/ديوان المجموعة الظريفة من نوادر الأشعار النبطية والروايات الطريفة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١١٦ - يحيى الربيعان/ ابن لعبون حياته وشعره، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٣م.

١١٧ - يحيى الربيعان/ محمد بن لعبون ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٩٦م.

١١٨ - يحيى عبدالله المعلمي/ محمد بن لعبون أمير شعراء النبط، مجلة فواصل، العدد ٣٠ نوفمبر ١٩٩٦م.

١١٩ - يوسف بن عيسى القناعي/ الملتقطات، ٦ جـ في المجلد،الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

المراجع الأجنبية:

1 - Saad Abdullah Sowayan, Nabati Poetry, The Oral Poetry of Arabia, the Arab Gulf States Folklore Centre, Doha, Qatar, 1985.

2 - Albert Socin, Diwan aus Centralarabien. H. Stumme, ed. 3 parts, Leipzig: Abhandlungen der philoogisch-historischen classe der Koniglich sachsischen Gesellschaft der Wissenschaften, No. 19

****

المحتويـــات

****



نبذة عن المؤلف
الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون

١- السيرة العلمية:

- حصل على الشهادة الجامعية: جيولوجيا-كيمياء - ١٩٧٣م - جامعة الملك سعود بالرياض.
- درجة الماجستير: جيولوجيا نفط - ١٩٧٧م - جامعة تلسا - بأوكلاهوما.
- درجة الدكتوراه: جيولوجيا النفط -١٩٨٢م جامعة الملك عبد العزيز بجدة

٢- النشاطات العلمية:

شارك بأبحاث علمية في عشرات المؤتمرات واللقاءات الجيولوجية عربياً ودولياً، وعضو في مجلس إدراة الجمعية السعودية لعلوم الأرض وعضو في عدد من الجمعيات العلمية عربياً ودولياً.

٣- المؤلفات:

- حقب الحياة القديمة، من الكتاب الموسوعي: دليل مصطلحات صخور المملكة العربية السعودية - باللغة الانجليزية (الجزء الأول).
- أمير شعراء النبط محمد بن لعبون: مدخل لدراسة سيرته وشعره.
- نشر عدداً كبيراً من المقالات والأبحاث الأدبية والجغرافية والعلمية، في العديد من الدوريات والمجلات والجرائد السعودية والعربية.
- له تحت الطبع عدد من الكتب والأبحاث.



تنفيذ مطابع الملك - الكويت
هاتف: 4717769-4717768

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت

١٩٩٧

طباعة مطابع الملك - الكويت
هاتف:٩/٤٧١٧٧٦٨ - فاكس:٧١٧٦٩٨